دراسات كردية

NRLS
NAVENDA ROJAVA YA LÊKOLÎNÊN STRATEJÎK

مجلة فصلية تصدر عن مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية. العدد 2 ربيع 2014

رئيس التحرير :

طه خليل

مدير التحرير :

شاهوز حسن

المحررون :

عدنان مصطفى

محمود خليل

القسم الفني والتصميم :

عبد الله سعدون

آزاد محمد

تتم كافة المراسلات باسم رئاسة التحرير على البريد الالكتروني التالي :

kovarkurdi@nrlsonline.com

لزيارة الموقع الالكتروني :

www.nrlsonline.com

العدد الثاني – ربيع 2014

لوحة الغلاف : من آثار تل حلف

المحتوى

- **الكرد في المعاهدات الدولية**

منال حج علي - د. محمود خليل 6

- **الحرب في سوريا والتشكيلات العسكرية**

عبدالله سعدون 16

- **الكرد في التراث الإسلامي**

د . أحمد الخليل.....31

- **الكرد وتدوين التاريخ**

عاكف رستم 41

- **ثقافة الأمة الديمقراطية**

عبد الله أوجلان 44

- **الإدارة الذاتية الديمقراطية ونظام الكانتونات**

مركز روج آفا 49

- **التغريبة الكردية و عنصرية السلطات**

طه خليل 58

- **الصراع بين الإسلاميين والسلطة**

د . عبدالنور بن عنتر 66

- **الزرادشتية**

نايف جبيرو 77

- **جلادت عالي بدرخان**

دلاور زنكي 88

كلمة العدد

بقلم :

رئيس التحرير

ونحن اذ نصدر عددنا الثاني من " دراسات كردية " نؤكد على اهمية الكتابة في التاريخ الكردي قديمه وحديثه، مرورا بأفق الميثولوجيا الكردية التي قد تقدم قليلا من حقائق التاريخ مخفية بين طياتها لما تعرض له الكرد وتاريخهم من نهب وتشوية وإبادات منظمة على مدى سنوات القهر والإلغاء التي عاشها ويعيشها الشعب الكردي، فحتى علماء الآثار و منقبي الحضارات المندثرة مروا مرور الكرام على الآثار التي خلفها أسلاف الكرد من ميتانيين وهوريين وميديين، وكانوا انتقائيين في شرح وتفسير تلك الآثار محاولة لطمس حقائق تاريخية واثنوغرافية ليست في صالح السلطات التي تحكمت بالكرد واستعبدتهم واحتلت أرض كردستان بعد سقوط الامبراطورية الميدية.

ان العودة من قبل الكتاب والباحثين الى نبش تلك الآثار والحضارات ليست بالعملية السهلة لما تعاني المكتبة الانسانية من نقص حاد في تناول حقبات زمنية اسس فيها الكرد دولهم وبنوا صروحهم، وهنا غالبا ما يقع الباحث او الكاتب في دوامة البحث هنا وهناك مندفعا بعاطفة القهر والغضب عما لحق بأسلافه فيشط به الخيال حينا ويضيق حينا آخر فيعتمد على الحدس والتصور غالبا بعد اليأس من ايجاد المرجع الاكاديمي المحايد، فيقع في مطب التهويل والمبالغات، مبتعدا عن القراءة المتمهلة والمنطقية لحيثيات الموضوع المراد نقاشه.

في عددنا الثاني عانينا من شحة الكتابات التي تتناول الموضوع الكردي ـ كما في العدد الأول ـ رغم اتصالنا المباشر بالعديد من الكتاب الكرد الذين يدعون الكتابة بالشأن الكردي، وبعض الكتابات التي وصلتنا ما كانت الا عبارة عن انطباعات شخصية حول مواضيع هامة وحساسة وأغلبها كان مصاغا بلغة عاطفية تقترب من المبالغة الفجة او الذم الرخيص لهذه الجهة او تلك ولا علاقة لها بمجلتنا التي تحاول ان تقترب من المواضيع برؤية استراتيجية محايدة حتى لو لم تكن متفقة تماما مع الخلفية الفكرية للمجلة، لهذا وايمانا منا بان عدم وجود المادة خير من المادة السيئة والسطحية فقد آثرنا عدم نشرها مكررين للكتاب الأفاضل اننا بصدد ايجاد مناخ فكري بحثي استراتيجي على صفحات " دراسات كردية " محترمين تماما آراء الكتاب وتوجهاتهم السياسية والايديولوجية، فالمهم المادة وقيمتها الفكرية والتاريخية والبحثية قبل أي شيء آخر.

ونحن اذا نضع بين ايديكم عددنا الثاني فاننا نهيب ثانية بالكتاب والباحثين تزويد المجله بموادهم خدمة للثقافة الكردية التي تعاني من الدراسات المتسرعة والآراء العاطفية التي تأخذ بقشر الشيء وتنسى جوهره، كما نود هنا ان نؤكد على ان الفكر الانساني شامل في اساسه واذا أردنا ان نثبت حقيقة فكرنا الانساني الشريك فعلينا ان نحترم الآخر لانه لا يشبهنا ولا يحمل قلما مزمارا في عرس الخطاب الكردي الملوث بكل موروث السلطات التي تحكمت بوطننا وانساننا فصنعت منه مخلوقا يحار علماء السلالات من تحديد هويته.

الكرد في المعاهدات الدولية

إعداد :

منال حج علي

د. محمود خليل

لمحة تاريخية

الكرد الذين يعيشون منذ آلاف السنين في جغرافية كردستان، التي تقع بين درجتي عرض 34° و 39°ودرجتي طول 37°و 46°.

لقد كانت هذه الأرض مركزاً للصراعات والحروب بين الإمبراطوريتين اليونانية (البيزنطية) والفارسية في القرون الخمسة قبل الميلاد, وفي القرن السادس الميلادي اجتاحت القوات العربية وضمن انتشار المدَ الإسلامي في حروبها مع الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية أراضي كردستان, في هذه الأجواء من الحروب والصراعات ولفترات زمنية طويلة لم يتسنَّ للكرد خلق كيان موحد ومستقل لهم , فقد كانوا خلال هذه الفترات عبارة عن قبائل وتجمعات بشرية متمحورة حول تلك القوى المتصارعة بزعامة رؤساء العشائر وأمرائها وجل ما حققه الكرد في القرن الرابع عشر والتاسع عشر تشكيل عدة إمارات وأهمها كانت في ظل وهيمنة الإمبراطورية العثمانية كأمارة اردلان وبابان وسوران وبهدينيان وبوتان, وبالرغم من أن الكرد تواجدوا في كردستان الحالية منذ بدايات التاريخ كتجمعات بشرية متباينة في طور تكوين مقوماتها الأساسية نحو تشكيل ما يسمى (قوم, شعب), إلا أنه لم ينتظم بشكل مؤسساتي وخاصة الطبقات المهيمنة الكردية المتمثلة بالأمراء الكرد ورؤساء العشائر والقبائل لتؤهلها أن تكون صاحبة مشروع الدولة القومية الكردية كما آلت الأمور للقوميات العربية والتركية والفارسية إلى ما يسمى الظاهرة القومية في طور تشكلها للـ "الدولة",الحاكمة الكردية إلى قوى تابعة للقوميات الغريبة فأكسبتها القوة وبذلك خانت مجتمعها (القبلي والعشائري), فبقيت التجمعات الكردية في الجبال والمدن عرضة للمجاز الثقافية والجسدية أثناء محاولات التمرد, على الرغم من إمكانية ظهور الدولة القومية للكرد في بداية القرن العشرين بعيد الحرب العالمية الأولى والثانية (معاهدة سيفر,تجربة جمهورية مهاباد الكردية 1946) إلا أن هذه الإمكانية لم تتحقق نتيجة قصور شديد للعوامل الذاتية وكذلك عدم تماشيها مع مصالح الدول المتحاربة القوية.

لقد عاشت البشرية معظم تاريخها على شكل تجمعات بشرية حرة دون أن تعرف الدولة ضمن عدَة إمبراطوريات حتى القرن السادس عشر ميلادي , ليبدأ عصر الدول وبالتالي تجزئة تلك التجمعات,وتم إنشاء كيانات جديدة تتزعمها سلطة الدول القومية,وبدأت أعداد هذه الدول تتزايد تصاعدياً, وخاصة بين الحربين العالميتين, فقد وقع على تشكيل عصبة الأمم عام 1919 ما يقارب 44 دولة , لتصل عدد الدول في العالم ما يقارب 200 دولة بعد

فبقيت التجمعات الكردية في الجبال والمدن عرضة للمجاز الثقافية والجسدية أثناء محاولات التمرد

الحرب العالمية الثانية , ضمن الأمم المتحدة التي تشكلت في 1945.

وبالرغم من أن الاتفاقيات الأولى نحو تشكيل الأمم لدولها, أعطت الحق للشعب الكردي في تشكيل دولته, ألا أن الاتفاقيات والمعاهدات اللاحقة تبرأت من الأولى, وحتى لم يعد يذكر الكرد فيها وإنما باتت الاتفاقيات تشمل الكرد كأقلية دون ذكر الاسم أيضا.

حول دراستنا عن الكرد في الاتفاقيات الدولية, نرى بأن هناك شح في المصادر نظراً لعدم وجود كيان كردي عبر التاريخ, ولم يحظ بإقامة دولة قومية في العصر الحديث لجمع هذه الوثائق وحفظها من الضياع.

وفيما يلي سرد لأهم الاتفاقيات والمعاهدات الدولية التي أبرمت حول الكرد أو ما يخصهم بشكل علني أو ضمني.

معاهدة قصر شيرين:

بدأت المسألة الكردية أو المعضلة الكردية منذ نشوب الحرب بين الدولتين العظمتين، الدولة الصفوية والدولة العثمانية ومن المعارك الفاصلة ضمن هذه الصراع معركة جالديران في 23 آب من عام 1514, والتي انتصر فيها السلطان العثماني سليم الأول على الشاه إسماعيل الصفوي, ونتيجة ذلك قسمت كردستان لأول مرة في التاريخ بين الصفويين والعثمانيين, بطريقة اعتباطية وعشوائية دون رسم الحدود.

في هذه الفترة كان الكرد يعيشون ضمن إمارات لها حكمها الذاتي المستقل, ونتيجة سياسات الشاه الخاطئة والظالمة والاختلافات المذهبية , كونه يتبع المذهب الشيعي بينما الكرد يتبعون المذهب السني, الذي يتبعه كذلك السلطان العثماني فقد وقع اختيار الكرد على العثمانيين لدعمهم في حروبهم, وفق وثيقة أبرمها السلطان العثماني مع الملا ادريس البدليسي ممثلاً عن الأمراء الكرد, والتي ورد فيها: "إن الدولة العثمانية تعلن اعترافها بإماراتهم على أرض كردستان. ومنصب الإمارة وراثي. وفي المقابل يطلب من الكرد مناصرة الأستانة ومؤازرتها فيما لو أنها تعرضت للاعتداء أو طرأ عليها ما يمس حقاً من حقوقها. وتكلّف الإمارات الكردية بدفع مكوس وضرائب سنوية إلى الأستانة – استانبول- باعتبار هذه الإمارات تابعة لها وتحت حمايتها. ولهذا يجب على هذه الإمارات تقديم العون إلى الجيوش العثمانية فيما لو خاضت حرباً من الحروب في يوم من الأيام. وأن يذكر اسم السلطان على المنابر في أيام الجمع والدعاء له". وفي هذا النص اعتراف رسمي بالحكم الكردي على أرض كردستان.

لمي يتوقف الصراع بين الدولتين العثمانية والصفوية بعد معركة جالديران, وإنما تتابعت الحروب وكذلك الاتفاقيات بينهما. ومن بينها اتفاقية أماسيا عام 1555 موهي أول معاهدة رسمية بين الدولتين الصفوية والعثمانية، وتم بموجبها تعيين الحدود بينهما، وتقسيم كردستان في مناطق شهرزور وقارص وبايزيد. كما حددت المعاهدة حدود بغداد وتبريز وأذربيجان.

"اتفاقية زهاب", هي الوثيقة التي نصت على تقسيم أرض كردستان

وفي عام 1638م انتزع السلطان العثماني مراد الرابع بغداد أيضاً من الإيرانيين، لذلك امتدت المعارك بينهما حتى عام 1639م. وجراء هذه الحروب التي استمرت قرابة 120 عاما, فقد أنهك اقتصاد الدولتين فنال الناس بؤس وفقر لا حد لهما، ولذلك أصدر السلطان العثماني والشاه الإيراني قراراً بإبرام معاهدة في قصر شيرين والتي تعرف أيضا باسم "اتفاقية زهاب", وهي الوثيقة التي نصت على تقسيم أرض كردستان ورسمت الحدود للدولتين المتنازعتين حيث اقتطعت أجزاء من أراضي أرمينيا وأذربيجان لتضم إلى أراضي الدولة العثمانية. وضمت أرض كردستان إيران (كردستان إيران اليوم) إلى أراضي الدولة الصفوية. واتفقت الدولتان على أن

يكون جبل آرارات و زاغروس الحد الفاصل بينهما. وعلى الرغم من اتفاقية قصر شيرين فإن المعارك لم تنته بين الدولتين بسبب بعض الاختلافات على الحدود, فظهرت اتفاقيات ومعاهدات أخرى مثل: معاهدة أرزروم ومعاهدة أرزروم الثانية في عام 1847م. ففي المادة الثانية من معاهدة أرزروم الثانية تنص على :"تتعهد الحكومة الإيرانية بأن تترك للحكومة العثمانية جميع الأراضي المنخفضة أي الأراضي الكائنة في القسم الغربي من منطقة زاب وتتعهد الحكومة العثمانية بان تترك للحكومة الإيرانية القسم الشرقي أي جميع الأراضي الجبلية من المنطقة المذكورة بما في ذلك وادي كرند وتتنازل الحكومة الإيرانية عن كل مالها من ادعاءات في مدينة السليمانية ومنطقتها وتتعهد رسميا بان لا تتدخل في سيادة الحكومة العثمانية على تلك المناطق أو تتجاوز عليها" وكذلك معاهدة طهران عام 1823م. ومعاهدة أخرى لرسم الحدود بين الدولتين عام 1913م في الأستانة، ومعاهدات أخربولا زالت تلك الحدود التي رسمتها اتفاقية قصر شيرين قائمة حتى الآن. ومن المؤسف أن جميع المعاهدات والاتفاقيات والمواثيق كانت جميعها تثبت وتؤكد تجزئة أرض كردستان.

سايكس بيكو 1916:

أبرمت هذه الاتفاقية في 16 أيار 1916 بين كل من روسيا وبريطانيا وفرنسا. وجاءت كتطبيق لبنود اتفاقية بطرسبورغ 1915 آذار, بين كل من الدول الآنفة الذكر, وقضت هذه اتفاقية بتقسيم كردستان وضم الموصل وكردستان الجنوبية وغرب كردستان إلى فرنسا, وإلحاق معظم كردستان الشمالية (جنوب وجنوب شرق الأناضول) بروسيا، واحتفظت بريطانيا بالمنطقة الواقعة من جنوب حدود ولاية الموصل إلى الخليج العربي.

وجاء بحث المنطقة الكردية العثمانية (تركيا – العراق - سوريا) في رسالة سرية بعثها سازانوف وزير خارجية روسيا في نيسان من العام 1916 إلى السفير الفرنسي في بتروغراد, والتي دارت حول الأطماع الروسية في السيطرة على جزء هام من كردستان تركيا.

انسحبت روسيا بعد ثورة أكتوبر بقيادة لينين عام 1917, لتنفرد كل من بريطانيا وفرنسا بحكم المنطقة.

سيفر 20 آب 1920:

جاءت معاهدة سيفر كمعاهدة سلام عقب الحرب العالمية الأولى بين الإمبراطورية العثمانية والدول الحلفاء. تمَ من خلالها رسم حدود ما تبقى من الإمبراطورية العثمانية, وتنظيم بنيتها الداخلية.وتم التوقيع عليها بين إنكلترا وفرنسا وإيطاليا واليابان وبلجيكا واليونان ورومانيا وبولونيا والبرتغال وتشيكوسلوفاكيا ويوغسلافيا والحجاز وأرمينيا من جهة، والإمبراطورية العثمانية من جهة أخرى, ومن الجوانب الهامة التي تناولتها هذه المعاهدة؛ القضية الكردية وذلك في البنود 62 – 63 -64 , والتي تضمن حق تقرير المصير للشعب الكردي, وحق سيادته السياسية على أرضه.وهذه هي نص البنود الثلاثة:

المادة 62 : تتولى هيئة تتخذ مقرها في اسطنبول مكونة من ثلاثة أعضاء تعينهم حكومات كل من بريطانيا وفرنسا وايطاليا ، التحضير أثناء الأشهر الستة الأولى التي تعقب تنفيذ هذه الاتفاقية، لوضع خطة لمنح حكم محلي للمناطق التي تسكنها غالبية من الأكراد والتي تقع إلى شرق الفرات والى جنوب الحدود الأرمينية التي ستحدد فيما بعد، والى شمال الحدود بين تركيا وسورية وبلاد ما بين النهرين، وعلى النحو المحدد في المادة 27 من القسم الثاني (2 و 3) وفي حالة عدم توافر إجماع في الآراء بصدد أية قضية ، يحيل أعضاء الهيئة المذكورة كل إلى حكومته ينبغي أن توفر الخطة ضمانة كاملة لحماية الآشوريين والكلدانيين والجماعات العرقية أو الدينية الأخرى في المنطقة، ولهذا الغرض

ستزور المنطقة هيئة مكونة من ممثلي بريطانيا وفرنسا وايطاليا وبلاد فارس والأكراد لكي تتولى تحديد أي تعديل – أن وجد – ينبغي إدخاله على الحدود التركية أينما تلتقي مع الحدود الفارسية وذلك على النحو الموضح في هذه المعاهدة. المادة 63: توافق الحكومة العثمانية من الآن على قبول وتنفيذ القرارات التي تتخذها الهيئتان المقرر تشكيلهما في المادة 62 أعلاه خلال ثلاثة أشهر من تاريخ أخبارها بتنفيذ تلك القرارات.

أن أراضي الجمهورية السورية اليوم، لا تطابق ما كان يطلق عليه بلاد الشام تحت حكم العباسيين

المادة 64 : وإذا ما طلب السكان الأكراد في المناطق المحددة في المادة 62 في غضون سنة واحدة من تاريخ تنفيذ هذه الاتفاقية من مجلس عصبة الأمم وأعربت غالبية سكان تلك المناطق عن رغبتها في الاستقلال عن تركيا، وإذا ما ارتأى المجلس أن هؤلاء السكان مؤهلون للاستقلال وأوصى بمنحهم إياه توافق تركيا من الآن على قبول مثل هذه التوصية، وتنازل عن جميع حقوقها وامتيازاتها في تلك المنطقة، وستكون تفاصيل هذا التنازل موضوعا لاتفاقية خاصة تعقد فيما بين تركيا والدول الحليفة الكبرى. وإذا تم التنازل، لن تعترض الدول الحليفة الكبرى إذا ما سعى الأكراد الذين يقطنون في ذلك الجزء من كردستان والذي يقع حاليا ضمن ولاية الموصل لأن يصبحوا مواطنين في الدولة الكردية المستقلة حديثا .

وفي هذا الصدد يتحدث المؤرخ الكردي ملا حسن كرد-حسن هشيار:

"في عام 1920م عند انعقاد مؤتمر سيفر كانت الهيئة القومية الكردية التي يترأسها شريف باشا تشترك في الجلسات والاجتماعات وفي الوقت نفسه كان البرلمان التركي يحاول جاهداً إفراغ هذه الهيئة من مضمونها، وكان يتصل برقياً بأعوانه وتابعيه والبرلمانيين في استانبول لهذا الغرض لتقديم مذكرات باسم الكرد ينفون فيها أن يكون شريف باشا ممثلاً أو وكيلاً عن الأكراد. وهم أبرياء منه ومن رفاقه... وأن الكرد والأتراك إخوة وليس في نيتهم الانفصال عن إخوتهم.".

معاهدة أنقرة أكتوبر 1920:

في هذه الاتفاقية أعيد رسم الحدود بين تركيا وسوريا, وذلك بالاتفاق الذي جرى بين فرنسا وتركيا.فأدخلت تعديلات كبيرة على ما كان متفقا عليه وفق معاهدة سيفر, ولم يعد التعامل مع الحدود بشكلها الطبيعي بين الدول وإنما اتخذ سكة حديد (قطار الشرق السريع) خطا حدوديا يفصل بين الدولتين. وتم إخضاع رسم الحدود إلى تعديلات كثيرة بواسطة بروتوكولات كانت آخرها عام 1930. ونتيجة هذه الاتفاقية تم تقسيم الجزء التركي من كردستان بين تركيا وسوريا.

تقول درية عوني في كتابها عرب وأكراد خصام أم وئام: "أن أراضي الجمهورية السورية اليوم، لا تطابق ما كان يطلق عليه بلاد الشام تحت حكم العباسيين، وتردف فتقول عن حدودها بأنه في الشرق كان الفرات الأوسط يحيط بالشام، ويبدأ إقليم آخر، من وراء الفرات الأوسط يسمى بالجزيرة أو الفرات الأعلى، ولم يكن في يوم من الأيام داخل بلاد الشام تحت الحكم العثماني، وتردف فتقول بأنه في عام 1939 اقتطعت فرنسا من بلاد الشام، سنجق اسكندرونة ذات الغالبية العربية وكانت تتمتع بحكم ذاتي تابع لدولة حلب وألحقتها بتركيا الكمالية، وفي الوقت نفسه، اقتطعت من كردستان الشمالية (كردستان تركيا الآن) قسماً كبيراً من إقليم الجزيرة الكردي وأضافته إلى سوريا التي حصلت على استقلالها 1946. وتردف لتقول في سياق هذا البحث الصفحة 158 "لم تكن منطقة الجزيرة الكردية في يوم من بين مطالب القوميين العرب. لا في مراسلات

حسين مكماهون، ولا خلال العهد الفيصلي في سوريا، ولا حتى من قبل القوميين العرب تحت الانتداب الفرنسي".

مؤتمر لندن فبراير 1921:

عقد مؤتمر لندن في شباط 1921 لبحث المشاكل الداخلية,من ضمنها المشكلة الكردية، حيث اعتزم الحلفاء إعطاء تنازلات مهمة في هذه القضية، لكن الحكومة التركية أصرَت على أن المسألة داخلية، يمكن حلِها داخلياً، لا سيما وأن الكرد لهم الرغبة في العيش مع إخوانهم الأتراك حسب ما زُعِمَ آنذاك.

وأثناء انعقاد مؤتمر لندن، عقدت حكومة أنقرة عدداً من الاتفاقيات الدولية التي كرست الشرعية الدولية القانونية للنظام الجديد في تركيا. ثم قامت الحكومة الجديدة بإلغاء جميع الاتفاقيات والمعاهدات التي أبرمتها حكومة الأستانة ومن ضمنها معاهدة سيفر. كل ذلك أدى إلى تعزيز مكانة الحكومة التركية الجديدة. وبذلك فشل مؤتمر لندن لتوجه ضربة إضافية للآمال القومية الكردية.

أما الممثلان الآخران فكانا يعلنان في كل اجتماع ويصرحان: " نحن والأتراك أخوة ولا نرغب في الانفصال عنهم "

معاهدة لوزان 23 تموز 1923:

نتيجة الانتصارات التي حققتها الحكومة التركية بقيادة كمال أتاتورك على اليونان ظهرت تركيا كدولة فتية قوية, وحسنت علاقتها مع جارتها الاتحاد السوفيتي. وحاولت أن تظهر القضية الكردية من الشؤون الداخلية للدولة التركية, وبالتالي التملص من اتفاقية سيفر كونها تؤدي إلى اقتطاع أجزاء كثيرة من الإمبراطورية العثمانية, وحصر الدولة التركية في اسطنبول. وقد حققت مطالبها في اتفاقية لوزان, التي لم تتطرق إلى اتفاقية سيفر نهائياً, ولم تتم الإشارة إلى الكرد في أي من بنود هذه الاتفاقية.

من بنود اتفاقية لوزان التي تتعلق بالحريات وحق الحماية للأقليات :

البند 38: تتعهد الحكومة التركية بتأمين الدفاع الكلي والناجز عن حياة وحرية المواطنين، بغض النظر عن الأصل والقومية واللغة والعنصر أو الدين.

البند 39: لن توضع أية قيود في وجه أي مواطن تركي، بخصوص التداول الحرَ لأية لغة كانت، سواء كانت في العلاقات الخاصة أم التجارية، أو في مجال الدين والإعلام أو مختلف النتاجات المطبوعة، أم في الاجتماعات العامة.

وفي هذا الصدد نقرأ للباحث. ز. بوزأرسلان:

"في عام 1923م لدى اللقاء في مؤتمر لوزان لم يجر أيّ حوار عن الحقيقة القومية الكردية بحال من الأحوال، ففي هذه اللقاءات لجأت الحكومة التركية- لإحباط محاولة الكرد نيل حريتهم وحقوقهم- إلى مخادعة الرأي العام لدى أوروبا والدول المتحالفة، فقد أرسلت الدولة التركية هيئة برلمانية برفقة عصمت إنينو إلى مؤتمر لوزان الذي كان يزعم أنه الممثل الشرعي للشعب التركي والكردي وقد جاء ليتحدث بلسان هذين الشعبين، وقد انطلت الحيلة بسهولة على المؤتمرين. وكانت هذه الهيئة البرلمانية مؤلفة من فوزي وزلفي بك من دياربكر-آمد وخليل فخري من سويركي. كانت هذه الهيئة يترأسها البرلماني خليل فخري نفسه. وبهذه الهيئة كانت الحكومة التركية تشارك في الحوار والمداولات التي تجري في الجلسات، وقد كان خليل فخري تهّرباً من حضور الاجتماعات يتذرع بالمرض وينأى بنفسه عن المشاركة في الحوار. أما الممثلان الآخران فكانا يعلنان في كل اجتماع ويصرحان: "نحن والأتراك أخوة ولا نرغب في الانفصال عنهم".

ويقول مظهر دودري:

"وبعد الانتهاء من إبرام معاهدة لوزان في السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني عام 1923م تم الإعلان عن تأسيس الجمهورية التركية. أنكر فيها الوجود الكردي وبناء على هذا الإجحاف التركي أسس بعض الضباط والزعماء وبعض المثقفين والمتنورين والوجهاء ورجال الدين جمعية سياسية تحت اسم جمعية استقلال كردستان أو الحركة التحررية في أرزروم برئاسة خالد بك جبري.

إن أطول بند في معاهدة لوزان البند الذي كثر فيه الحديث والأخذ والرد عن القضية الكردية وقضية مدينة الموصل لأن منطقة الموصل وكركوك كانت منطقة بترولية، وكان كل طرف يسعى إلى الاستئثار بها وفي جلسات لوزان تفنن عصمت إينونو في قلب الحقائق وتمويهها عند الحديث عن القضية الكردية والموصل ونجح في بطلانه ـ ويمكن تلخيص أقواله كالتالي :

يقول رئيس الهيئة البريطانية لورد جونسون :

ـ " إن الكرد قومية أخرى، لا يرغبون في العيش مع الأتراك ضمن دولة واحدة ".

ويقول إينونو :

"هذه نظرية ليست صحيحة. إن الأتراك والأكراد يعيشون معاً منذ مئات السنين, ديننا واحد وتاريخنا مشترك وإلى أرومة واحد تعود أصولنا. لقد أثبت الكرد عبر التاريخ أنهم يرغبون في العيش معنا تحت إدارة تركية ولم يرغبوا قط في الانفصال عنا، لقد ربط الكرد مصيرهم وحياتهم بمصير وحياة الأتراك... وفي الحرب الأخيرة رفض الكرد ما ورد في معاهدة سيفر وحاربوا العدو إلى جانب الأتراك وللأكراد مقاعد في البرلمان التركي وهم ممثلون عن الشعب الكردي، وهم يريدون أن يرسخوا أقدامهم في الوسط التركي، وأكراد مناطق الموصل لا يريدون الانفصال عن سائر الكرد لذلك يجب أن تظل الموصل ضمن الحدود التركية".

فردّ عليه رئيس الهيئة البريطانية " لورد جونسون " قائلاً :

" هذه هي المرة الأولى التي يقال أن العرق التركي والعرق الكردي عرق واحد، إن التاريخ واضح وإن الشعب الكردي ينحدرون من الأصل الآري، إنهم يتكلمون بلغة إيرانية. يختلف تاريخهما وحياتهما عن تاريخ الأتراك وحياتهم وصفاتهم البدنية مختلفة، لقد عشت أعواماً في بلاد الكرد وأستطيع بكل سهولة أن أميّز الكردي من التركي، الكرد ليسوا أتراكاً. ... أنهم أهل جبال. .. وقد عاشوا منذ آلاف السنين في بلادهم الجبلية ومازالوا يعيشون فيها مستقلين. .. والآن فإن الأشخاص الذين تزعمون أنهم يمثلون الكرد في البرلمان ترى هل الكرد اختاروهم ؟ كلا. .. إن الشعب الكردي ما أختارهم. .. لقد جلبتهم إلى برلمانكم في غياب الإرادة الكردية. .. والتاريخ يحدثنا أن الكرد لم يرغبوا في يوم من الأيام أن يعيشوا تحت الحكم التركي".

وبعد التوقيع على هذه المعاهدة بدأت تركيا في التحرك لتحسين أحوالها الداخلية , متنكرة لأيّ وجود كردي, وخصوصاً بعد تأسيس الجمهورية التركية في 29 تشرين الأول من نفس العام .

لقد عشت أعواماً في بلاد الكرد وأستطيع بكل سهولة أن أميّز الكردي من التركي

وفي عام 1926م جرت بينهما سوريا: في موضوع الموصل حيث وقعت منطقة الموصل وكركوك تحت النفوذ الإنكليزي وتجزأت كردستان وأخيراً سلمت الجزء الواقع تحت نفوذها إلى العراق، وسلمت فرنسا جزأها إلى سورية ومنذ ذلك وفيما بعد صارت كردستان أربعة أجزاء وظلت كذلك حتى الآن، إن وضع كردستان الراهن كان ثمرة معاهدة لوزان".

اتفاقية الجزائر 1975:

وقعت هذه الاتفاقية بين العراق والجزائر في 6 آذار 1975 بين نائب الرئيس العراقي آنذاك صدام حسين, وشاه إيران محمد رضا بهلوي, وبإشراف رئيس الجزائر هواري بومدين. وتقضي هذه الاتفاقية بتصفية المشاكل الحدودية ووضع الحدود في شط العرب. في تلك الفترة كان الشاه يدعم البرزاني, ونتيجة هذه الاتفاقية سحب الشاه دعمه لحركة البرزاني وأرغمتها على إلقاء السلاح, ولذا يمكن القول أن الاتفاقية قد ساهمت في انهيار الحركة الكردية المسلحة في العراق.

اتفاقية أضنه 1998:

هي اتفاقية أمنية بين الدولتين السورية والتركية المشتركين بالحدود وذلك في 20/ 10/ 1998. وذلك بعد تدخل كل من مصر وإيران لحل النزاع بين الدولتين التركية والسورية.

قيام دولة كردية قريبة من الاتحاد السوفيتي قد يؤدي إلى الإخلال بتوازن القوى في منطقة الشرق الأوسط

اجتمع وفدا الحكومة التركية والسورية في أضنه بتاريخ 19 و 20 تشرين الأول عام 1998 تحت غطاء(مناقشة قضايا التعاون في مكافحة الإرهاب).وفيما يلي نص الاتفاقية:

في ضوء الرسائل المنقولة باسم سوريا من خلال رئيس جمهورية مصر العربية، صاحب الفخامة الرئيس حسني مبارك، ومن خلال وزير خارجية إيران وسعادة وزير الخارجية كمال خرازي وممثل الرئيس الإيراني صاحب الفخامة محمد سيد خاتمي وعبر السيد عمرو موسى، التقى المبعوثان التركي والسوري، المذكور أسماهما في القائمة المرفقة (الملحق رقم 1)، في أضنه بتاريخ 19 و 20 تشرين الأول / أكتوبر من العام 1998 لمناقشة مسألة التعاون في مكافحة الإرهاب.

خلال اللقاء ، كرر الجانب التركي المطالب التركية التي كانت قد عرضت على الرئيس المصري (الملحق رقم 2)، لإنهاء التوتر الحالي في العلاقة بين الطرفين. وعلاوة على ذلك، نبَه الجانب التركي الجانب السوري إلى الرد الذي ورد من سوريا عبر جمهورية مصر العربية، والذي ينطوي على الالتزامات التالية:

1- اعتبارا من الآن، عبد الله أوجلان لن يكون في سوريا وبالتأكيد لن يسمح له بدخول سوريا.

2- لن يسمح لعناصر حزب العمال الكردستاني في الخارج بدخول سوريا.

3- اعتبارا من الآن، معسكرات حزب العمال الكردستاني لن تعمل على الأراضي السورية وبالتأكيد لن يسمح لها بان تصبح نشطة.

4- العديد من أعضاء حزب العمال الكردستاني جرى اعتقالهم وإحالتهم إلى المحكمة. وقد تم إعداد اللوائح المتعلقة بأسمائهم. وقدمت سوريا هذه اللوائح إلى الجانب التركي.

أكد الجانب السوري النقاط المذكورة أعلاه. وعلاوة على ذلك، اتفق الطرفان على النقاط التالية:

1- إن سوريا وعلى أساس مبدأ المعاملة بالمثل، لن تسمح بأي نشاط ينطلق من أراضيها بهدف الإضرار بأمن واستقرار تركيا. كما ولن تسمح سوريا بتوريد الأسلحة والمواد اللوجستية والدعم المالي والترويجي لأنشطة حزب العمال الكردستاني على أراضيها.

2- لقد صنفت سوريا حزب العمال الكردستاني على أنه منظمة إرهابية. كما وحظرت أنشطة الحزب والمنظمات التابعة له على أراضيها، إلى جانب منظمات إرهابية أخرى.

3- لن تسمح سوريا لحزب العمال الكردستاني بإنشاء مخيمات أو مرافق أخرى لغايات

التدريب والمأوى أو ممارسة أنشطة تجارية على أراضيها.

4- لن تسمح سوريا لأعضاء حزب العمال الكردستاني باستخدام أراضيها للعبور إلى دول ثالثة.

5- ستتخذ سوريا الإجراءات اللازمة كافة لمنع قادة حزب العمال الكردستاني الإرهابي من دخول الأراضي السورية ، وستوجه سلطاتها على النقاط الحدودية بتنفيذ هذه الإجراءات.

اتفق الجانبان على وضع آليات معينة لتنفيذ الإجراءات المشار إليها أعلاه بفاعلية وشفافية.

وفي هذا السياق:

أ) - سيتم إقامة وتشغيل خط اتصال هاتفي مباشر فوراً بين السلطات الأمنية العليا لدى البلدين.

ب) - سيقوم الطرفان بتعيين ممثلين خاصين أمنيين في بعثتيهما الدبلوماسيتين في أنقرة ودمشق، وسيتم تقديم هذين الممثلين إلى سلطات البلد المضيف من قبل رؤساء البعثة.

ج) - في سياق مكافحة الإرهاب، اقترح الجانب التركي على الجانب السوري إنشاء نظام من شأنه تمكين المراقبة الأمنية من تحسين إجراءاتها وفاعليتها. وذكر الجانب السوري بأنه سيقدم الاقتراح إلى سلطاته للحصول على موافقة ، وسيقوم بالرد في اقرب وقت ممكن.

د) - اتفق الجانبان ،التركي والسوري، ويتوقف ذلك على الحصول على موافقة لبنان، على تولي قضية مكافحة حزب العمال الكردستاني الإرهابي في إطار ثلاثي [أخذا بعين الاعتبار أن الجيش السوري كان لم يزل في لبنان، وكان حزب العمال يقيم معسكرات له في منطقة البقاع اللبناني الخاضعة لنفوذ الجيش السوري].

هـ)- يلزم الجانب السوري نفسه باتخاذ الإجراءات اللازمة لتنفيذ النقاط المذكورة في "محضر الاجتماع" هذا وتحقيق نتائج ملموسة.

أضنه، 20 أكتوبر، 1998

عن الوفد التركي:

السفير صدقي أوغور زيال

وزارة الشؤون الخارجية

نائب وكيل الوزارة

عن الوفد السوري

السفير اللواء عدنان بدر الحسن

رئيس شؤون الأمن السياسي

الملحق رقم 2: مطالب تركيا المحددة من سوريا

من أجل تطبيع علاقاتنا، نتوقع من سوريا الالتزام بالقواعد والمبادئ الأساسية للعلاقات الدولية. وفي هذا الصدد، ينبغي تحقيق المطالب المحددة التالية:

1- نظرا لحقيقة أن العلاقات التركية السورية كانت قد تضررت بشكل جدي بسبب الدعم السوري للإرهاب، نريد من سوريا القبول رسميا بالتزاماتها والتخلي عن موقفها السابق بشأن هذه المسألة. ويجب أن تشمل هذه الالتزامات تعهداً رسمياً بعدم منح الإرهابيين الدعم، أو الملاذ أو المساعدة المالية. وينبغي أيضا على سوريا محاكمة مجرمي حزب العمال الكردستاني وتسليمهم إلى تركيا، بما في ذلك زعيم حزب العمال الكردستاني، عبد الله أوجلان ومعاونيه.

2- في هذا الإطار، يجب على سوريا :

- أن لا تسمح لمخيمات تدريب الإرهابيين بالعمل على الأراضي الواقعة تحت سيطرتها.

- أن لا تزود حزب العمال الكردستاني بالأسلحة والمواد اللوجستية.

- أن لا تزود أعضاء حزب العمال الكردستاني بوثائق هوية مزورة.

ـ أن لا تساعد الإرهابيين على الدخول القانوني والتسلل إلى تركيا.

ـ أن لا ترخص الأنشطة الترويجية [الدعائية] للمنظمة الإرهابية [المذكورة].

ـ أن لا تسمح لأعضاء حزب العمال الكردستاني بإنشاء وتشغيل مقرات على أراضيها.

ـ أن لا تسهل عبور الإرهابيين من دول ثالثة (أوروبا، اليونان، قبرص الجنوبية، إيران، ليبيا، أرمينيا) إلى شمال العراق وتركيا.

3ـ التعاون في جميع الأنشطة الرامية إلى مكافحة الإرهاب.

4ـ الامتناع عن تحريض البلدان الأخرى الأعضاء في جامعة الدول العربية ضد تركيا.

5ـ في ضوء ما سبق، وما لم توقف سوريا هذه الأعمال فوراً، مع كل العواقب، تحتفظ تركيا بحقها في ممارسة حقها الطبيعي في الدفاع عن النفس، وتحت كل الظروف للمطالبة بتعويض عادل عن الخسائر في الأرواح والممتلكات. في الواقع، نقلت هذه الآراء إلى سوريا من خلال القنوات الدبلوماسية في 23 كانون الثاني / يناير 1996. ومع ذلك، فقد قوبلت تحذيراتنا بآذان صماء.

الملحق رقم 3

اعتبارا من الآن ، يعتبر الطرفان أن الخلافات الحدودية بينهما منتهية ، وأن أيا منهما ليس له أية مطالب أو حقوق مستحقة في أراضي الطرف الآخر.

الملحق رقم 4

يفهم الجانب السوري أن إخفاقه في اتخاذ التدابير والواجبات الأمنية ، المنصوص عليها في هذا الاتفاق، يعطي تركيا الحق في اتخاذ جميع الإجراءات الأمنية اللازمة داخل الأراضي السورية حتى عمق 5 كم.

اتفاقيات أمنية سرية بين الدول المستعمرة لكردستان:

بعد حصول الكرد في العراق على فدرالية كاملة, بدأت مخاوف دول الجوار تتزايد من أن ينعكس ذلك عليهم خصوصاً القلق تجاه ظهور بوادر مطالبة الكرد في جنوب كردستان بالاستقلال الكامل عن الدولة العراقية. والتي ستشجع الكرد في كل من تركيا وسوريا وإيران على المطالبة بهذه الحقوق أيضاً. لذلك بدأت العلاقات الإيرانية – التركية – السورية تأخذ منحى آخر, فوقعت إيران وتركيا العديد من الاتفاقيات في المجالات الأمنية والعسكرية خلال السنوات الماضية بشأن مواجهة حركة التحرر الكردية, المتمركزة في المثلث الحدودي الإيراني – التركي – العراقي وخصوصاً خلال الزيارة التي قام بها رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوغان إلى العاصمة الإيرانية طهران في أواخر أكتوبر 2009.

ومن أجل ذلك وقعت كل من تركيا وسوريا اتفاقا استراتيجيا في 11 يوليو 2008، واتفاق من أجل التعاون المشترك بينهما، والذي سبقه مناورات عسكرية أجراها البلدان في مايو 2009، وهي الأولى من نوعها في تاريخ البلدين، والذي يأتي في سياق أن ما يحدث في شمال العراق يؤثر بشكل مباشر على التطورات الأمنية في تركيا وسوريا وإيران.

من خلال دراسة هذه المعاهدات والظروف المحيطة بها, تتعدد أسباب عدم إيلاء الدول الكبرى الكرد الحق الطبيعي لهم (حق تقرير المصير). ويمكن إدراج هذه الأسباب بما يلي:

أولاً: أسباب داخلية تتعلق بالكرد أنفسهم , من حيث عدم وجود قيادة حكيمة وواعية, يمكنها لم شمل الكرد تحت سقف مطالب واحدة , واستغلال الدول المستعمرة لهذه النقطة من خلال تحريض زعماء ومشايخ الكرد ضد بعضهم البعض, وخصوصا في المحافل الدولية. بالإضافة إلى العقلية القبلية الإسلامية

السائدة آنذاك, وهذه العقلية ساهمت في عدم تعاون الكرد مع الحلفاء, ومقاومتهم للحلفاء في كل من تركيا وسوريا والعراق, وبالتالي لم تستطع هذه القوى أن تنظر إلى الكرد كحليف لها أبداً.

ثانياً: الموقع الجغرافي لكردستان الذي أصبح وبالاً عليها فهو يتوسط الدول التي وقع عليها الانتداب البريطاني والفرنسي, وبالتالي كانت تشكل دائما مصدر قلق بالنسبة لهذه الدول من أن تكون حلفاً للشعوب المنتدبة لتتحرر.

ثالثا: قيام دولة كردية قريبة من الاتحاد السوفيتي قد يؤدي إلى الإخلال بتوازن القوى في منطقة الشرق الأوسط , في حال ساندت هذه الدولة الكردية الثورة البلشفية (كما حصل مع الأرمن). ولذلك اعتمدت بريطانيا على تركيا كحليف في وجه الثورة البلشفية , مقابل ضرب الحركات التحررية الكردية , وتضييق الخناق عليها مقابل قطع السلطات التركية تحالفاتها وتعاونها مع الاتحاد السوفيتي. كما أن انهزام اليونانيين أمام الدولة التركية جعلت دول الحلفاء تعيد حساباتها في الدول التي أنشأتها, فيما إذا ستكون قادرة على حماية نفسها وكذلك أن تكون حليفاً قوياً لها.

رابعاً: في الفترة الأخيرة بدأت الدول المستعمرة لكردستان, بالإضافة إلى الدول التي لها مصالح فيها كالولايات المتحدة الأمريكية , تستخدم الكرد كورقة مساومة للوصول إلى اتفاقيات اقتصادية وسياسية وأمنية, كما وجدنا في اتفاقية الجزائر وكذلك اتفاقية أضنه وفي حرب العراق الأخيرة. كما أن الدول الغربية أرادت أن يتوصل الكرد إلى نتيجة مفادها, مهما ناضل الكرد من أجل حقوقهم دون تأييد الغرب فلا يمكن أن ينجحوا في ذلك.

خلاصة القول أنه نتيجة هذه المعاهدات الجائرة بحق الكرد ازدادت المشكلة الكردية تعقيداً , حيث أصبح الشعب الكردي موزعاً بين أربع دول بدل دولتين لتزداد معاناته.

وحكم على الفرد الكردي بالفناء,نفسياً وسياسياً وثقافياً واجتماعياً وإنسانياً.

المصادر:

- جلادت بدرخان , حول المسألة الكردية- قانون أبعاد وتشتيت الأكراد- ترجمة دلاور زنكي , أربيل , 1999. -
- درية عوني , تاريخ الأكراد الحديث , ترجمة راج آل محمد , ط1 دار الفارابي بيروت 2004.
- فارس عثمان , الكرد والأرمن.
- د.مظهر عوني,, كردستان.
- درية عوني , عرب وأكراد : خصام أم وئام.
- محمد أمين زكي بك , خلاصة تاريخ الكرد وكرد السورية, الحدود الدولية: مجلة صادرة عن وزارة الخارجية الأمريكية , العدد 163 إصدار 6 آذار 1978.
- المعجم الجغرافي الخاص بالدراسات العسكرية السورية , المجلد الأول.

الحرب في سوريا
والتشكيلات العسكرية

إعداد :

عبدالله سعدون

السياسة الأمريكية التي أتبعتها بعد انتهاء حقبة الحروب الكلاسيكية التي أرّقت أمريكا وزهقت أرواح الآلاف من جنودها الأمر الذي أثار امتعاض شعوبها، وعدم رغبتها في التطوع في الخدمة العسكرية غير الإلزامية مما حذا بالولايات المتحدة وخاصة بعد حرب فيتنام والصومال انتهاء بلبنان والعراق .إلى إتباع أسلوب "الحرب الناعمة" والانقلاب الفكري عن طريق التقدم في "عالم التكنولوجيا" وتراجع الإيديولوجيات، والثورة في عالم الاتصالات، ثم التغير الذي طرأ على البنى الاجتماعية نتيجة هذه الانقلابات..والاستعانة بتنظيمات تعتبر إرهابية وفي قوائمها السوداء, وتشكيلها لشركات أمنية خاصة من المرتزقة "بلاك ووتر للخدمات الأمنية" الأميركية " التي غيرت اسمها ليصبح Services LLC Xe و شركة SCG International Risk الأميركية للخدمات الأمنية، وهي الشركة النظيرة لشركة "بلاك ووتر" وتعد هذه الحرب التي نشأت في أحضان التكنولوجيا وأذرعها "مواقع التواصل الاجتماعي" هي أداة من أدوات الحرب الناعمة التي أسقطت الانتفاضة الفلسطينية الثالثة على صفحة المواقع الاجتماعية قبل أن تنزل على الأرض بعد إغلاق الصفحة الرسمية لهذه الانتفاضة.

وبذلك تم إبقاء الحالة السورية معلقة في الفضاء الإلكتروني ولم تستطع النزول إلى الواقع. ولأن الحالة السورية بشقيها المعارضة والنظام ليس لديهما أي نموذج سياسي وكلاهما يحاربان بالحديد والنار، فلابد أن نركز على الشق العسكري الذي يحدد مسار الحالة السورية

وما يجري في سوريا حالياً هو هذا النوع من الحروب التي أعلنها الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش " دومينو سقوط الأنظمة العربية" بعد سقوط النظام العراقي بواسطة التدخل العسكري المباشر، إلى إسقاط الأنظمة التي تسميها"محور الشر" عن طريق الحرب الناعمة غير المباشرة، وفي حرب العراق كانت سوريا قد غذت القاعدة والجماعات السلفية في العراق، ودربتهم في معسكرات خاصة في جبال اللاذقية، ولعبت الدور الذي حالياً تقوم به تركيا التي أغلقت حدودها في وجه قوات التحالف في عملية غزو العراق وهي الأخرى تنتظر دورها وشكل السيناريو الذي سيتم به تقسيم الدولة التركية وجرها إلى مستنقع الحروب الداخلية والإقليمية

ومن خلال القراءة الدقيقة لكيفية صنع الثورات والأزمات والحروب ،بات واضحاً أنه في **أي** دولة تشهد حالة من الحراك الشعبي أو انتفاضة

وثورة يتم التسلق عليها.من خلال الثورة المضادة ومن خلال الشركات المتعددة الجنسيات الخاصة "الشركات والمؤسسات الأمنية والإنسانية" التي أينما تنشط وتعمل، يتمركز ويتواجد في تلك الدولة جميع التشكيلات والفصائل الجهادية العالمية متمثلة "بالقاعدة وأخواتها" بدءاً من أفغانستان مروراً بالعراق ودول الثورات العربية انتهاء بسوريا.

دولة تشهد حالة من الحراك الشعبي أو انتفاضة وثورة يتم التسلق عليها.من خلال الثورة المضادة ومن خلال الشركات المتعددة الجنسيات

- **السلاح الأقوى في الحرب السورية**

القاسم المشترك الوحيد والهدف الوحيد المشترك للمعارضة المسلحة السورية هو إسقاط النظام وإقامة الدولة الإسلامية (حسب غالبية المعارضين المسلحين) وكل حسب إيديولوجيته وفكره والتبعية وهذا يعد السبب الأساسي للاختلاف الذي تطور إلى الانشقاق والاقتتال فيما بينها .

و لتصنيف هذه المعارضة رغم عددها الهائل، وتتالي عمليات الانشقاق والاندماج بفصائل أخرى فيما بعد، تبين أنه لا يوجد على الأراضي السورية شيء أسمه جيش أو كتائب أو أي تسمية تطلق على مجموعات مسلحة بحسب التسميات العسكرية العصرية، فهي عبارة عن جماعات إسلامية مسلحة منقسمة أيديولوجيا إن كانت قد توحدت في مراحل سابقة لتخفي أجنداتها الخاصة بها إلى أن تسنح الفرصة لإظهارها، والتي هي تكمن بإسقاط النظام كما تدعي. وتتأثر بهذه الانقسامات العمليات القتالية على الأرض، حيث تتعاون الفصائل المختلفة عند الضرورة، ولكنها عدا ذلك لا تمت بصلة إلى بعضها بعضا. ونقلت صحيفة الديلي تلغراف عن أبو بكري الذي يقود كتيبة إسلامية على الخطوط الأمامية لجبهة حلب، تسمي نفسها "كتيبة أبو عمارة" أنه يشعر بالاهانة إذا حُسب على الجيش السوري الحر.

ولكن مع غياب الحل العسكري وإصرار الروس على الحل الدبلوماسي والقبول الأمريكي لهذا الحل بعد صفقة الأسلحة الكيماوية أدى إلى إبراز كل فصيل مسلح لرؤيته وخلفيته وهويته التي كانت مخفية تحت عباءة الجيش الحر بمباركة المعارضة السورية الخارجية ومباركة دولية عربية، إقليمية و غربية، لكي تجد لها ولداعميها من الدول التي لها دور في الحرب السورية موطئ قدم في مؤتمرات المعارضة المختلفة. فالجماعات الإسلامية المسلحة الأكثر فاعلية وقوة في سوريا هي :

جماعات إسلامية تابعة لتركيا: ذو توجه إسلامي معتدل أو ما يسمى بالإسلام السياسي متمثلة بالجيش الحر تطالب بدولة إسلامية سنية وإعادة أمجاد "الإمبراطورية العثمانية" .

جماعات إسلامية تابعة لدول الغرب بشكل عام وأي دولة إقليمية أجنبية وعربية بشكل واضح ذو توجه إسلامي يطالب بتطبيق الشريعة الإسلامية،ويضم في صفوفها جميع السلفيات الإسلامية ، وهي على علاقة وثيقة بالمخابرات الأميركية والألمانية تقوم بتدريب عصابات ومرتزقة منضوية تحت لواء"الجيش الحر"كـ " لواء عاصفة الشمال " تتم تدريبها في"لواء اسكندرونة "في تركيا من خلال شركة "بلاك ووتر والموساد الإسرائيلي" وقسم آخر في الإمارات العربية المتحدة "أبو ظبي". و"كتائب غرباء الشام- لواء الأمة في رأس العين " التي هي صنيعة المخابرات السورية فهذه الكتائب منذ نشأتها لم تحارب النظام في مراكزه الرئيسية وإنما حاربت الكرد وقوات الحماية الشعبية ي ب غ فقط و نجحت إلى حد بعيد في جر الكتائب التي كانت تقاتل النظام فعلياً إلى القتال ضد وحدات الحماية والكرد من خلال مناشدة الكتائب والألوية الإسلامية إلى التوجه إلى محاربة الكرد من

خلال فتاوي تكفير الكرد الذين هم بالأصل مسلمين.

جماعات إسلامية تابعة للملكة العربية السعودية : ذو توجه سلفي وهابي متمثلة "بجيش الإسلام" تحت قيادة الشيخ زهران علوش. "تطالب بخلافة إسلامية أموية".

جماعات إسلامية تابعة لدولة قطر: ذو توجه سلفي معتدل أصلاحي "إخوان مسلمين" متمثلة ب "جيش محمد" لواء التوحيد وكتائب الفاروق و غرفة عمليات دمشق التي هي مدعومة من مجلس الداعمين الكويتيين وهذا المجلس ذو خلفية أخوانية يطالب بقيام دولة سورية حديثة وحضارية، تتبناها وتدعو إليها، وهي دولة ذات مرجعية تنبثق من هوية الأمة العربية الإسلامية وثوابتها.

السماح للنظام السوري بالسيطرة على حمص والساحل بدعم روسي "إيراني وإقناع القوى المعتدلة بالتفاهم مع النظام المتحصن بحجة حقن الدماء.

وجماعات إسلامية تابعة للقاعدة: ذو توجه سلفي تكفيري جهادي متطرف، تتبنى فكر "تنظيم القاعدة" و كل فصيل يسمى نفسه بـ " المجاهدين" والدولة الإسلامية في العراق والشام "داعش" وجبهة النصرة والكتائب المتشددة. التي تطالب بالجهاد الدولي .وإقامة دولة الخلافة الإسلامية "دولة الله" المنشودة على الأرض، وتتلقى دعما هائلا من مصادر تعتبر غير معروفة ولكن تنشر بعض الصحف أن الذي يديرها "أمير الجهاد في الهلال الخصيب" بندر بن سلطان، رئيس جهاز المخابرات السعودية والسفير السابق لدى واشنطن، كما تدعم القاعدة دول أخرى مثل قطر كونها دولة عربية وإسلامية وتركيا السند والجسر "المعبر" وكل من الأردن المنفذ للدور السعودي على الأرض، ولبنان بطرفيه السني والشيعي وإيران التي تتخلص من السنة في محافظاتها بإرسالهم للجهاد في سوريا والنظام السوري لتأكيده على الإدعاء الذي أطلقه منذ بداية "الثورة" في سوريا أي أنها تحارب الإرهاب، والمثلث الغربي بريطانيا، الولايات المتحدة ، وفرنسا لحماية حليفتها اسرائيل ويعتبر الدور الألماني شبيها إلى حد بعيد بالدور التركي "الجسر"بالنسبة للمثلث الغربي، وروسيا التي تريد التخلص من الجهاديين في القوقاز "الشيشان" باستنزافهم في سوريا .

وفي تغريدة على موقع التواصل الاجتماعي "التويتر" والذي ينشر تقارير إستخباراتية من داخل العائلة المالكة، وتثبت صحتها فيما بعد، يقول المغرد بخصوص الدور السعودي في سوريا :

البند الأول: دعم الفصائل المعتدلة ماليا وعسكريا مقابل حصارها للفصائل التي تسمى متطرفة وإبعادها عن ساحة الجهاد في سوريا.

البند الثاني: السماح للنظام السوري بالسيطرة على حمص والساحل بدعم روسي "إيراني وإقناع القوى المعتدلة بالتفاهم مع النظام المتحصن بحجة حقن الدماء.

البند الثالث: موافقة الفصائل "المعتدلة" على مراقبة دولية بعد إيقاف القتال والقبول بالتفاهمات الإقليمية والعالمية التي تمليها السعودية وأميركا

ونبه المغرد إلى أنه رغم المواقف النظرية في سحب السفير وبعض التصريحات المنتقدة للنظام السوري كان موقف الحكومة السعودية الحقيقي ضد نجاح الثورة لسببين:

الأول أن نجاح الثورة سيكون استنهاضا للشعب السعودي للثورة فكان لابد من إفشالها أو إطالتها وبيان الدمار منها حتى يتخوف الناس من الثورات.

أما السبب الثاني تنفيذ مراد أميركا التي لا تريد نظاما يمثل الشعب السوري بمحاذاة إسرائيل لأن وجوده يعني السعي عاجلا أو آجلا لتحرير فلسطين جهاديا. واعتبر أنه "لهذا

فرغم أن الحكومة السعودية تعرف الدور الإيراني في سوريا فقد كان موقفها صارما ضد أي دعم للثورة السورية حتى لو أحرجها ذلك شعبيا وإسلاميا". ونبه إلى أنه "في موازاة هذا الحصار للدعم كان هناك جهد حثيث تبذله المخابرات السعودية مع الأردنية والأمريكية في إنشاء صحوات سورية على غرار الصحوات العراقية، وهناك مؤتمر خاص انعقد في الإمارات العربية المتحدة حضره عدد من الفصائل التي تسمى معتدلة بإشراف سعودي ومشاركة أميركية، وأنه جرى في المؤتمر إقناع هذه الفصائل بأن النظام يستحيل سقوطه وينبغي الاكتفاء بحصره في المثلث العلوي الشيعي والقبول بوقف إطلاق النار، ويتعهد الأميركيون والسعوديون بدعم هذه الفصائل بالأسلحة والذخائر لمحاصرة النظام في المثلث العلوي الشيعي بشرط الموافقة على مراقبين دوليين. وأضاف "خلافا لما يدعي البعض فلن يكون هناك أي تدخل عسكري مباشر ولا حظر جوي ولا مشاركة سعودية أو أردنية رسمية أو غير رسمية في القتال"، مشيراً إلى أنه "وافقت روسيا على هذا الترتيب ولا تزال إيران متحفظة لكنها لم ترفض، وأما الفصائل فقد وافق بعضها وبدأت "باستلام سلاح نوعي وتنفيذ المطلوب منها، ونبه إلى أنه "استفادت السعودية وأميركا من الخلاف الذي دب في جبهة النصرة لكنهم يلاقون صعوبة بالغة في التأثير على الجبهة التي شكلها **" كتائب أحرار الشام"**، مشيراً إلى أن "هذه التخطيطات خاضعة للنجاح في تغليب هذه الفصائل التي تسمى معتدلة وهي مهمة فيها درجة عالية من المجازفة كما ذكر له مصدر مخابراتي سعودي رفيع".و "أكد لي نفس المصدر أن اختراق المجاهدين السوريين أصعب من المجاهدين العراقيين وأن المجاهدين السوريين يستخدمون بجدارة العمل المخابراتي المضاد.

وبالرغم من أن الحرب ساعدت على انتشار واسع للفكر السلفي إلا أن انتشاره الطارئ أقرب ما يكون إلى أداة حرب؛ إذ لم يأخذ من الوقت ما يكفي ليتحول اعتقادًا راسخًا، ولهذا فإن خارطة الانتشار الجديدة للفكر السلفي معرضة للتغير بشكل كبير بعد أن تضع الحرب أوزارها. غير أنه من الجدير **بالملاحظة أن النزوع السلفي الجديد كان عمومًا بين مقاتلي الكتائب الثورية وليس انتشارًا في أوساط المدنيين، لكن مع التأكيد** على أن تأثيره سيمتد فيما بعد إلى حاضنته الاجتماعية، وخصوصًا في المنابت التي ينحدر منها هؤلاء المقاتلون.

ومجمل هذه الجماعات تدار بالسياسة المتبعة لإدارة هذه المرحلة "ربيع الشعوب" من خلال المستشارين الغربيين لدول "المثلث الغربي"في ظاهره ولكن تدار في الخفاء بواسطة اللاعب الرئيسي الجار لسوريا "إسرائيل" وبموافقة سورية غير معلنة.

والأمر اللافت في آلية القتال المعمول بها لدى مجمل هذه الجماعات الإسلامية على الأرض في قتالها هي التمهيد لإعادة دولة الخلافة

الإسلامية إبان الفتوحات الإسلامية ونهجها المتمثل بالغزوات والغنائم بعد وفاة النبي محمد

وتبقى مجمل الجماعات الإسلامية المحاربة على الأرض تعمل وفق أجندات دول إقليمية مقابل حصولها على الدعم المادي العسكري واللوجستي والدعم المعنوي بالغطاء الشرعي الإعلامي وهي تخضع بالمطلق لسياسات هذه الدول وأجنداتها وتعمل لحسابها ،ولكن برز في الآونة الأخيرة ظاهرة التبرؤ من الجيش الحر والائتلاف المعارض من قبل أهم الفصائل المسلحة على الأرض ،لأسباب تتعلق بالمناطق الخاضعة لسلطتها وأماكن نفوذها وسيطرتها التي بمنظورها حكومة الائتلاف وحكومتها قادمة لتثبت دعائمها على مناطق "خاضعة لسيطرتها ".

أن النزوع السلفي الجديد كان عمومًا بين مقاتلي الكتائب الثورية وليس انتشارًا في أوساط المدنيين،

فالجماعات المرتبطة بتنظيم القاعدة تم فقد السيطرة عليها بعد أن أسست هذه الفصائل دعائمها على مواقع إستراتيجية من الأراضي السورية ولأنها من جهة أخرى تعتبر على لوائح الإرهاب الدولي "فلا يمكن أن يكون طرفا في المفاوضات" سواء في جنيف أو أي محفل دولي مما يغلق الأبواب أمام أي حلول مستقبلية للحرب السورية،وبذلك يطول أمد الحرب إلى سنوات عديدة غير معلومة النهاية.

والجماعات المرتبطة بالجيش الحر إما انشقت معظمها عن هذا الجيش أو هرب أفرادها إلى الأراضي التركية أو إلى الأماكن التي هي تحت السيطرة الكردية.

والجماعات المرتبطة بالإخوان المسلمين باتت هي الأخرى معرضة للتقلص إما نتيجة تغير ولاء أفرادها لصالح القاعدة نتيجة تشابه في الفكر، أو لصالح الفصيل الوهابي المتمثل بـ جيش الإسلام نتيجة الإغراءات المادية الهائلة المتمثلة بالداعم السعودي الذي مازال هذا الفصيل يأتمر بأوامره.

وبحسب جريدة «الحياة»، فإن الخطة المتفق عليها بين هذه الفصائل، مدعومة إقليميا استباقاً للحل السياسي، تقوم على ثلاث مراحل: إصدار بيان نزع الشرعية من «الائتلاف» وتنظيمها صفوفها وتوحدها في كتلتين رئيستين. واحدة في الشمال والثانية في الجنوب، إعلان حكومة عسكرية لـ «إعطاء القرار للعسكر في الداخل» والتعبير عن الموقف السياسي لهذه القوى الإسلامية القائم على «إسقاط النظام بكل رموزه وأركانه» ما يعني «رفض الحوار أو التفاوض» معه.

في شمال سورية قرب حدود تركيا، من المقرر أن يتشكل «جيش محمد» وهذا ما تم بالفعل من جماعات «أحرار الشام» و«لواء التوحيد» المنضوية تحت لواء «الجبهة الإسلامية السورية». ووفق وثيقة اطلعت «الحياة» على نصها، توافرت شروط ضرورة تشكيل «جيش إسلامي تكون نواته الفصائل الإسلامية الأكثر تأثيراً والأكبر حجماً، مع مراعاة الظروف المحيطة بالثورة عبر التدرج في تأسيس هذا الجيش بحيث لا يؤثر في جبهات القتال» ضد قوات النظام. وتضيف الوثيقة، التي تضم 20 صفحة، أن تأسيس الجيش المذكور سيتم على ست مراحل وتنتهي في كانون الأول (ديسمبر) من عام 2014 «يتخللها تحقيق أهداف مرحلية أيضاً تتجسد في توحيد الجيش تحت قيادة موحدة ويكون قوامه مئة ألف مقاتل خلال 18 شهراً وصولاً إلى 250 ألفاً خلال 30 شهراً، مع ضرورة التخلص من فوضى السلاح وتأمينه ذاتياً من طريق التصنيع».

في غوطة دمشق جنوب البلاد قرب حدود الأردن، أُعلن عن تأسيس «جيش الإسلام» من 43 فصيلاً رئيسياً بينها «لواء الإسلام» بزعامة زهران علوش الذي أصبح زعيماً للتكتل الجديد، إضافة إلى رئاسته «جبهة تحرير سورية» التي تعتبر منافسة أو موازية لـ «الجبهة السورية الإسلامية». وشارك في

«جيش الإسلام» فصائل بينها «لواء سيف الحق» و«لواء درع الغوطة» و«لواء الفاروق» و «لواء جبهة الساحل».

من خلال تكشف خلفيات كل فصيل مسلح وتبعيته من الملاحظ أن كل فصيل يرغب بالتخلص من التبعية للخارج والحفاظ على الأراضي الواقعة تحت سيطرته وكسب المزيد من الأراضي والموارد بترولية أو غذائية الأمر التي تمكنها من فرض شروطها على الإطراف الفاعلة في الأزمة السورية .

الانتشار العسكري للجماعات المسلحة :

و"أسلوب الكتائب المسلحة امتداد للجيش الإنكشاري في القرن الواحد والعشرين".

فمن خلال خرائط التوزيع الكثافي للسكان تنتشر العمليات العسكرية في المناطق الآهلة بالسكان، حين تغيب عن المناطق غير الآهلة والتي تعتبر من المواقع الأكثر تحصينا من الناحية العسكرية فهي لا تكون هدفا للجماعات المسلحة "معارضة أو النظام"

ورغم الوضع المعقد والمتشابك للحالة السورية التي تعيد للأذهان مرحلة سوريا بعد الاستقلال عن فرنسا، والانقلابات المتتالية التي جعلت من الدولة السورية عبارة عن مسخ ليس لها أي ملامح دولة على الخريطة الجيوسياسية الإقليمية والعالمية نتيجة ولادة هذه الدولة غير الطبيعية على يد دول أجنبية متمثلة باتفاقية سايكس- بيكو وخرائط التقسيم التي ما تنفك تبدأ بالظهور مع وقوع أي دولة من دول الشرق الأوسط تحت دائرة الأضواء العالمية الممهدة لسقوطها والتشرذم الحاصل حاليا في صفوف المعارضة السورية بشقيها العسكري والسياسي ما هو إلا نتيجة للسياسات التي مورست على هذه الدولة منذ نشأتها وحتى بعد استقلالها التي تم تنصيب حكومات ورؤساء على أساس الحفاظ على هذه السياسة المتمثلة باللعب على الخيوط الطائفية والقومية المذهبية العشائرية لهذا الخليط غير المتجانس من التركيبة السكانية

أسباب الفشل الذريع للمعارضة السورية المسلحة والسياسية:

منذ البدء بعسكرة الثورة السورية وانشقاق الضابط في الجيش السوري حسين هرموش والخروج إلى تركيا معلنا تشكيل لواء الضباط الأحرار الذي يعتبر نواة تشكيل الجيش السوري الحر وهذا إبان الحرب الدائرة في ليبيا بين المعارضة الإسلامية وكتائب القذافي وتنامي الشعار والنزعة الإسلامية للحرب الليبية بدعم عربي وغربي، وبعد تمكن الإسلاميين في ليبيا من إسقاط نظام القذافي مستعينا بحلف الناتو والقوى الكبرى واستقدام نموذج الإسلام السياسي المعمول به في تركيا لدول الثورات العربية بعد هيمنة الإسلاميين على هذه الثورات ارتأت المعارضة السورية وحتى العلمانية منها، المهيمنة عليها من الفصيل الأكثر تنظيما والأكثر مناسبة للدول الإقليمية والغربية المتمثل بتنظيم الإخوان المسلمين والتي ارتأت أنه الأنموذج الأمثل لإسقاط النظام السوري يتمثل باستقدام الغرب أي التدخل الخارجي على غرار ما جرى في ليبيا وأول خطوة بدأت بتسليم الضابط هرموش إلى المخابرات السورية الذي كان ذو خطاب علماني يرفض أسلمة الثورة، وضرب الجيش النظامي السوري .

وتنامي الشعار الإسلامي السلفي للمتظاهرين والكتائب المسلحة التي تشكلت فيما بعد من بضع عشرات من العسكريين المنشقين و الآخرين من المدنيين ذي التوجه السلفي "بجميع أشكاله "السلفي الاخواني، السلفي الوهابي ،السلفي الجهادي والسلفي الشيعي".

فالحالة السورية سابقا والتي مرت بمراحل عدة من الثورة إلى الأزمة إلى الصراع على السلطة مرورا بالحرب القذرة المفتوحة الأبواب، كل الأطراف الفاعلة والتي لها دور في مجريات الأحداث على الحالة السورية حاولت بشكل أو بأخر فرض نموذجها وأجندتها خلال إدارتها الأزمة في سورية وفرض نظام الحكم المعمول به في دولها

وأبرزها تركيا بعد أن تم تسليم الملف السوري بالكامل إليها من الولايات المتحدة فتم إنشاء الهيئة العامة لقوى الثورة السورية والجيش الحر بدعم من الحكومة التركية ، وما أن طال أمد النزاع في سوريا والتخبط الحاصل داخل أماكن صنع القرار في تركيا متمثلا برئيس الوزراء التركي "رجب طيب اردوغان" وعدم الوفاء بالتعهدات التي قطعها على نفسه، وللشعب السوري بأن " تركيا لن تسمح بتكرار مجزرة حماه وحمص "والتي لم تحول دون وقوع عشرات المجازر وامتداد الصراع لتشمل الداخل التركي، من تفجيرات داخل المدن التركية الأمر الذي أدى إلى امتعاض الأحزاب القومية التركية "المعارضة" والطائفة العلوية التركية من التدخل في الشأن السوري ،فتم تسليم الملف السوري إلى دولة قطر الأمير حمد بن جاسم آل ثاني والذي بدوره قام بإنشاء المجلس الوطني السوري الذي يشبه كثيرا المجلس المشكل في ليبيا حيث الهيمنة القطرية على معظم دوائر صنع القرار في ليبيا والذي في أساسه يستند إلى السياسة التي أوجدها "بول بريمر" الحاكم العسكري السابق في العراق إبان الغزو الأمريكي متمثلة بتشكيل مجلس الحكم الانتقالي و بعدها المجلس الوطني العراقي .

وما أن فشل المجلس الوطني السوري نتيجة هيمنة طرف واحد عليه "الإخوان" حتى تم دعوة المعارضة إلى الدوحة مرة أخرى وتشكيل الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السوري بدعم من السعودية وتحت رعاية إقليمية وغطاء شرعي دولي متمثل بدول أصدقاء الشعب السوري . وبتسليم الملف السوري كاملا إلى السعودية وتنازل أمير قطر لولده عن السلطة .

وبذلك نستطيع القول بأنه على امتداد الأزمة السورية والحرب الدائرة تدار الأزمة بما يلاءم سياسات الدول الراعية للملف والمعارضة السورية من تركيا التي فتحت أبوبها للتيارات الإسلامية بجميع توجهاتها (الإسلام السياسي المعتدل) وإلى قطر التي فرضت التيارات الجهادية المرتبطة بالقاعدة والإخوان المسلمين وبندر بن سلطان "السعودية" التي استقدمت آلاف المقاتلين الأجانب بأموال النفط وساندت التنظيمات المرتبطة بالقاعدة كجبهة النصرة وداعش وبهذا تم ربط مسار السورة السورية بسياسة الدولة المعنية بالملف السوري .

والصراع في سوريا اخذ منحاً آخر وهو صراع النماذج أو شكل النظام الذي سيدار به البلاد بعد السقوط المزمع لنظام الأسد ولكن عدم توفر البديل الملائم للنظام السوري نتيجة التمسك الروسي الثابت بضرورة حل الأزمة بالطرق الدبلوماسية ورفض الحل العسكري وتشرذم المعارضة وانقساماتها والفساد المستشري بين أعضاءها وعدم تمكنها من إدارة سياستها في الداخل على الأرض تركت المجال في الساحة السوري مفتوحة الأبواب على تنامي الفصائل المسلحة التي هي أيضا أخذت نفس الدور في مراحل تشكلها بارتباط قياداتها بالدول التي تقوم برعايتها وتوفير المال والسلاح لها .

فالتآكل الحاصل داخل المنظومة الأمنية والعسكرية للنظام السوري نتيجة الانشقاقات المتوالية تارة وسياسة المخابرات السورية التي استفحلت الفراغ الأمني مقصودا لنشر الخوف والذعر بين الموطنين تارة أخرى أسهمت بشكل فعال في تنامي نفوذ الجماعات المسلحة التي لم تر الغطاء السياسي المطلوب لكي تستند عليه في تحركاتها وبقيت مجرد كتائب وألوية غير منظمة ومتناحرة خاضعة لإمرة داعمها ولم تتطور بالشكل المطلوب وتتوحد حتى في الإطار المعلن الجيش السوري الحر والائتلاف همه الوحيد السيطرة على الأراضي وخاصة في المناطق الحدودية بين حلب وتركيا لما لها من أهمية إستراتيجية متمثلة بخطوط الإمداد وتشبيها بالنموذج الليبي "مدينة بنغازي" التي أمنت في وقتها للكتائب الليبية الملاذ الأمن ومنطقة الحظر الجوي التي شكلت عليها البديل للقذافي.

فما أن بقيت الكتائب المسلحة بدون غطاء سياسي أو حتى عسكري يديرها حتى دخلت على الأزمة السورية النموذج الأكثر تنظيما وقوة متمثلا بـ "الكتائب الموالية لتنظيم القاعدة جبهة النصرة وداعش" التي ليست بحاجة إلى أية غطاء سياسي أو عسكري يدير شؤونها فهي تملك السلاح الروحي متمثلة بالعقيدة الإسلامية (الايدولوجيا) والفكر المتطرف المتمثل بالجهاد في سبيل الله وباتت هذه المجموعات العقائدية الأكثر فاعلية على الأرض من الكتائب المنشقة عن النظام والأكثر تنظيما وقدرة على القتال فعليا مما أدى إلى استعانة المعارضة السورية بهذه المجموعات وتقديم الغطاء والدعم المباشر لها تحت مسمى الجيش السوري الحر والتي تبرأت هذه المجاميع فيما بعد من الحر والمعارضة وأعلنت الدولة الإسلامية المراد تشكيلها في الأراضي الواقعة تحت سيطرتها .

الكتائب الموالية لتنظيم القاعدة هي جبهة النصرة وداعش التي ليست بحاجة إلى أية غطاء سياسي أو عسكري يدير شؤونها

وللنظام السوري دور أيضاً في تمدد القاعدة على الأرض ،كما أن للولايات المتحدة الدور الأبرز في تعاظم دور القاعدة، فبحسب الباحث فردريك هوف- مركز مجلس الأطلسي للأبحاث

"نهج الولايات المتحدة وابتعادها عن تشجيع المعتدلين في المعارضة خلق حالة تحالف بين الأسد والجهاديين للانقضاض بشكل مشترك على أي حكومة مشكلة في داخل سورية، والحقيقة أن الولايات المتحدة لن تلزم نفسها بتشكيل بديل لـ نظام الأسد لأن هذا البديل سيكون بحاجة إلى الدعم المستمر لضمان استمراره".

فإذا مع غياب البديل والغطاء السياسي للمعضلة السورية جعلت من الأطراف الفاعلة والتي لها دور في الأزمة إلى أدلجة النماذج السابقة التي فشلت بالطرق السياسية وما ذكره احمد طعمة رئيس الحكومة الانتقالية للمعارضة في لقائه مع قناة اورينت "ان الطريق الى الديمقراطية هو اقصر طريق يوصلنا إلى الجنة" أي يحاول الائتلاف بناء إيديولوجيته الخاصة به بدمج العلمانية والسياسة بالدين مع المحافظة على الشكل الديمقراطي في الخطاب الرسمي فإذا النظام والكتائب الإسلامية والكتائب المعتدلة والوحدات الكردية باتت تحارب بأيديولوجيتها.

سايكس – بيكو وحصة المحتل القديم:

والأكثر غرابة في الأزمة السوري غياب الحل الدولي، صحيح يقال بان الحل منحصر بمؤتمر جنيف أو جنيف "2" أو جنيف تحت أي رقم كان. ولكن "شكل النظام والبديل المعقول عن النظام" الذي سيتم تطبيقه في سوريا يبقى غائبا والسبب يكمن في غياب اللاعب التقليدي الرئيسي حتى الآن متمثلا بـ "فرنسا" فمن المعروف أنه في العرف الدولي في القدم و الآن "الاستعمار القديم والحديث"عند القيام بأي دور في دولة ما سياسيا أو عسكريا يتم مشاورة أو أخذ الأذن من الدولة المحتلة سابقا على الدولة المراد التدخل في شؤونها، ومن المعروف أن سوريا من الدول التي كانت في السابق تحت الانتداب الفرنسي فالمسألة السورية برمتها تتوقف على هذه الدولة فعند التدخل في العراق تم تشكيل الحلف الانكلو- أمريكي المستعمر السابق للعراق وقيل آن ذاك بأن الولايات المتحدة وعدت فرنسا بالاستعانة بها في حال التدخل في سوريا ولن تتذوق "الكعكة العراقية" وبما أن فرنسا منشغلة في إفريقيا حاليا "مالي" فيبدوا أنه ستبقى الدول الأخرى عاجزة عن القيام بأي خطوة قبل استيفاء حصة المستعمر القديم والأخذ بالمشورة الضرورية المتبعة حسب توصيات لورنس العرب وكتبه وخرائطه، التي تعتبر

لحد الآن المرجعية الأساسية للدول الغربية.وأكبر دليل على دوام هذه السياسة الحرب الليبية الأخيرة الحلف الأمريكي-الايطالي لإسقاط القذافي.

تنازل معظم الأنظمة العربية للدول الغربية:

فالنظام العراقي فتح البلاد بمصراعيه للجنة المفتشين الدوليين التي أبقت العراق محاصراً لأكثر من 20 عاما لعدم السماح بدخولها إلى العراق وهذه الخطوة لم تغلق الباب أمام التدخل أو الغزو الأمريكي – البريطاني للعراق وكذلك الأمر بالنسبة للنظام الليبي الذي سلم ترسانته النووية مقابل الحفاظ على نظامه ولكن محاولته هي الأخرى باءت بالفشل ايضاً والسودان الدولة التى قبلت بالتقسيم أيضا ولم تسلم حتى الآن من شبح التدخل الغربي لإسقاط النظام هناك والتي بات يعيش الحالة التي مرت بها الدول التي تغيرت أنظمتها والكثير من المراقبين يرون أن تفكيك الملف الكيماوي السوري لن يضمن للنظام السوري بقائه في الحكم ولذلك فالنظام يلوح بأنه يملك خيارات إستراتيجية أخرى رادعة بديلة عن السلاح الكيماوي وإذا كان وليد المعلم قد نوه إلى "وجود أوراق أخرى للنظام غير الأسلحة الكيماوية" فيدل أن النظام لديه ورقة تفاوضية أخرى لبقائه في السلطة لفترة أخرى وعلى الأرجح أن هذه الورقة هي السلاح "النووي-أو البيولوجي(الجرثومي)" التي لم يسلط عليه الضوء حتى الآن رغم ثبوت وجود مفاعلات نووية تم تدميرها من قبل طائرات إسرائيلية في موقع الكبر في دير الزور.

والسبب في ضرب هذه الدول رغم تنازلها واستسلامها للغرب يعود إلى أن الدول المتشكلة في الشرق الأوسط جاءت بدون أن تستمد شرعيتها من شعوبها وكذلك الأمر بالنسبة للمعارضات فإنها تستقدم الغرب لإسقاط أنظمتها التى كان الغرب نفسه يدعمها.

ففي دولة عربية واحدة والتي تعتبر مهد الثورات في الدول العربية تونس يوجد بذرة ثورة حقيقية لم يتم إسقاط نظامها بدعم من الغرب مباشرة على خلاف بقية الدول كـ مصر واليمن وليبيا والعراق وسوريا ولكن تم التسلق عليها فيما بعد من قبل الإسلاميين كونهم الحركات الأكثر تنظيما التي بقيت محافظة على قوتها من بطش الأنظمة الحاكمة لأنها تستند إلى إيديولوجيا وعقيدة روحية .

المطلوب هو أبقاء حالة الصراع اكبر قدر ممكن والاستنزاف الحاصل من الموارد والأرواح البشرية والبنى التحتية هو تفكيك الدولة السورية وتقسيمها إلى خمس دويلات أو أكثر متناحرة محاصرة غير قابلة للحياة بغية تفتيت المنطقة إلى دويلات يكون أكبرها"إسرائيل".وتقسيم "الكعكة السورية " .

خرائط جغرافيا الأزمة:

وبحسب دراسة لـ مركز الأبحاث الغربية (ORC) لخريطة التفتت الوشيك حسب القوى المسيطرة على الأرض والتي نوهت إلى أنه سوريا قد تتحول إلى أقاليم شبه مستقلة إذا ما استمرت الأزمة السورية إلى أمد طويل كما بات متوقعاً، ما يعني دخول سوريا مرحلة التفتيت التدريجي ومعها بعض الدول المجاورة، وهذا ما أشار إليه الرئيس الأميركي باراك أوباما، في زيارة إلى المنطقة حين قال: "إن سوريا تدخل في صراع طويل يستحيل معه الحفاظ على وحدتها الداخلية"، وهذا ما هدد به الرئيس السوري بشار الأسد، في مقابلة تلفزيونية ، "إن تفتيت سوريا سيجر المنطقة إلى تفتيت شامل"، وكرره مساعد وزير الخارجية السوري، فيصل المقداد، أنه "لن تكون هناك دولة سورية بعد بشار الأسد".

خريطة تفتيت سوريا وفق ما وزعتها مراكز الأبحاث والدراسات الغربية، مقسمة إلى ثمانية أقاليم، تتصل معظم الأقاليم بدول مجاورة:

- المنطقة (A) في الشمال يسيطر فيها الإخوان المسلمون عبر الكتائب الإسلامية والحكومة المؤقتة قيد التشكيل، تتصل بتركيا

بحكم الواقع الجغرافي وبحكم العلاقة السياسية بين الأخوان المسلمين وحزب العدالة والتنمية.

- **المنطقة (B) في الشمال الشرقي** حيث تسيطر جهات كردية

- **المنطقة (C) في الجنوب الغربي** حيث تتمركز قوات بشار الأسد في دمشق القديمة وبعض الأجزاء من دمشق الحديثة، ويبذل أقصى جهده لإبقاء ظهره محمياً من جهة الحدود السورية- اللبنانية بالتواصل مع حزب الله. حيث تمتد قوات الأسد عبر شريط "كوريدور" غرب طريق دمشق حمص على امتداد القلمون وتنتشر قوات كبيرة مشتركة للنظام مع ميليشا الدفاع الوطني (قوات علوية تطوعية) وقوات حزب الله عبر الحدود امتداداً إلى بحيرة قطينة جنوب غرب حمص، وتستميت قوات النظام ومقاتلون من حزب الله لإبقاء سيطرتهم عليها.

في الجنوب السوري تتشكل وفق الخريطة ثلاث مناطق نفوذ، حيث يشير التقرير المرفق إلى احتمال تغلغل بعض المجموعات الإسرائيلية في محاولة لتعزيز تواجدها في المنطقة العازلة في الجولان وهذه المنطقة يشار إليها بالمنطقة (C).

كذلك المنطقة (E) الواقعة في الجنوب، وهي منطقة نفوذ مجموعة من شباب السويداء لجأ النظام إلى تسليحهم وتمترسهم فيها.

أما المنطقة (F) في الجنوب أيضاً فتسيطر عليها كتائب عسكرية محلية وجماعات جهادية وإخوانية، وتمتد من حدود الأردن مروراً بمحافظة درعا مع بعض أجزاء ريف دمشق.

وفي وسط سوريا، حيث يتوزع النفوذ بين منطقتين:

المنطقة (G) الوسط الشرقي وتتميز بطبيعتها الجغرافية والديموغرافية التي ترشحها لأن تكون مناطق نزاع مفتوح بين مكوناتها، وهذه المنطقة تمتد من حمص (منطقة الغاب، مثل قلعة الحصن، والعريضة، وتلكلخ، والناصرية) إلى حماه، وهي مناطق ريفية ذات الغالبية السنية، تعتمد على الزراعة.

والمنطقة (H) في الوسط الشرقي والتي تمتد على طول الشريط النهري للفرات من الرقة شمالاً إلى البوكمال جنوباً وتقع تحت سيطرة تيارات إسلامية وعشائر سنية اخوانية، متداخلة والداخل العراقي لناحية الأنبار، ومنطقة الجزيرة السورية شمالاً ومع البادية السورية وصولاً لحواف حماه وحمص غرباً. ويمكن ربط هذه المنطقة بمنطقة الشمال الغربي ذات الغالبية السنية وفق ما يشير إلى ذلك تقرير مركز الأبحاث.

كيانات غير مستقرة وملحقة:

ويشير التقرير إلى أن "أياً من تلك المناطق لا تملك مقومات الاستقرار ككيانات جديدة إلا إذا تم إلحاقها بالدول المجاورة وبذلك فإن الكيان العلوي ترتسم حدوده بشكل أكثر دقة، ليضم الساحل، ودمشق، والذي يمتد عبوراً إلى لبنان عبر التماهي مع الهرمل والبقاع وصولاً إلى طريق حمص- لبنان، حيث تنتشر قوات حزب الله على طرفي الحدود، وتقوم بإدارة نقاط حدودية وتتماهى الحدود السورية اللبنانية وصولاً إلى بحيرة قطينة في جنوب غرب حمص. ويتطلب استقرار هذه المنطقة عمليات تطهير وتهجير للسنة على طول الشريط الساحلي والمناطق الحدودية".

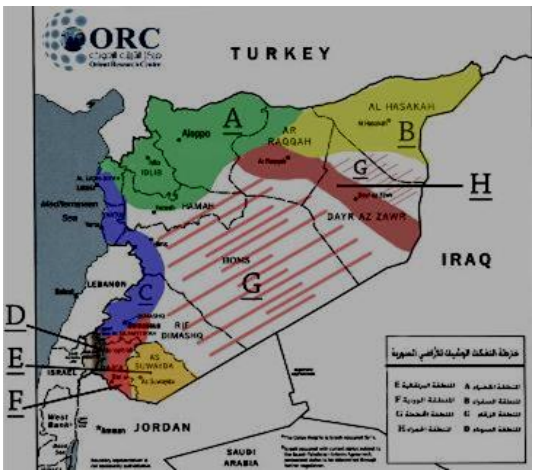

يعزز التقرير فكرة انتقال حالة التفتيت إذا ما حصلت في سوريا إلى دول أخرى مجاورة، بفعل تلاقي انهيار الدولة السورية مع وجود دولتين مجاورتين فاشلتين "العراق ولبنان" ليفتح إمكانيات فوضى إقليمية واسعة تؤسس لحرب طائفية وجبهات صراع إقليمي بين الدول النافذة "إيران وتركيا وإسرائيل"، بحيث يصعب بشكل كبير بقاء أي منهم خارج الصراع.

الكرد والمعادلة الداخلية والإقليمية :

الفصيل الكردي المتمثل بمجلس الشعب لغربي كردستان ينطبق عليها المثل المعكوس **"حتى عدو عدوي ليس بصديقي "**

المعارضة الكردية المتمثلة بالأحزاب التقليدية الكردية المنضوية تحت المجلس الوطني الكردي الذي هو ورغم تسميته بالكردية ،إلا أنه ومن خلال عمله رديف للمعارضة السورية بصبغة كردية فمن التسمية "المجلس الوطني" وإلى أسلوب العمل على الساحة الكردية بتبعيته لسياسة خارجية يبقى هذا المجلس أيضا يعاني من الانقسام والتشتت وهيمنة حزب مدعوم من حكومة جنوب كردستان الآمر الناهي على معظم القرار السياسي لمعظم هذه الأحزاب .

أما مجلس الشعب لغربي كردستان فهو يقوم بإدارة المناطق الكردية بشكل متوازي سياسياً واقتصادياً والتي تعيش حالياً فراغا أمنيا.

الاقتتال الكردي – الكردي ودور "الطابور الخامس"

والحرب الأهلية التي هي مشتعلة الآن في جميع المناطق السورية ، ولم تصل نيرانها بعد إلى غربي كردستان، باتت هي الورقة الأخيرة التي بقيت بيد كل الأطراف التي تحارب الحركة الوطنية الكردية. بعد فشل جميع المؤامرات والمخططات على مدى سنوات بدءاً من اتفاقية أضنة 1988 بين الحكومتين التركية – السورية .التي كانت أدواتها سياسية وفكرية .والتي تطورت في خضام الثورة السورية ومحاربة الكرد بكل الأدوات والسبل العسكرية والسياسية. والمعركة المرتقبة التي تتمثل بالاقتتال الكردي – الكردي والتي بدت شرارتها في أحداث عامودا، والتي انطفأت على يد قوات الحماية.

المجلس الوطني الكردي الذي هو ورغم تسميته بالكردية ،إلا أنه ومن خلال عمله رديف للمعارضة السورية بصبغة كردية

وانتصارات قوات الحماية في المرحلة الراهنة وتقدمها الهائل، أمام داعش والنصرة قابلها المزيد من اللملمة والتوحد بين الكتائب الكردية الجهادية والإسلامية، متمثلة بالمجلس العسكري الثوري الكردي "الكوملة" والجبهة الإسلامية الكردية والكتائب والألوية المتفرقة وتشكيلهم غرف عمليات مشتركة.ويبدو أن الخطة هي إذا ما تمكنت قوات الحماية من السيطرة على مجمل مناطق ومدن غربي كردستان، وقوات الحماية بالنسبة للإسلاميين من العرب والأجانب هي جهة "كردية".فلا بد أن يتم تسليم هذه المناطق إلى جهة كردية هي شريكة للمعارضة السورية، والكتائب الإسلامية والجهادية.بغية اختلاق اقتتال كردي- كردي ،على مناطق تمكنت قوات الحماية من طرد هذه المجاميع منها أصلاً.أي أنه عندما كانت الأرض في يد هذه المجاميع، كان الكرد المتعاونين معهم غير مسموح لهم السيطرة أو المشاركة في هذه الأراضي، ولقلب الحقائق وانتصارات قوات الحماية، من خلال الإدعاء أن هذه المناطق كردية وتمت تسليمها إلى الكرد الذين يحاربون بجانب المعارضة السورية والمجاميع الإسلامية والجهادية، ولأن قوات الحماية ترفض تشكيل قوة عسكرية غيرها على الساحة فسيتم "شرعنة" الاقتتال معها. وظهور أعلام "الجبهة الإسلامية الكردية في تل علو وتل كوجر ماهي إلا دليل على أن هذه القوى تريد الإظهار للرأي العام المحلي والعالمي أنه

الحرب الدائرة في المناطق الكردية ،هي صراع على الأراضي بين طرفين كردي- كردي و كردي - عربي .

وهذا الحراك العسكري الكردي المناوئ لقوات الحماية، من عمليات الاندماج وتوحيد الصفوف ،بغية تشكيل كيان عسكري منظم وموحد بنفس الصفات التي يتحلى بها قوات الحماية .محاولة ليكون بديلا عن قوات الحماية الشعبية ال ي ب غ أو إضعافها وخلق توازن بين قوتين تتبعان نهجين وفكرين مختلفين، وتعتبران متضادين، يمكن أن ينشغلاً بحرب استنزاف طويلة الأمد يكون الرابح الأكبر فيها (خاسراً).

وهذه الفصائل العسكرية والتي انضمت إلى "الكوملة" الآن والتي كانت قد ولدت من رحم جماعات إسلامية وسلفية وجهادية تملك أذرع ومؤسسات إغاثية ومدنية

ويبدو أن المهمة ألقيت على عاتق الفصيل العسكري الذي بات يشكل جسده من بقايا الكتائب التي كانت في الصف الأول في محاربتها لقوات الحماية، وكانت قد منيت بهزائم كبيرة ،وبات الآن يخرج من الجسد العسكري للكتائب الإسلامية والقاعدية التي كانت قد أعلنت في مرحلة سابقة انضمامه إليه وقتاله بجانبها، وبدأت التوحد والاندماج تحت راية "الكوملة"وهذه الخطوات ليست بأي شكل من الأشكال عملية اعتباطية أو نتيجة صلة قرابة "كردياتية" بل هي تتم وفق خطة وأجندة مدروسة ،وهي خلق كتلة قوية منظمة سلاحها "الاقتتال الكردي – الكردي" ،تكمل المهمة التي لم تستطع أن تنجزها، أخواتها في الكتائب الإسلامية والجهادية بقضائها على قوات الحماية الكردية ي ب غ وثم القضاء على الحركة الوطنية الكردية .

وهذه الفصائل العسكرية والتي انضمت إلى "الكوملة" الآن والتي كانت قد ولدت من رحم جماعات إسلامية وسلفية وجهادية تملك أذرع ومؤسسات إغاثية ومدنية، وبتمويل مادي ضخم لتستغل الظروف والحاجة التي يمر بها المواطن الكردي في غرب كردستان في الداخل نتيجة تردي الوضع الخدمي والمعيشي. وفي الخارج وفي معسكرات اللجوء في جنوب كردستان وتركيا، يقوم بتقديم المساعدة ويد العون إلى هؤلاء اللاجئين بغية كسبهم، وإنشاء نواة عسكرية في معسكرات اللجوء، على غرار ما قامت به المعارضة السورية في معسكرات اللجوء الخاصة بها، التي غذتها بآلاف من المقاتلين.

ظاهرة تشكيل الكتائب والألوية السورية :

معركة تثبيت الأقدام بين الفصائل المسلحة على الأراضي المسيطرة من خلال الحفاظ عليها وإدارتها بما تناسب إيديولوجيتها كإنشاء محاكم شرعية وشبه مؤسسات خدمية ومناهج تربوية " إسلامية" لتدريس الطلاب الفكر الذي يتبناه كل فصيل.

كون داعش أو جبهة النصرة المرتبطة بالقاعدة تتلقى الدعم الهائل لأنه على المدى البعيد لا يمكن لهذه الفصائل أن تحافظ على الأراضي التي استولت عليها كونها لا تحظى بالشرعية والاعتراف الدوليين ومصنفة كتنظيمات إرهابية محظورة ولا تلقى القبول من كل الأطراف الفاعلة والمؤثرة في الأزمة السورية وهي ستكون المبرر الشرعي للتدخل الخارجي في سوريا وهذا ما تريده معظم الأطراف والقوى الفاعلة والمؤثرة على الملف السوري، أي دعم التنظيمات القاعدية ومساعدتها على السيطرة على الأراضي، وإسقاط النظام أو حتى بقائه لن يحول دون التدخل الخارجي المنشود من قبل هذه الأطراف .

وقد تبين على امتداد الحالة السورية أن المعارضة السورية التي لاقت الشرعية الدولية لا تريد وبل ترفض أي حلول إلا بتفكك الدولة

والنظام السوري على غرار ما جرى في العراق، إنتهاءً بـ ليبيا، وبتدخل خارجي.لذا طغى على المشهد العسكري السوري الخلاف الذي أمتد إلى الحرب بين الكتائب التي كانت تدعي أنها تحارب لسقوط النظام.

وذلك بعد تمكن الجماعات الإسلامية المرتبطة بالقاعدة من السيطرة على الأراضي الواقعة تحت سيطرة المعارضة والجيش الحر، وطردها من هذه المناطق خوفا من تحويل هذه الكتائب "الجيش الحر" إلى صحوات على يد الولايات المتحدة وحلفائها، على غرار ما جرى في العراق، وهذا ما تم تأكيده على لسان "أبو محمد العدناني الشامي"المتحدث الرسمي لداعش. ولم تكتف بطرد هذه الكتائب من هذه المناطق ولكن استفاد داعش من دروس العراق وبدأ بإنشاء البديل أو الاحتياط الشرعي التي تنخرط مع الفصائل الأخرى، وتعمل تحت إمرتها دون إعلان ولائها للقاعدة لضمان استمرار حصولها على السلاح والمؤن اللازمة لها من خلال أذرع لها تعمل في الخفاء، في حال أنقلب عليها داعموها الدوليين.

فجبهة النصرة و حركة أحرار الشام وغيرها من التنظيمات التي تبدأ اسمها بمصطلح "حركة" حركة الفجر الإسلامية – الحركة الإسلامية الكوردية - الحركة التركمانية الديمقراطية السورية – تعتبر المحرك الرئيسي لتأمين الدعم اللازم للقاعدة في سوريا. وتعد حركة أحرار الشام (حاشا) المحرك الرئيسي والنواة لمعظم الحركات والكتائب المتشكلة الأخرى، فهي تنتشر في معظم المناطق السورية وتشارك في جميع الأنشطة "العسكرية منها والسياسية" والأنشطة غير العسكرية، مثل تعليم الأطفال، وتوزيع المعونات، وإقامة المحاكم الشرعية في المناطق التي تسيطر عليها. وأكد أبو مصطفى مسؤول العلاقات الإعلامية في الجبهة الإسلامية السورية والعلاقات الخارجية لحركة أحرار الشام لقناة " فرانس 24" أن جميع مقاتلي التشكيل سوريو الجنسية ولكنه لم يرد أن يكشف عن عددهم. وأن هدف "الجبهة الإسلامية" هو تطبيق الشريعة في سوريا. فحركة أحرار الشام بمثابة

حصان طروادة توجد لها أفراد وأذرع في داخل جميع الفصائل المسلحة والسياسة للمعارضة وحتى داخل النظام ، وهي المحرك الرئيسي لكثير الأطراف والكتائب الكردية الموالية للجماعات المسلحة ،فالجماعات التي ترتبط بالقاعدة في الخفاء ،تحاول الإفلات من إدراجها أيضاً على لوائح الإرهاب والتي تمنع عنهم التسليح الغربي والعربي, فهي تعمل على إيجاد مجموعات "ظل" تعمل تحت تسميات جديدة تتحاشى الاحتكاك بأي فصيل عسكري آخر، ويقتصر دورها على تأمين الدعم للقاعدة،فجبهة النصرة جذورها أتت من تنظيم "جند الشام" الذي شكله أسامة بن لادن ومع الأزمة السورية غير شكله وشكل كتائب أحرار الشام ثم إلى لواء أحرار الشام وإلى حركة أحرار الشام" الذي بدوره شكل جبهة النصرة ومازال يشكل تنظيمات وتشكيلات كل يوم لكي يختلط الحابل بالنابل ويخفي خلفيته القاعدية.

نجحت "داعش" بضم غالبية كتائب "جبهة النصرة" وبالتالي أنجزت الخطة الثانية، والخطة الثالثة ، هي الانتهاء من الجيش الحر بشكل نهائي

في إستراتيجيات "داعش":

مرّت المعارضة السورية المسلحة بمخاض عسير وصولاً لتشريع عمل تنظيم القاعدة في سوريا تحت أسم "داعش"، بدأت هذه الإستراتيجية بخطة "الإستراتيجية الخشنة للاستيلاء الناعم" على "الثورة السورية" حيث حدّدت يومها "جبهة النصرة" الأخت الشقيقة لـ "داعش" الطريق العسيرة للسيطرة على الجيش السوري الحر وكتائبه وأبادت من هو معارض لها في هذا "الجيش"، حيث نفذ يومها عشرات

الانشقاقات من كتائب "الحر" وانضمت لـ "النصرة" وبدأت يومها "النصرة" حربا ضد الجيش الحر وطرده من المناطق وبدء مسار الانقضاض على "المعارضة" لشرعنة القاعدة التي أسّس "الجيش الحر" في الأساس من عناصر إسلاميّة متطرّفة ذات ميول سلفيّة وهابيّة.

أتت المرحلة الثانية وهي مرحلة ضم جبهة النصرة للدولة الإسلامية، لتوحيد عمل القاعدة ضمن إطار تنظيمي واحد، وضمّه إلى قيادة واحدة مركزها العراق، تكون على نهج "دولة الخلافة" ويكون لها أمير، وهذا ما قيل في الإعلام انه رفض من أمير "جبهة النصرة" أبو محمد الجولاني، ولكنه كلام إعلامي فقط. نجحت "داعش" بضم غالبية كتائب "جبهة النصرة" وبالتالي أنجزت الخطة الثانية، والخطة الثالثة ، هي الانتهاء من الجيش الحر بشكل نهائي، اي عسكرياً في الميدان، والسيطرة على المدن التي ذكرت آنفاً وضمها للدولة الاسلامية، وبالتالي إعلان الامارة، وتكون "القاعدة" بذلك قد أنهت خططها الاستراتيجية بإنهاء جميع فصائل المعارضة، وبالتالي "تقعيد" (من قاعدة) المعارضة السورية المسلحة ككل.

وفكرة الهيئة الشرعية منتشرة على نطاق واسع.وهي فكرة شبيهة بتلك التي كانت للفصائل الأفغانية أيام الجهاد ضد النظام السوفيتي والحكومة الموالية له

أبرز الجماعات التي تصنف بالمتشددة :

• صقور الاسلام• جيش المهاجرين والأنصار • آحفاد الرسول • حركة الفجرالاسلامية • كتائب أحرار الشام(حركة أحرار الشام) • لواء التوحيد (جيش محمد)• أحرار سوريا • لواء حلب الاسلامي • حركة الفجر الاسلامي • لواء الاسلام(جيش الاسلام لزهران علوش)• داعش • جبهة النصرة .

الجماعات التي كانت معظم القادة الكبار للكتائب كانو يمتلكون خبرات قالية في أفغانستان ، العراق، ليبيا، واليمن "مثل أبي محمد الجولاني وقادة الجبهات في النصرة وبعض قادة لواء الاسلام وقادة أحرار الشام"، أو أفغانستان "مثل قادة الطليعة المقاتلة" التي أعلن عن تشكيلها في آب/أعسطس 2012، أو لبنان "مثل قائد كتائب نور الدين الزنكي" التي تشكلت في ريف حلب الغربي في أكتوبر /تشرين الأول 2012، والعديد من قيادات الصف الثاني وبعض القيادات الصف الأول التي أعتقلت في سجن صيدنايا العسكري بتهم تتعلق بالسلفية والسلفيةالجهادية؛ حيث أعتمدت الكتائب السلفية الصاعدة على خريجي سجن صيدنايا أبرزهم «أصدقاء صيدنايا» زهران علوش"، قائد 'لواء الإسلام' والذي بويع فيما بعد كقائد لـ'جيش الإسلام'؛ ومعه حسّان عبود (الملقب بأبي عبدالله الحموي)، قائد 'حركة أحرار الشام'؛ وعيسى الشيخ، قائد 'لواء صقور الإسلام'. بعد سنوات أمضوها سوية في المعتقل منذ اعتقالهم في حوادث متفرّقة – حوالي 2004– بسبب نشاطاتهم الدينية، خرج الأصدقاء الثلاثة (برفقة أبي محمد الفاتح الجولاني، أمير 'جبهة النصرة') من سجن صيدنايا في منتصف عام 2011 بموجب أول مراسيم العفو الرئاسية (بتاريخ 31-5-2011) بعد اندلاع الثورة السوريّة، أحد «مكرمات» الرئيس" ضمن مرسوم العفو الرئاسي " التي حرص من خلالها على إظهار اهتمامه بإرواء عطش شعبه للتغيير ومن خلال شبكة علاقات تكونت في السجن وخارجه بدأت التنظيمات العسكرية بتشكيل أذرعاً مدنية لتكوين قاعد إجتماعية لمرحلة ما بعد النظام تساعده في تحقيق قناعاتها الأيديولوجية.ولهذا تحالفت جبهة النصرة مع لواء التوحيد وعدد آخر من الكتائب الهيئة الشرعية من أجل ملء الفراغ التنظيمي، القضائي، الخدماتي، والأمني في

المناطق المسيطرة. وفكرة الهيئة الشرعية منتشرة على نطاق واسع.وهي فكرة شبيهة بتلك التي كانت للفصائل الأفغانية أيام الجهاد ضد النظام السوفيتي والحكومة الموالية له.

وتم تشكيل هيئة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من قبل أبرزالكتائب في الريف الشمالي لحلب متأثرة بالنموذج السعودي والطالباني. ولكنها قوبلت بنفور إجتماعي من قبل السوريين لعدم إنسجامها مع "الذهنية" المعاشة طيلة عقود في ظل نظام معروف بعلمانيته.

وفي النهاية فإن العديد من الكتائب التي تظهر ميولاً سلفيةً لأغراض التمويل فقط. ويتجلى ذلك في الشعار والاسم والملبس والخطاب رغم عدم إعتناقها للفكر السلفي أو الإسلامي بشكل عام.

الكرد في التراث الإسلامي

د . أحمد الخليل
جامعة العين - الامارات العربية المتحدة

المصطلح أولاً

نقصد بمصطلح (التراث الإسلامي) كل ما ينتمي إلى العهود الإسلامية على صعيد الدين (قرآن، تفسير، حديث، فقه، تصوف)، والتاريخ، والجغرافيا، والعلوم (طب، هندسة، رياضيات، فيزياء، كيمياء)، والفكر، والفلسفة، والأدب (شعر، نثر)، والفن (رسم، موسيقا، غناء). والمقصود بـ (العهود الإسلامية) هو الزمن الذي يبدأ بظهور الدعوة الإسلامية حوالي سنة (610 م)، وينتهي مع سقوط الدولة العثمانية، وقيام الزعيم التركي مصطفى كمال (آتاتورك) بإلغاء منصب الخلافة سنة (1924 م).

إذاً فالفترة التي تشملها (العهود الإسلامية) تمتد على ثلاثة عشر قرناً من الزمان، وطوال هذا الزمن المديد كان الشعب الكردي - وما زال- أحد الشعوب الإسلامية، إنه ربيب التراث الإسلامي، ومن أبرز المساهمين في صناعة هذا التراث؛ كان منه الصحابي، والتابعي، والمفسّر، والمحدّث، والفقيه، وشيخ الإسلام، والصوفي، والمفكر، والفيلسوف، والطبيب، والمهندس، والمؤرخ، والجغرافي، وعالم الطبيعة، والأديب، والناقد، والشاعر، والموسيقي، والمغنّي، وكان منه السلطان، والملك، والأمير، والوزير، والوالي، والقائد العسكري، والمقاتل.

وبتعبير آخر: إن الشعب الكردي لم يكن قطّ خارج التاريخ الإسلامي، ولا خارج الجغرافيا الإسلامية، بل كان على الدوام في صميم كل منهما، فماذا قيل عن أصله في التراث الإسلامي؟ ومن أية زاوية جاء الحديث عن ذلك؟

اللقاء العربي الكردي

وقبل استعراض ما جاء في مصادر التراث الإسلامي حول (أصل الكرد)، ثمة حقيقة جديرة بالانتباه؛ وهي أن الكرد من أوائل الشعوب التي التقى بها العرب المسلمون، أيام الفتوحات، في الجبهة الشرقية، ولعل الأمر يصبح أكثر وضوحاً إذا علمنا أن معركة القادسية سنة (15 هـ) بين العرب المسلمين والفرس جرت على مقربة من تخوم كردستان، وأن معركة جَلُولاء سنة (16 هـ) ومعركة نَهاوَنْد سنة (19 أو 20 هـ) دارتا في صميم الأرض الكردية، وكانت هذه المعارك حاسمة في إسقاط الإمبراطورية الفارسية.

وهذا يعني أن العرب المسلمين عرفوا الكرد في وقت مبكّر جداً من القرن الأول الهجري (السابع الميلادي)، وصحيح أن الكرد كانوا تابعين، قبل الإسلام، للدولة الساسانية، وأنهم كانوا من أتباع العقيدة الزردشتية كالفرس، لكنهم كانوا شعباً له خصوصيته القومية، وكانوا معروفين باسمهم القومي (كرد، أكراد)، والدليل على ذلك أن المصادر الإسلامية سمّتهم باسمهم حينما قاوموا الهجوم العربي، أو انضموا إلى الثورات التي كانت تنفجر في وجه الفاتحين العرب، وإليكم الخبرين الآتيين:

• " غزا عُتْبة بن فَرْقَد شَهْرَزُور والصامغان، ففتحها بعد قتال على الجزية والخراج، وقتل خلقًا من الأكراد " (تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 982).

• " اجتمع إلى عمر [= ابن الخطاب] جيش من المسلمين، فبعث عليهم سَلَمة بن قيس الأَشْجَعي، ودفعهم إلى الجهاد على عادته، فلقوا عدواً من الأكراد المشركين، فدعوهم إلى الإسلام والجزية فأبوا، وقاتلوهم، وهزموهم، وقتلوا وسبوا، وقسّموا الغنائم " (تاريخ ابن خلدون، ج 4، ص 993).

وقد جرى هذان الحدثان زمن الخليفة الثاني عمر بن الخطاب: جرى الأول سنة (22 هـ)، والثاني سنة (23 هـ)، أقول: رغم الوقت المبكّر الذي عرف فيه العربُ المسلمون الشعبَ الكردي نجد في مصادر التراث الإسلامي أخباراً عن أصلهم هي غامضة تارة، ومتناقضة تارة أخرى، وغريبة تارة ثالثة، وصحيح أن بعض تلك المصادر أخذ في مواضيع كثيرة بالخرافات، وأنزل الأساطير منزلة الحقائق الدامغة، وخلط بين الحقيقة والوهم، ونقل المعلومات تحت بند (قال الناس، وقيل، وقالوا، منهم من زعم)، من غير تحكيم للعقل والمنطق في معظم الأحيان؛ لكن مع ذلك فإن بعض ما جاء فيها حول (أصل الكرد) أمر يثير العجب حقاً.

في مجال التاريخ

قال المسعودي في :

" وأما أجناس الأكراد وأنواعهم فقد تنازع الناس في بدئهم؛ فمنهم من رأى أنهم من ربيعة بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان، انفردوا في قديم الزمان، وانضافوا إلى الجبال والأودية، ودعتهم إلى ذلك الأَنَفة، وجاوروا مَن هنالك مِن الأمم الساكنة المدنَ والعمائرَ من الأعاجم والفرس، فحالوا عن لسانهم، وصارت لغتهم أعجمية، ولكل نوع من الأكراد لغة لهم بالكردية.

ومن الناس من رأى أنهم من مُضَر بن نزار، وأنه من ولد كُرْد بن مَرْد بن صَعْصَعَة بن هَوازِن، وأنهم انفردوا في قديم الزمان لوقائعَ ودماءٍ كانت بينهم وبين غَسّان.

ومنهم من رأى أنهم من ربيعة ومُضَر، وقد اعتصموا في الجبال طلباً للمياه والمراعي، فحالوا عن اللغة العربية لما جاورهم من الأمم.

" ومن الناس من ألحقهم بإماء سليمان بن داود عليه السلام حين سُلب ملكَه، ووقع على إمائه المنافقات الشيطان المعروف بالجَسَد، وعصم الله منه المؤمنات أن يقع عليهن، فعلق منه المنافقات، فلمّا ردّ الله على سليمان ملكَه، ووضع الإماءُ الحواملُ من الشيطان، قال: اكردوهن إلى الجبال والأودية. فربّتهم أمهاتهم، وتناكحوا، وتناسلوا، فذلك بدء نسب الكرد.

" ومن الناس من رأى أن الضحّاك ذا الأفواه المقدَّم ذكره في هذا الكتاب، الذي تنازعت فيه الفرس والعرب من أيّ الفريقين هو، أنه خرج بكتفيه حيّتان، فكانتا لا تُغذَّيان إلا بأدمغة الناس، فأفنى خلقاً كثيراً من فارس، واجتمعت إلى حربه جماعة كثيرة وافاه أفريدون بهم، وقد شالوا راية من الجلود تسمّيها الفرس درفش كاوان، فأخذ أفريدون الضحّاك وقيّده في جبل دُنْباوَنْد على ما ذكرنا، وقد كان وزير الضحّاك في كل يوم يذبح كبشاً ورجلاً، ويخلط أدمغتهما، ويطعم تَينك الحيّتين اللتين كانتا في كتفي الضحّاك، ويطرد من تخلّص إلى الجبال، فتوحّشوا وتناسلوا في تلك الجبال، فهم بدء الأكراد، وهؤلاء من نسلهم، وتشعّبوا أفخاذاً، وما ذكرناه من خبر الضحّاك فالفرس لا يتناكرونه، ولا أصحاب التواريخ القديمة والحديثة ".

وأضاف المسعودي:

" وما قلنا عن الأكراد فالأشهر عند الناس، والأصحّ من أنسابهم أنهم من ولد ربيعة بن نزار ".

وقال المقريزي في:

" الأكراد ينسبون إلى كُرْد بن مَرْد بن عمرو بن صَعْصَعة بن معاوية بن بَكْر بن هَوازِن. وقيل: هم من ولد عَمْرو مُزَيْقِياء بن عامر ماء السماء. وقيل: إنهم من بني حميد بن طارق الراجع إلى حميد بن زهير بن الحارث بن أَسد بن عبد العُزّى بن قُصَيّ بن كِلاب. وهم قبائل: منهم الگُورانية بنو گوران، والهَذْبانية، والبَشْنَوية، والشاهَنْجانية، والسرلجية، واليزولية، والمَهْرانية، والزَّرْزارية، والكِيكانية، والجاك، واللُّور، والدُّنْبُلية، والزَّوادية، والديسنية، والهكّارية، والحَمِيدية، والوركجية، والمروانية، والجلالية، والشَّبَنْكية، والجُوبي. وتزعم المروانية أنها من بني مروان بن الحكم بن أبي العاص. وتزعم بعض الهكّارية أنهم من ولد عُتْبة بن أبي سفيان صَخْر بن حَرْب ".

في مجال الدين

قال الآلوسي في روح المعاني :

" وفي القاموس [= المحيط] الكرد بالضم جيل من الناس معروف والجمع أكراد وجدهم كرد بن عمرو مزيقيا بن عامر ماء السماء. انتهى ...، والذي يغلب على ظني أن هؤلاء الجيل الذين يقال لهم اليوم أكراد لا يبعد أن يكون فيهم من هو من أولاد عمرو مزيقيا، وكذا لا يبعد أن يكون فيهم من هو من العرب، وليس من أولاد عمرو المذكور، إلا أن الكثير منهم ليسوا من العرب أصلاً، وقد انتظم في سلك هذا الجيل أناس يقال: إنهم من ذرية خالد بن الوليد، وآخرون يقال: إنهم من ذرية مُعاذ بن جَبَل؛ وآخرون يقال: إنهم من ذرية العباس بن عبد المطلب، وآخرون يقال: إنهم من بني أُميّة، ولا يصح عندي من ذلك شيء، بيد أنه سكن مع الأكراد طائفة من السادة أبناء الحسين رضي الله تعالى عنهم يقال لهم البَرزَنْجية لا شك في صحة نسبهم، وكذا في جلالة حسبهم ".

" وأخرج ابن أبي حاتم عن أبي هريرة قال: البارز [الجبال] يعني الأكراد ...، وأخرج ابن المنذر والطبراني في (الكبير) عن مجاهد قال: أعراب فارس وأكراد العجم، وظاهر العطف أن أكراد العجم ليسوا من أعراب فارس، وظاهر إضافة أكراد إلى العجم يُشعر بأن من الأكراد ما يقال لهم أكراد العرب، ولا نعرف هذا التقسيم وإنما نعرف جيلاً من الناس يقال لهم أكراد، من غير إضافة إلى عرب أو عجم، وللعلماء اختلاف في كونهم في الأصل عرباً أو غيرهم فقيل : ليسوا من العرب، وقيل منهم، قال القاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان في ترجمة المُهلب بن أبي صفرة ما نصه: حكى أبو عمر بن عبد البَر صاحب كتاب (الاستيعاب) في كتابه (القَصْد والأَمم في أنساب العرب والعجم) أن الأكراد من نسل عمرو مزيقيا بن عامر بن ماء السماء، وأنهم وقعوا إلى أرض العجم، فتناسلوا بها، وكثر ولدهم، فسُمّوا: الأكراد، وقال بعض الشعراء في ذلك وهو يعضد ما قاله ابن عبد البَر:

لَعَمْرُك، ما الأكرادُ أبناءُ فارس ولكنه كُردُ بنُ عَمرو بنُ عامر ".

وجاء في (تفسير الطبري، وتفسير القرطبي، وروح المعاني للآلوسي "

" الكرد هم أعراب فارس ".

هذا ما جاء عن أصل الكرد في مصادر المسلمين السنّة.

وأبدى بعض علماء الشيعة اهتماماً بالموضوع أيضاً، فقال الكُلِيني في الكافي :

" عن محمد بن يحيى وغيره عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم، عمن حدثه عن أبي الربيع الشامي، قال: سألت أبا عبد الله [= الحسين بن علي] عليه السلام، فقلت: إن عندنا قوماً من الأكراد، وأنهم لا يزالون يجيئون بالبيع، فنخالطهم ونبايعهم. فقال: يا أبا الربيع، لا تخالطوهم، فإن الأكراد حيّ من أحياء الجن كشف الله عنهم الغطاء، فلا تخالطوهم ".

وقال الكُلِيني أيضاً في (الكافي، ج 5، ص 352، باب من كره مناكحته):

" عن علي بن إبراهيم، عن إسماعيل بن محمد المكي، عن علي بن الحسين، عن عمرو بن عثمان، عن الحسين بن خالد، عمن ذكره، عن أبي الربيع الشامي، عن أبي عبد الله [= الحسين بن علي] عليه السلام: ولا تنكحوا الأكراد أحداً، فإنهم من جنس الجن كشف الله عنهم الغطاء ".

في مجال اللغة

قال الزبيدي في تاج العروس، مادة كرد :

" الكُرد (بالضم) جيل معروف، وقبائل شتى، الجمع أكراد... واختُلف في نسبهم؛ فقيل: جدّهم كُرْد بن عمرو مُزَيْقِياء، وهو لقب لعمرو، لأنه كان كل يوم يلبس حُلّة، فإذا كان آخر النهار مزّقها لئلا تُلبَس بعده... وهذا الذي ذهب إليه المُصنّف هو الذي جَزم به ابن خَلِّكان في (وَفَيات الأعيان)، في ترجمة المُهلَّب بن أبي صُفْرة، قال: إن الأكراد من نسل عمرو مُزيقياء، وقعوا إلى أرض العجم، فتناسلوا بها، وكثر ولدهم، فسُمّوا الأكراد. قال بعض الشعراء:

لَعَمْرُكَ، ما الأكرادُ أبناءُ فارسٍ ولكنّهم كُرْدُ بنُ عَمرو بنِ عامر

هكذا زعم النسّابون.

وقال ابنُ قُتَيْبة في كتاب (المعارف): تَذكر العجم أن الأكراد فَضْلُ طعام بِيُوراسف [= بيوراسب]. وذلك أنه كان يأمر أن يُذبَح له كلَّ يوم إنسانان، ويُتَّخَذ طعامه من لحومهما، وكان له وزير يقال له: أَرياييل، فكان يَذبح واحداً، ويُبقي واحداً يَسْتَحْييه، ويَبْعث به إلى جبل فارس، فتوالدوا في الجبال وكثروا.

قال شيخنا: وقد ضعّف هذا القول كثير من أهل الأنساب.

قلت: وبيوراسف هذا هو الضحّاك الماري [= المادي= الميدي]، مَلَك العجم بعد جَمْ بن سليمان ألف سنة. وفي (مفاتيح العلوم) هو معرَّب دَهْ آك؛ أي ذو عشر آفات. وقيل: معرّب أزده؛ أي التِنّين، للسَّلَعَتَين اللتين كانت له. وقال أبو اليقظان: هو كُرد بن عمرو بن عامر بن رَبيعة بن عامر بن صَعْصَعة.

وقد ألّف في نسب الأكراد فاضل عصره العلاّمة محمد أفندي الكردي، وذكر فيه أقوالاً مختلفة بعضُها مصادم للبعض، وخبط فيها خبط عَشواء، ورجّح فيه أنه كُرْد بن كنعان بن كُوش بن حام بن نوح، وهم قبائل كثيرة، ولكنهم يرجعون إلى أربعة قبائل: السُّوران، والكُوران، والكلهور، واللُّر. ثم إنهم يتشعّبون إلى شعوب وبطون وقبائل كثيرة لا تُحصى، متغايرة ألسنتهم وأحوالهم. ثم نقل عن (مناهج الفِكَر ومباهج العِبَر) للكُتْبي ما نصُّه: أما الأكراد فقال ابن دُرَيْد في (الجَمْهَرة): الكُرْد أبو هذا الجيل الذين يسمَّون بالأكراد، فزعم أبو اليَقْظان أنه كُرْد بن عَمْرو بن عمرو بن صَعْصَعة. وقال: ابن الكَلْبي هو كُرْد بن عمرو مُزَيْقياء، وَقعوا في ناحية الشَّمال لما كان سيل العَرِم، وتفرّق أهلُ اليمن أيدي سبأ.

وقال المسعودي: ومن الناس من يزعم أن الأكراد من ولد ربيعة بن نزار، ومنهم من زعم أنهم من ولد كُرْد بن كنعان بن كوش بن حام. والظاهر أن يكونوا من نسل سام، كالفُرس، والمعروف منهم السُّورانية، والكُورانية، والعمادية والحَكارية، والمحمودية والبُختية، والبَشْنَوية، والجُوبية، والزَّرْزائية، والمَهْرانية، والجاوانية، والرضائية، والسَّروجية والهارونية، واللُّرية، إلى غير ذلك من القبائل التي لا تُحصى كثرةً، وبلادهم أرض الفارس وعراقُ العجم، وأذربيجان والإربل والموصل.

انتهى كلام المسعودي، ونقله هكذا العلامة محمد أفندي الكردي في كتابه.

قلت: والذي نقل البُلْبيسيّ عن المسعودي نص عبارته: هكذا تنازع الناس في بدء الأكراد، فمنهم من رأى من ربيعة بن نزار بن بكر بن وائل، انفردوا في الجبال قديماً لحال دعاهم إلى ذلك، فجاوروا الفُرس، فحالت لغتهم إلى العُجْمة، وولد كل نوع منهم لغة لهم كردية.

ومنهم من رأى أنهم من ولد مضر بن نزار، وأنهم من ولد كُرْد بن مرد بن صَعْصَعة بن هوازن، انفردوا قديماً لدماء كانت بينهم وبين غسّان، ومنهم من رأى أنهم من ولد ربيعة بن مضر، اعتصموا بالجبال طلباً للمياه والمرعى، فحالوا عن العربية لمن جاورهم من الأمم. وهم عند الفرس من ولد كرد بن إسفنديار بن مَنُوَجْهر. ومنهم من ألحقهم بإماء سليمان عليه السلام، حين وقع الشيطان المعروف بالجَسد على المنافقات، فعلِقن منه، وعُصم منهن المؤمنات، فلما وضعن قال: اكردوهن إلى الجبال...

ثم قال محمد أفندي المذكور: وقيل أصل الكرد من الجن، وكل كردي على وجه الأرض يكون ربعه جنّياً، وذلك لأنهم من نسل بِلْقيس، وبلقيس بالاتفاق أمها جنّية. وقيل: عصى قوم من العرب سليمان عليه السلام، وهربوا إلى العجم، فوقعوا في جَوار كان اشتراها رجل لسليمان عليه السلام، فتناسلت منها الأكراد. وقال أبو المعين النسفي في (بحر الكلام): ما قيل إن الجني وصل حرم سليمان عليه السلام، وتصرف فيها، وحصل منها الأكراد باطل لا أصل له. انتهى.

قلت: وذكر ابن الجوّاني النسّابة ... عند ذِكر ولد شالخ بن أَرفخشذ ما نصُّه: والعقب من فارسان بن أهلوا بن أَرم بن أَرفخشذ أكراد بن فارسان جد القبيلة المعروفة بالأكراد، هذا على أحد الأقوال. وأكثر من يَنسبهم إلى قيس، فيقول: كُرد بن مرد بن عمرو بن صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور بن عِكْرِمة بن خَصَفة بن قيس عَيْلان بن مُضَر بن نزار بن مَعَدّ بن عدنان،... والله أعلم ".

وقال الفيروزآبادي في القاموس المحيط ، مادة كرد:

" الكَرْدُ ... جِيلٌ معروف، الجمع أَكْرادٌ، وجَدُّهُم كُرْدُ بنُ عَمْرِو مُزَيْقِياءَ بنِ عامِرِ بنِ ماءِ السَّماءِ ".

تعليق لا بد منه :

تقتصر نسبة الكرد، في المصادر العربية، على العرب فقط، وإنما نشطت المخيّلة القصصية في هذا المجال، وقام بعض الرواة والمؤرخين بتنسيب الكرد إلى أصول مختلَطة، ونسبهم آخرون إلى كائنات أسطورية.

أولاً - نسبة الكرد إلى أصول مختلطة:

يحاول أصحاب هذا الاتجاه إظهار الكرد على أنهم لا يشكلون شعبًا أو أُمّة متجانسة، وأنهم خليط من مجموعات عرقية غير معروفة الجذور؛ وضمن هذا الاتجاه تقع الرواية الآتية:

أرجع مؤرخو الفرس القدماء ملوك إيران إلى أربع دول حاكمة: الدولة البَيْشْدادية (لعلها الميدية)، ثم الدولة الكِيانية (الأخمينية)، ثم الدولة الأشْكَانية (البارثية)، ثم الدولة الساسانية، ويذكرون أن أَزْدِهاك (الضحّاك)- واسمه بَيوراسْب بن أَرْوَنْداسْب وهو من البِيشداديين- تسلّط على عرش فارس بعد الملك جَمْشِيد، وأورد الدكتور إحسان يار شاطر اسمه بصيغة (أژى دهاك)، وذكر أنه "عِفريت مخيف هائل"، كان هو وعفريت آخر يسمّى خِشْم من أبرز جنود إله الشر أَهْرمَن.

وذكرت المصادر أن أزدهاك كان ظلومًا، فظهر على كتفيه قَرْحان، وبرز من كل منهما لسان كالأفعى، وكان الألم لا يخفّ إلا بدماغ بشري يُضمَّد به القرحان، فكان يُقتَل كل يوم شابان، ليتداوى أزدهاك بدماغيهما، وكان المكلَّف بقتل الشابين رحيمًا، فكان يكتفي بقتل شاب، ويستعيض عن دماغ الآخر بدماغ كبش، ويأمر الشاب الذي يطلقه بالرحيل بعيدًا؛ فلجأ هؤلاء الشباب إلى الجبال، وهناك تزاوجوا وتناسلوا، وبنوا القرى، وتفاهموا بلغة واحدة، ومن نسلهم كان الكرد (1).

ولا نَعْدَم في العصر الحديث مَن يروّج هذا التوجّه، وخاصة بعض القوميين العرب والفرس والترك المتطرفين، إنهم يشكّكون في انتماء الكرد إلى أمة واحدة، معتمدين في ذلك على التنوع الإثنولوجي بين الكرد تارة،

ومتذرّعين تارة أخرى باختلاف اللهجات بين بعض القبائل الكردية، وهدفهم من ذلك هو التدليل على أن الكرد لا يستحقون أن تكون لهم دولة مستقلة، وكي تبقى بلاد الكرد مقسَّمة وفق اتفاقية سايكس- بيكو بين دول الجوار (إيران وتركيا والعراق وسوريا)، وإذا أخذنا بالمعيار الذي يطبّقه هؤلاء على الكرد لكانت النتيجة تجريد كثير من أمم الشرق الأوسط والعالم من صفة (أمّة)، لأنها- نقصد تلك الأمم- هي في جوهرها نتاج تنوّع إثنولوجي ولهجوي شديد التداخل والتمازج.

ثانياً - نسبة الكرد إلى الجن والشياطين:

ينفي أصحاب هذا الاتجاه انتماء الكرد إلى البشر جملة وتفصيلاً، وينسبونهم إلى التزاوج بين النساء المنافقات والشياطين، وينقل المسعودي في هذا الصدد رواية بعيدة عن الموضوعية، إضافة إلى أن فيها كثيرًا من التحامل على الكرد، تقول الرواية:

"ومن الناس من ألحقهم بإماء سليمان بن داود عليهما السلام، حين سُلب ملكَه، ووقع على إمائه المنافقات الشيطانُ المعروف بالجَسَد، وعَصَمَ الله منه المؤمنات أن يقع عليهن، فعلِق منـه المنافقـاتُ، فلما ردّ الله على سليمانَ مُلْكَه، ووَضع تلك الإماءُ الحواملُ من الشيطـان، قال: اكردوهنّ إلى الجبال والأودية. فربّتْهم أمّهاتهم، وتَناكحوا وتَناسلوا، فذلك بَدء نسب الكرد" (2).

وقد جاءت هذه الرواية في تاريخ (شَرَف نامه) للأمير شَرَف خان بَدْليسي بصورة ملطّفة، فالمعروف أنه عندما اعتلى الشاه الصَّفَوي عبّاس الثاني (1585 - 1628 م) عرش بلاد فارس شرع يستعدّ لمقاومة الترك العثمانيين، وكان بحاجة إلى تأييد الكرد، فشجّع الأمير شرف خان على كتابة تاريخ الكرد باللغة الفارسية، ولا ريب في أن شرف خان استقى معلوماته من المصادر الفارسية، وخلاصة الرواية ما يلي:

أرسل الملك العبراني النبي سليمان مئات من (دَيو) Daiw (بالكردية والفارسية: جِنّي/عِفْريت) إلى بلاد الإفرنج (أوربا)، ليجلبوا له فتيات عَذارى جميلات يضمّهن إلى حريمه، وحينما وصل الجن بالعذارى كان سليمان قد توفّي، فاحتفظوا بالعذارى لأنفسهم، وتزوّجوهن، ومنهم جاء نسل الكرد (3).

وهكذا نرى أن هذه الرواية تتفق، من حيث النيّة والمنطلقات الأسطورية، مع الرواية السابقة، وتستبعد الكرد من دائرة البشر وفق النظام الأبوي (البطريركي)، فهم بحسب الروايتين من سلالة الجن، وليسوا من أبناء آدم، وتُفصح هذه الرواية في الوقت نفسه عن أمرين:

• الأول: انتشار اللونين الأبيض والأشقر بين الكرد، وهما اللونان السائدان في الشعوب الهندو- أوربية.

• الثاني: اشتهار الكرد بالشجاعة والبسالة، وتميّزهم بسرعة الانقضاض على العدوّ، وسرعة الاختفاء بين الجبال، فهم كالجن ظهورًا واختفاء.

وبعد :

لا توجد كتابة للتاريخ من غير نوايا، وحيثما وجدتَ كتابة تاريخية فابحث عن النية القابعة خلفها، وقد تكون تلك النية إظهار حقيقة غُيّبت، أو تصحيح معلومة حُرّفت، أو إلغاء معلومة اختُلقت، أو استكمال معلومة قُدّمت منقوصة، أو تأكيد معلومة دار حولها الشك، أو تفسير حدث غامض، وهلمّ جرّاً. وإن قيام بعض الرواة بأبلسة الكرد في المصادر العربية، ونسبتهم إلى الكائنات الأسطورية، لم يكن بلا نوايا مبيَّتة، وترجع تلك النوايا إلى خفايا دفينة معقّدة. فماذا عن كل ذلك؟

خفـايا.. ونوايا:

بتدقيق النظر في الروايات المتعلقة بأصل الكرد وتحليلها والغوص في أعماقها، يصل المرء إلى نتائج تثير الدهشة حقًا، وتوضّح

أبعاد التحريف الذي تعرّض له تاريخ الكرد منذ القديم، إنه تحريف يهدف إلى رمي الكرد بأبشع الصفات إثنيًا ودينيًا واجتماعيًا، واستبعادهم من الساحة البشرية اجتماعيًا وحضاريًا:

1 - من الناحية الإثنية: يُفهم من هذه الروايات أن الكرد ليسوا من أبناء آدم الأسوياء، وإنما جدّهم الأكبر هو (شيطان!!)، مع الأخذ بالاعتبار كراهية المسلمين والأديان السماوية عامّة لهذا الكائن الذي يسمّى (الشيطان)، وبما أن الكرد من سلالة (الشيطان)- حسبما زعم صانعو هذه الخرافة- فلا يجوز أن يكون لهم نصيب في إرث أبي البشرية (آدم)، ولا ينبغي أن تكون لهم حقوق (أبناء آدم) في جمع الميادين.

2 - من الناحية الدينية: يُفهم أن الكرد حصيلة نكاح غير شرعي بين نساء منافقات وشيطان، أي أنهم أبناء زنى، وليس هذا فحسب، بل إنه أبشع أنواع الزنى؛ لأنه وقع بين منافقات وشيطان، فكيف يكونون إذًا مؤمنين أتقياء؟ وما دام هذا هو أصلهم فلا بأس من التعامل معهم على هذا الأساس، وإنزالهم أدنى المنازل على جميع الأصعدة، بل من الواجب إعلان الحرب عليهم.

ويمكن الاستدلال من هذه الروايات على أنه لا بأس في القضاء على الكرد وإبادتهم كما حدث في العراق خلال حملات (الأنفال) بدءًا من سنة (1987 م)، وفي قصف مدينة حَلَبْجَه الكردية بالغازات السامة في (16 – 3 - 1988 م) ولِم لا؟ ألم تنزل لعنة الله في الكتب المقدسة على (الشيطان) منذ بدء الخليقة؟ أولم يكن (الشيطان) عدوّ (آدم) وعدوّ كل سلالته؟! فلماذا يجب على (المؤمنين) إذًا مهادنة سلالته من (الكرد) والإبقاء عليهم؟

3 - من الناحية الاجتماعية: الكرد أبناء الإماء وليسوا أبناء الحَرائر؛ ويعرف كل دارس للتاريخ العربي القديم تدنّي موقع أبناء الإماء في المجتمع عن أبناء الحرائر، وسبق القول بأن التمييز بين أبناء الحرائر والإماء كان ساري المفعول حتى على مستوى الترشيح لمنصب الخلافة، فأصبح أبو العبّاس السفّاح (أمّه عربية) خليفة قبل أخيه الأكبر أبي جعفر المنصور، لأن أم الأخير كانت أَمَة (جارية) أمازيغية (بربرية)، وبموجب هذه القاعدة الصارمة كيف يمكن أن يتساوى الكرد (أبناء الإماء المنافقات!) مع غيرهم من الشعوب (أبناء الحرائر) في الحقوق؟ وكيف تكون للكرد حقوق قومية مثل سائر الشعوب؟! وكيف تكون لهم دولة خاصة بهم؟ وكيف يكون لهم حضور على الصعيد العالمي اقتصاديًا وثقافيًا وعِلميًا؟

ولا شك في أن هذه التوجّهات صدرت عن رؤى قاصرة، وهي نتاج ثقافات تضيق ذَرْعًا بالآخرين، وتستهين بهم، وتعمل لمسخ هوية الشعب الكردي، ولا يتردّد أصحاب هذه التوجّهات والثقافات في إنزال الأباطيل منزلة الحقائق المطلَقة، ولا يتورّعون من ممارسة أشنع أنواع التزوير والتلفيق، بقصد الترويج لأوهامهم الساذجة.

تســاؤلات.. وتوضيحات:

ثمة أسئلة هامة جدًا ينبغي الوقوف عندها، وهي لا تتعلق بنسبة الكرد إلى العرب، فذلك أمر قد اجتهدنا في تحديد دوافعه، وقد نكون مخطئين وقد نكون مصيبين؛ ثم ليس في نسبة الكرد إلى العرب ما يُشين، بل فيه ما يعدّ تكريمًا للكرد من وجهة النظر العربية، وخاصة في القرنين الأول والثاني الهجريين.

أجل، حينذاك كان العرب يقودون الفتوحات الإسلامية شرقًا إلى حدود الصين، وشمالاً إلى آسيا الصغرى، وغربًا إلى المحيط الأطلسي فإسبانيا، وحينذاك كانت العروش تتزلزل والتيجان تتهاوى تحت ضرباتهم، وكانت الشعوب تدخل تحت لواء دولتهم طَوْعًا أو كَرْهًا، وكان كثيرون يتمنّون لو كانوا عربًا، كي يجنّبوا أنفسهم ذلّ الموالاة، وكي يحظَوا بقسط من الدولة والصَّولة، ويكون لهم نصيب

من النفوذ والجاه والمال، فما الذي كان سيعيب الكرد إذًا لو عُدّوا من عرب قحطان أم من عرب عدنان؟

أجل، إن التساؤلات الهامة لا تتعلق بتنسيب الكرد إلى العرب، وإنما هي خاصة بتنسيب الكرد إلى الشيطان (الجَسَد/جاساد)، وإلى إماء النبي سليمان (المنافقات)، وإلى أولئك (الجن/العفاريت) الذين كانوا خَدمًا عند النبي سليمان، ثم زَنوا بالجواري الفاتنات اللواتي استقدمهن سليمان من أوربا، ولا يشكّ عاقل في أن هذه الروايات ليست سوى اختلاقات وتلفيقات، ولا أساس لها لا في التاريخ ولا في منطق العقل، وهي تنتمي إلى الخرافات والأساطير، ولا صله لها بالواقع لا من قريب ولا من بعيد.

لكن لماذا خُصّ الكرد وحدهم بهذه التلفيقات؟ ولماذا لا نجد ما يقاربها في أصل العرب والفرس والأرمن والترك؟ ومن كان وراء هذه التخريجات العجيبة لأصل الشعب الكردي؟ ومتى وُضعت هذه التخريجات الملفّقة والغريبة؟ ولماذا وُضعت هذه التلفيقات أصلاً؟ لمقاربة هذه التساؤلات ينبغي أن نأخذ في الحسبان أمورًا ثلاثة:

الأمر الأول: أن روايات نسبة الكرد إلى العرب شاعت في القرن الهجري الأول، وتناقلها مشاهير علماء الأنساب العرب، ولم تكن حركة الترجمة من الفارسية والسريانية والعبرانية واليونانية والهندية قد نشطت حينذاك.

والأمر الثاني: أن روايات نسبة الكرد إلى الجن والشياطين، ونسبتهم إلى الإماء المنافقات، شاعت في كتب المؤرخين والجغرافيين واللغويين الذين عاشوا في القرن الثالث الهجري وما بعده، وصحيح أن حركة الترجمة بدأت في العهد الأموي، لكنها كانت محدودة، إنها نشطت جداً في العهد العباسي الأول، وتحديدًا منذ عهد أبي جعفر المنصور (ت 158 هـ)، ثم قويت جدًا في عهد حفيده هارون الرشيد (ت 193 هـ)، وفي عهد المأمون بن هارون الرشيد (ت 218 هـ) ومن تلاه من الخلفاء.

والأمر الثالث: أن المؤرخين المسلمين- عرباً وغير عرب- ليسوا هم الذين وضعوا هذه الروايات الملفَّقة، وهذا واضح من الصيغ التعبيرية التي كانوا يمهّدون بها للحديث عن أصل الكرد، مثل: (قيل: ...)، (ومن الناس مَن زَعم...)، (ومن الناس مَن ألحقهم بـ ...). وهذا يعني أنهم سمعوا تلك الروايات أو نقلوها من مصادر غير موثّقة، وهي بالتأكيد مصادر غير عربية وغير إسلامية، ولو كانت تلك المصادر عربية أو إسلامية لذكرها المؤرخون، ولذكروا أسماء الرواة التي تناقلوها، شأنُهم في سائر الأخبار التي كانوا يحرصون على نسبتها إلى أصحابها ومصادرها ورُواتها في الدين والتاريخ والأدب.

من المستفيد من أبلسة أصل الكرد؟

ما دامت المصادر التي نُقلت منها تلك التلفيقات ليست عربية ولا إسلامية، فهي إذًا مما دخل الثقافة العربية الإسلامية من تراث الشعوب التي دانت بالإسلام عقيدةً، أو رضخت للدولة العربية الإسلامية تَبعيّةً، وهي ليست مصادر هندية، فقد اهتم المترجمون بنقل موضوعات الطب والفلك والرياضيات من التراث الهندي، كما أنها ليست يونانية، لأن المؤرّخين اليونان- ومن أبرزهم هيرودوت (ت حوالي 425 ق.م) لم يذكروا هذه الروايات الملفَّقة في كتبهم.

ولعلها هذه الأخبار الملفَّقة مقتبسة من مصادر فارسية ساسانية، أو مصادر مسيحية، وهذه المصادر المسيحية قد تكون نَسطورية ، أو يَعقوبية ، أو بيزنطية (مَلْكانية) ، وقبل الإسلام كانت توجد نزاعات وصراعات بين الكرد وأتباع هذه المذاهب على الجغرافيا بحكم الجوار، إضافة إلى أن معظم الكرد تمسّكوا

بالزردشتية، ولم يدينوا بالمسيحية، وكان هذا سبب آخر للنزاع والصرعات بين الطرفين.

ومن المحتمل أن يكون للمصادر العبرانية المعروفة باسم (إسرائيليات) أيضاً دورها في إنتاج الأخبار بشأن أصل الكرد، ونعتقد أن السبب في ذلك يرجع إلى العهد الميدي، فقد تحالف الملك الميدي كَيْخَسْرو مع الملك الكلداني نابو بُولاصر Nab- apla -usur، وزوّج ابنته أُوميد (أميتس) من نَبُوخَذ نَصَر الثاني (نابو – كدوري- أوصر) Nabu- Kudurri- usur ابن الملك الكلداني، وقضيا معًا على الإمبراطورية الآشورية سنة (612 ق.م)، وتقاسما الأراضي التي كانت تحكمها الإمبراطورية، وكانت سوريا وفلسطين من نصيب الكلدان .

وقد ثار اليهود في أُورْشَلِيم (القُدس) على الكلدان في عهد نَبُوخَذ نَصَر الثاني (نابو – كدوري- أوصر) Nabu- Kudurri- usur ابن نابو بُولاصر سنة (598 ق.م)، فهاجمهم نبوخذ نصر وقمع الثوّار سنة (597 ق.م)، ودمّر الهيكل، ونفى ثلاثين ألف يهودي إلى بابل سنة (596 ق.م)، فكان من الطبيعي أن ينقم اليهود على الكلدان وحلفائهم الميد، وظهرت آثار تلك النقمة في تعاون النخب اليهودية مع الفرس الأخمين بقيادة كورش الثاني في القضاء على مملكة الكلدان في بابل سنة (539 ق.م)، وليس من المستبعَد أن يكونوا قد تعاونوا قبل ذلك مع كورش للقضاء على مملكة ميديا سنة (550 ق.م)، تمهيداً للقضاء على مملكة بابل بعدئذ، وكافأهم كورش على ذلك بالسماح لهم بالعودة إلى أورشليم، وقدّم لهم الأموال لإعادة بناء الهيكل.

والحق أن الفرس إجمالاً كانوا أصحاب المصلحة الكبرى في التعتيم على التاريخ الكردي، وفي تشويه صورة الكرد، منذ أن قضوا على الدولة الميدية سنة (550 ق.م) على يد كورش الثاني الأخميني كما مرّ، ومرورًا بالعهد البارثي (الأشكاني)، وانتهاءً بالعهد الساساني. وقد نقل المؤرخ اليوناني هيرودوت بدقة هواجس الملك الأخميني قَمْبيز بن كورش الثاني من عودة الميديين إلى دفّة الحكم في غربي آسيا، وستتضح هذه الحقيقة أكثر في القسم الخاص بالدولتين الميدية والأخمينية من هذا الكتاب.

ولا نستبعد في الوقت نفسه أن تكون المصادر المسيحية- وكانت من نتاج بعض رجال الكنيسة غالبًا- قد ساهمت في حملة التشويه على الكرد، فالدول المسيحية في غربي آسيا (أرمينيا، جورجيا، الدولة البيزنطية)، كانت الجهة المتضررة الثانية من ظهور الكرد على الصعيد الإقليمي حينذاك، وحاولوا تنصير الكرد، لكسبهم إلى جانبهم في معركة الصراع ضد الدولة الفارسية حامية حمى العقيدة الزردشتية، وضد الدولة العربية الإسلامية حامية حمى الإسلام ووريثة الدولة الفارسية.

وفي هذه الحالات تزجّ الدول بترسانتها الثقافية والإعلامية في المعركة الثقافية، لكسب الصراع السياسي والعسكري، ونحسب أن هذا ما فعلته الدول المسيحية المشار إليها، ولعلها وظّفت جهود كنائسها في هذا المجال، لكن الكرد لم ينضموا إلى صفوفها، وظلوا متمسّكين بالزردشتية، ولا نستبعد أن تكون المصادر النسطورية خاصة هي التي نقلت تلك التشويهات، باعتبار أن النساطرة كانوا متحالفين مع الدولة الفارسية الساسانية، ويستظلون بظلها هرباً من الاضطهاد العَقَدي البيزنطي، ثم تحوّلوا بسرعة إلى التحالف مع الدولة العربية الإسلامية الناشئة منذ عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب، وكانوا أكثر المساهمين في الترجمة خلال العهدين الأموي والعباسي، وهذه احتمالات وترجيحات، والمسألة بحاجة إلى مزيد من المناقشة.

المراجع والهوامش :

1. الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار الفكر، بيروت، 1978م.

2. ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون دار الكتاب المصري، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1999م.

3. الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس، المطبعة الخيرية، القاهرة، 1306 هـ.

4. الطبري: تاريخ الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1967م.

5. الفيروزأبادي: القاموس المحيط،مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة، 1970 م.

6. الكليني: الكافي، نقلاً من: سيد حسين الحسني الزرباطي: الكورد الشيعة في العراق، ط2، 2007، موقع جلجامش. وكتاب الكافي غير متوافر بين يدي.

7. المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، الطبعة الخامسة، 1973م.

8. المقريزي: كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، نشره محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية، 1957م.

- النساطرة: نسبة إلى نسطور الأنطاكي الذي اعتقد أن في المسيح شخصًا بشريًا وشخصًا إلهيًا، وهما مسيحان، أحدهما ابن الله، والآخر ابن الإنسان، وأن مريم لم تلد إلهًا متجسّدًا بل إنسانًا مَحْضًا هو يسوع المسيح، ثم حلّ فيه كلام الله، لذلك لا يجوز أن تُدعى مريم والدة الله بل أم المسيح، وحُرم نسطور وتعاليمه في المجمع المسكوني المنعقد في أفسوس عام (431 م)، وتعرّض أتباعه للاضطهاد من السلطات البيزنطية، وكثر أتباعه في بلاد فارس وما بين النهرين (العراق). حبيب بدر وآخران: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، ص 47، 237.

- اليعقوبية: نسبة إلى يعقوب البرادعي (ت 578 م)، صاحب المذهب المونوفيزي الذي اعتقد أن للمسيح طبيعة واحدة، وقد انتشرت دعوته، في النصف الثاني من القرن الخامس الميلادي، في منطقة بين الخابور ودجلة والفرات. نقولا زيادة: المسيحية والعرب، ص 159 - 162.

- المَلْكانيون: يسمّون (الخَلْقيدون) أيضاً نسبة إلى مجمع خَلْقِيدونية عام (451 م)، ويعتقدون أن في المسيح شخصًا (أقنومًا) بطبيعة (بشرية ناسوتية) وطبيعة إلهية (لاهوتية)، وأن الروح القدس منبثق من الأب والابن معاً، وأن أقنوم الابن أقلّ من أقنوم الأب بدرجة، وقد ورث الأرثوذكس هذا المذهب. حبيب بدر وآخران: المسيحية عبر تاريخها في المشرق، ص 47.

- دياكونوف: ميديا، ص 283. طه باقر وآخران: تاريخ إيران القديم، ص 41.

الكرد وتدوين التاريخ

عاكف رستم

" اذا لم تكتب الاسود تاريخها فحري بالصيادين ان تقول ما تشاء"

التاريخ مهم وهذه حقيقة يشارك فيها الجميع, ومن هنا ليس هناك اختلاف في اهمية التاريخ, الا ان المسألة تكمن في كيفية قراءة الحقائق التاريخية, وبالرغم من وجود حقيقة جوهرية للتاريخ الا ان هناك مفاهيم متعددة للوصول إلى تلك الحقائق .

في الاطار العام يمكننا تصنيف تلك المفاهيم إلى نوعين رئيسيين الأول: هو المفهوم السلطوي و الثاني هو اجتماعي او مجتمعي .

ان اصحاب المفاهيم السلطوية من التاريخ وحقائق التاريخ تكمن رؤيتهم في الاساس إلى: ان السلطة والحكم اساسان لمجريات التاريخ وجميع الصراعات التاريخية تدور حول الحكم, ويرى اصحاب هذه الرؤيا بأن مالكي القوة هم من يصنعون التاريخ ويعود الفضل الاساسي لهم والتاريخ يبدأ من عندهم. وبما انهم يملكون القوة فلا احد يستطيع ازاحتهم او الدخول في الصراع معهم .

والذين يخالفونهم او يعارضونهم ينعتون بالمذنبيين او مجرمين وبالتالي يستحقون العقاب, ونرى في التاريخ شواهد بكثرة للعقوبات الجماعية في كتب التاريخ وبلغة حماسية وواثقة توضح مدى افتخارهم وقناعاتهم لتلك الممارسات, ان صفحات الكتب (كتب التاريخ) مليئة بالحروب والقتل وقرقعة السيوف والدمار والإبادات الجماعية, فينحصر التاريخ لدى هذه الفئة ضمن جدران قصور الحكام والسلطويين والملوك بينما تخلو تلك الصفحات من حياة الانسان والمجتمع وفنونه وابداعاته ونتائجه الابداعية واذا ورد المجتمع او الانسان في هذه الصفحات احيانا فتذكر الإبادات الجماعية بحقه او يوصف بأنه كان متمردا وعاقا

في القرن التاسع عشر في اوروبا ولدى ظهور الدولة القومية اخذت الطبقات الحاكمة في الدولة ومن خلال السلطة تهميش دور المجتمع واخذت تلبس ثوبها لتكسب الشرعية من جهة وتهيمن على المجتمع من جهة اخرى وهذا ما ظهر للعيان ابان الثورة الفرنسية , هذه الثورة التي فجرتها الطبقات الكادحة الاكثر اقترابا من المجتمع، و بعد ذلك استولت عليها (على الثورة) البرجوازية الصغيرة والفئات المتوسطة القريبة من الفئات السلطوية واخيرا ابتلعها الاوليغارشية العسكرية بقيادة نابليون ومع هذا كله وصمت الثورة الفرنسية بالثورة الشعبية كحصيلة نهائية بالرغم من استثمارها من قبل السلطويين .

وقد ظهر منظرين تاريخيين حول هذه الرؤيا ومنهم على سبيل المثال المؤرخ Leopold Von Ranke حيث خرج برؤيا فحواها تقول: "اذا لم تكن هناك سلطة او دولة لمجتمع ما فهي لا تملك التاريخ". الا اننا نرى في الاساس أن من يضع التاريخ ويملكه هو المجتمع وهناك ادلة واثباتات كثيرة من العصر النيوليتي وحتى عصرنا الحاضر جميعها تثبت صحة ذلك كذلك المئات من القصص والاساطير تدعم هذا الرأي بالإضافة إلى العديد من المكتشفات الاثرية التي ظهرت في

سلسلة جبال زاغروس وطوروس (الهلال الخصيب) تدعم ما اشرنا اليه .

ان الاماكن الاثرية المكتشفة مثل /Xerabreşk Çemê / Çemê Hallan / Newala Çorî / Koteber / في شمال كردستان وتل حلف وتل براك وكرى موزا وتل بيدر وكرى ليلان في غرب كردستان وكهف (Şanedar) في جنوب كردستان والكثير من الاماكن الاخرى في إيران ولبنان وفلسطين والاردن ومصر وبلدان اخرى مجاورة تظهر هذه الاثار حقيقة طاقات وابداعات المجتمعات بشكل مذهل.

ان اثار وحفريات / Xerabreşk / 12 كم شمال مدينة اورفا في شمال كردستان تظهر تلك الاثار والتي تعود تاريخها إلى 11600 ق.م تبين من خلال قراءة الغاز هذه الاثار ومدى غنى الحياة الاجتماعية في كافة المجالات – الادبية والفنية والعقائدية – ونواحي الانتاج والتكتيك المتقدم في تلك الاحقاب , الانسان في تلك العصور – استعمل تقنيات عالية المستوى – فقد وضع رموز من الحجر يزن الواحد منها بين 15 – 20 طن وصنعوها على شكل حرف T في الارض – انشأوا المعابد , وقد ظهر على هذه الاحجار رموز وصور واشكال على هيئة الاسد والغزال والحصان والماعز والبط والثعلب والضب والحية والعقرب وكذلك النقوش الهيروغليفية وهي محفورة على تلك الحجارة , يتبين لنا بأن الانسان في ذلك العصر كان قد وصل إلى مستويات عالية من التقنية والتطور في المجال الزراعي وتربية الحيوان وانشاء القرى واماكن السكن والعبادة فعندما ننظر إلى اثار نهر (Çemê Koteber) في آمد شمال كردستان يظهر بشكل جلي المستوى المتقدم للزراعة والبناء مع كل هذا نتأسف عندما نرى بأن كتب التاريخ المدونة من قبل السلطات والطبقات الحاكمة لا ترى هذا الجانب من التاريخ, وعندما تسرد جزء من النشاطات الاجتماعية – تصفها بعبارات .. مثل الانسان القديم نشاطات قبل التاريخ (prehistory).

ان تناول الدولة القومية بشكل عام من الحقائق التاريخية تأتي دوما بشكل معكوس وخاصة عندما تكون تلك الحقائق متطابقة مع مصالحها, حينها تقوم بطمرها واخفائها للحقائق التاريخية فقد تضررت الشعوب المقهورة والمستعبدة جراء هذه الازدواجية ولا تزال تتضرر منها حتى الان , ومنها الشعب الكردي , فالشعب الكردي و جغرافية كردستان تملك تاريخ غني وقديم , فمثلا المؤرخ وعالم الاثار المشهور (Bradway) في معرض بحثه عن آثار (Çemê Koteber) يقول: لا يوجد في العالم قاطبة اغني معنى للحياة من الهلال الخصيب (مزوبوتاميا) في ذلك الوقت .

هناك حقيقة اخرى في هذا المضمار هو ان القوى الاستعمارية والسلطوية تستخدم التاريخ كمادة واداة لتحرير مصالحها الخاصة من جهة وكي تكسب شرعيتها من جهة اخرى, لذلك نرى بأن التاريخ بعيد عن الحقيقة , والكثير من الحقائق التاريخية قد اخفي عمدا في مزوبوتاميا وكردستان ظهرت المئات من الآثار والحفريات مثل: سومر- بابل- آشور – فارس- روما- واماكن اخرى ودون آلاف

ان تناول الدولة القومية بشكل عام من الحقائق التاريخية تأتي دوما بشكل معكوس

الكتب حولها (حول تلك المدن والحضارات).

و بالرغم من الهوريين و الميتانيين و الكاشيين و الكوتيين والميديين لم يكونوا اقل حضارة من تلك الحضارات الا ان الطبقات الحاكمة المرسخة الحالية حالت دون ذكرهم وتسليط الاضواء عليهم, فقط لأنهم جذور الشعب الكردي, فمثلا المؤرخ (Joan Oates) في كتابه (بابل) يقول: " المؤرخون الذين تابعوا بأبحاثهم عن مزوبوتاميا قد اهملوا الكاشيين " , بالرغم من ذكر هذه الحقيقة من قبل هذا المؤرخ الا اننا نعلم جيدا بأن هؤلاء المؤرخين

لم يهملوا الكاشيين من الناحية العلمية بل اهملوها بضغط من السياسيين .

والمثال الاكثر سطوعا في هذا المجال هو: الهوريون تصل إلى 400 الاف عام وخلفوا ورائهم آثار مهمة وكان لهم الدور الريادي في مزوبوتاميا السفلى (سومر- بابل – آشور) وشمال مزوبوتاميا, وقد امتد تأثيرهم على البقع الجغرافية المجاورة, (ففي خريف 1913 في اسطنبول التركية واثناء حفر مترو الانفاق للمدينة اكتشف آثار تعود للهوريين).

يعتبر الشعب الكردي امتدادا للميراث الهوري

ولا تزال اللغة الكردية الحالية غنية بمفردات من لغة الهوريين وتستعمل حتى الان مثل اسماء الاماكن والقرى واسماء العشائر والقبائل وكذلك الميديين فقد كانوا في مقدمة الشعوب والاقوام التي وقفت في وجه الإمبراطورية الاشوررية الظالمة التي كانت تحكم مزوبوتاميا بقسوة, فحطمتها وحررت بذلك شعوب المنطقة من العبودية وما اعياد النوروز كل عام سوى امتداد وابتهاج لهذا النصر والتحرر من تلك السلطة, وبالرغم من قصر عمر الدولة الميدية الا انها خلفت ورائها تأثيرات هامة, مثال ذلك عندما انهارت الإمبراطورية الميدية كان اليونانيون يطلقون على الفرس الاخمينيين ولعدة قرون اسم الميديين وبالرغم من اخفاء آثار الحضارتين الهورية والميدية من قبل الطبقات الحاكمة والمهيمنة, الا ان الأدلة والاثار الموجودة تعطي القوة والغنى المجتمعي للحضارتيين بشكل ساطع ومرة اخرى تثبت بأن هاتين الحضارتين هما ميراث الشعب الكردي واللغة الكردية وادبها خير دليل وشاخص لسنا بعيدين عن التاريخ والتاريخ ليس بعيد عنا .لقد حدث تلاحم قوي بين حاضرنا والتاريخ القديم لاشك ان الاثار والمكتشفات التاريخية هي ادلة هامة للوصول إلى الحقائق ولا ننسى بأن اللغة والادب الحاليين هما ايضا اثار الادب .

وادلة على الحقائق التاريخية فمثلا السومريون كانوا يطلقون على الجبل اسم (kur) وقد اخذ السومريون هذا المصطلح من الهوريين والان الزازائيون الكرد يستعملون هذا المصطلح على شكل (ko) وفي اللهجة الكرمان جية يلفظ (gir) وفي الاساس يأتي اسم هور (hur) من هنا ومعناها (الشعب الذي يعيش في الأعالي)

واسم كرد (kurd) هو امتداد لهذه الحقيقة, فالسومريون كانوا يطلقون على الشعب الذي كان يعيش في زاغروس اسم (كورتي) (kur-tî) يعني الجبلي (جبل-ي).

اذا عدنا إلى مقدمة بحثنا تظهر حقيقة معناها.

(اذا لم تتمكن الشعوب المضطهدة من كتابة

لقد حان الوقت للكرد والشعوب المضطهدة ان تبحث عن تاريخها وتدوينها بشكل حقيقي

تاريخها وحقيقتها بنفسها فأن الطبقات الحاكمة هي التي تدون التاريخ كما تحلو لها ووفقا لمصالحها لأن الفئات الحاكمة دائما تدون التاريخ وفق مصالحها الطبقية وفي الغرف المغلقة).

الشعب الكردي الذي اخذ نصيبه من العذاب والظلم على ايدي الطبقات الحاكمة والمستعمرين وكذلك تاريخ موطن الكرد مشبع بالآلام والمآسي والجراحات فهو يعيش خارج الحقيقة التاريخية لدى المستعمرين والمهيمنين.

لقد حان الوقت للكرد والشعوب المضطهدة ان تبحث عن تاريخها وتدوينها بشكل حقيقي, وهذا قد لا يكفي , التعليم والتعلم واستخلاص النتائج من التاريخ هو امر حيوي وهام ان المصطلحات مثل آزادي- الارادة - الكرامة متعلقة بهذا التاريخ المخفي والمنسي هو غياب ونسيان الانسان والمجتمع.

المصادر:

1- مانيفستو الحضارة الديمقراطية (عبد الله اوجلان).
2- جون اوتس – بابل.
3- صاموئيل نوا كرام (التاريخ يبدأ من سومر).
4- المواقع الالكترونية المهتمة بالآثار.

ثقافة الأمة الديمقراطية

عبد الله أوجلان

البُعدُ الثقافيُّ عاملٌ هامٌّ في نشوءِ الأمم. وبالمعنى الضيق، تُعَبِّرُ الثقافةُ عن الذهنيةِ التقليديةِ والحقيقةِ العاطفيةِ للمجتمعات. ويُشَكِّلُ الدينُ والفلسفةُ والميثولوجيا والعلمُ ومختلفُ الحقولِ الفنيةِ ثقافةَ مجتمعٍ ما بالمعنى الضيق، ويَعكسُ حالتَه الروحيةَ والعقلية. بينما يتعرضُ العالَمُ الثقافيُّ لتحريفٍ وتحطيمٍ كبيرَين، أثناء تشييدِ الدولةِ القوميةِ أو تكوينِ الأممِ بِيَدِ الدولة. فالحداثةُ الرأسماليةُ لا تَقبلُ بالتقاليدِ بكلِّ ما تملكُ من حقائق كما هي عليه. بل تنتهلُها منها، بعدَما تصطفي ما ينفعُها منها، وتطرأ التحولَ عليها بناءً على مصالحِها هي. وهكذا، فما تَمهرُه بمُهرِ التاريخِ الثقافيِّ عارضةً إياه على المجتمعِ والفرد، إنما هو شيءٌ مختلفٌ كلَّ الاختلاف. إنه اللاتاريخُ باسمِ التاريخ، واللاثقافةُ باسمِ الثقافة. وبعبارةٍ أخرى، إنها تنتقي من بين تاريخِ وثقافةِ البشريةِ بالكاملِ ما يلائمُ المنظورَ المنفعيَّ والغرائزَ المصلحيةَ للرأسمالية، لتسردَه أمامنا وكأنها ترسمُ لوحةً جديدةً تماماً. وبهذا المعنى، فالحداثةُ الرأسماليةُ والدولةُ القوميةُ التي تُعَدُّ المُكَوِّنَ الأهمَّ لديها، تُشَكِّلان حركةً مُريعةً في تعتيمِ وتشويهِ التقاليدِ والثقافة. إنهما ضربةٌ قاضيةٌ تلحقُ بالتاريخِ والثقافةِ على صعيدِ الحقيقة. حيث لا يُمكنُها البتة شرعنةُ قاعدةِ الربحِ الأعظميِّ وتكديسِ رأسِ المالِ المتحققةِ بمنوالٍ آخر. أي إنّ الحداثةَ والدولةَ القوميةَ عاجزتان عن تحقيقِ كينونتِهما، من دونِ إعادةِ إنشاءِ التاريخِ والثقافةِ حسبما تشاءان. بمعنى آخر، فحقيقةُ الحداثةِ والدولةِ القوميةِ البارزةُ إلى الوسط، هي واقعٌ مغاير، بل وحقيقةٌ مختلفةٌ كلَّ الاختلافِ عن التاريخِ والثقافة.

تسعى الأمةُ الديمقراطيةُ إلى تكوينِ نفسِها، بإعادةِ المعنى الحقيقيِّ إلى التاريخِ والثقافة. أي، وكأنّ التاريخَ والثقافةَ المُعَرَّضَين للتشويهِ والإبادةِ يشهدان النهضةَ في خضمِّ التحولِ الوطنيِّ الديمقراطيّ. وبالأساس، فالنهضةُ المُعاشةُ في أوروبا أثناء طويِ صفحةِ العصورِ الوسطى، كانت تعني عودةَ انتعاشِ أو انبعاثِ التاريخِ والثقافةِ الإغريقيَّتين والرومانيَّتين. ثم حذَت كافةُ البلدانِ والأقوامِ الأوروبيةِ حذوَ المثالِ الإيطاليّ، وانطلقَت لإنجازِ نهضتِها، مسجِّلةً النجاحَ في تحولِها الوطنيِّ الديمقراطيّ. لقد كان مفادُ ذلك عودةُ التقاءِ كلِّ شعبٍ بتاريخِه وثقافتِه الذاتيتين من خلالِ تجاوزِ النزعةِ الكاثوليكيةِ العالمية، وعودةُ إنشاءِ نفسِها أمةً ديمقراطية. أي إنّ العناصرَ النابعةَ من التاريخِ والثقافةِ هي التي كانت سائدةً بدايةَ التحولِ الوطنيِّ في أوروبا. وتلك العناصرُ كانت أساساً تُشَكِّلُ تاريخَ الشعوبِ والأقوامِ وثقافاتِها. وعليه، كانت الميولُ الديمقراطيةُ هي الطاغيةُ ضمن الأممِ الناشئة. لكنّ تصاعدَ الميولِ الطبقيةِ لدى البورجوازيةِ فيما بعد، وبسطَ هيمنتَها في الثورةِ الفرنسيةِ خصيصاً؛ قد حوَّلَ طابعَ الأمةِ الديمقراطيةِ إلى أمةِ دولةٍ ممهورةٍ بخاتمِ السلطةِ والدولة. وفي واقعِ الأمر، فما حصلَ في جميعِ الثوراتِ الأوروبيةِ تتصدرُها الثورةُ الفرنسيةُ الكبرى– بما في ذلك الثورةُ الروسيةُ أيضاً، ولو أتت متأخرةً – كان نشوبَ الثورةِ

المضادةِ على يدِ الدولةِ القوميةِ في وجهِ الأمةِ الديمقراطيةِ وثورةِ الأمةِ الديمقراطية. أي إنّ الدولةَ القوميةَ كانت أكبرَ حركةِ ثورةٍ مضادةٍ مُنجَزةٍ ضد الثوراتِ الديمقراطيةِ الكبرى التي أطلقَها الكادحون والشعوبُ الأوروبية. وبتعبيرٍ آخر، فكلُّ دولةٍ قوميةٍ أو كلُّ نزعةٍ قوميةٍ مُحَقَّقةٍ بِيَدِ الدولةِ في عمومِ أوروبا ثم في كافةِ أرجاءِ المعمورة، هي حركاتُ ثورةٍ مضادةٍ كبرى شنَّتها الرأسماليةُ والبورجوازيةُ ضد الاشتراكيةِ والبروليتاريا وثوراتِ الأمةِ الديمقراطيةِ التي أطلقوها، وضد تعاونِ وتعاضدِ الأممِ والشعوبِ الثوريةِ وأمياتِها.

كان الشعبان التركيُّ والكرديُّ يُشَكِّلان العنصرَين الأصليَّين المُكَوِّنَين للثورةِ الوطنية

باقتضاب، كلُّ دولةٍ قوميةٍ هي ثورةٌ مضادة. إنها ديكتاتوريةٌ وفاشيةُ الرأسماليةِ والبورجوازيةِ وشركائِهما. فبالرغمِ من تَقَمُّصِ النظامِ الرأسماليّ والطبقةِ البورجوازيةِ المؤسِّسةِ إياه وتموُّهِهما بالقناعِ الثوريّ ضد النظامِ الإقطاعيّ الأقلّ عطاء، وضد ممثليه من إماراتٍ وممالكَ إقطاعية؛ إلا إنّ الشعوبَ وحركاتِ الأمةِ الديمقراطيةِ الشعبيةَ الثوريةَ هي مَن حاربَه في واقعِ الأمر. وعليه، فالنصرُ كان من حقِّها هي. لكنّ البورجوازيةَ تسللَت بين صفوفِ جميعِ الثوراتِ الشعبيةِ وحركاتِ الأمةِ الديمقراطيةِ تلك. حيث استخدمَت قوتَها الاقتصادية، وصَعَّدَت ثورتَها المضادةَ من جهاتٍ عدةٍ متمثلةً في القوميةِ والدولةِ القوميةِ والأمةِ الدولتيةِ في وجهِ ثوراتِ الأمةِ الديمقراطية؛ تاركةً بذلك بصماتِها على العصرِ الذي بات منضوياً تحت هيمنتِها. وهكذا، رصفَت الأرضيةَ لصعودِ هيمنةِ المدنيةِ الجديدة، أي الحداثةِ الجديدةِ للعصرِ الرأسماليّ على صعيدِ العالم.

أفدحُ خطأ ارتكبَه مؤسِّسا الاشتراكيةِ العلميةِ كارل ماركس وفريدريك أنجلز، هو دعمُهما –بدلاً من مناهضتِهما– للثوراتِ المضادةِ التي شنتها الدولةُ القوميةُ التي تكللت بالنصرِ الظافرِ في ألمانيا وإيطاليا كآخرِ حلقةٍ لها في أواسطِ القرنِ التاسعِ عشر. وهكذا، أمسى هذا الخطأُ ثاني أكبرِ ضربةٍ قاضيةٍ لحقَت بثوراتِ وحركاتِ الأمةِ الديمقراطيةِ التي أطلقَتها الشعوبُ حتى يومِنا الراهن، بعدَما سلَّطَت البورجوازيةُ الضربةُ الأولى ضدها. وقد عانت جميعُ الشرائحِ الكادحةِ والشعوبِ والأممِ من الآلامِ الأليمةِ والخسائرِ الجسيمةِ حصيلةَ ذلك.

لقد كانت ثوراتُ الأمةِ الديمقراطيةِ المتنامية في بلادِ الأناضولِ وميزوبوتاميا فيما بين عامَي 1919 – 1922 ثمرةً من ثمارِ الشعوبِ بالفعل. وتحالفُ الشعوبِ هو الذي كَلَّلَ تلك الثوراتِ بالنصرِ المؤزر. وكافةُ التصريحاتِ التي أدلى بها حينذاك قائدُ هذه الثوراتِ مصطفى كمال، إنما تُشيدُ بهذه الحقيقة. **لقد** كان الشعبان التركيُّ والكرديُّ يُشَكِّلان العنصرَين الأصليَّين المُكَوِّنَين للثورةِ الوطنية. وعلى الصعيدَين الأيديولوجيّ والسياسيّ أيضاً، كانت التياراتُ التركيةُ والكرديةُ واليهوديةُ (حركة الدونمة) والشركسيةُ الوطنيةُ من جهة، والتيارات القوميةُ الإسلاميةُ والشيوعيةُ من الجهةِ الأخرى ضمن تحالفٍ فيما بينها. بالتالي، فالنصرُ المُحرَزُ بهذا التحالف، كان عبارة عن ثورةٍ وطنيةٍ ديمقراطيةٍ ضد الإمبرياليةِ وأزلامِها المتواطئين معها.

حسناً، وما الذي فعلَته الزمرةُ التي بمقدورِنا تسميتُها بالبورجوازية؟ أي، مِمّن كانت تتشكلُ البورجوازيةُ الماسونيةُ المسماةُ بـ"تركيا الفتاة" (التي لا علاقة لغالبيتِها الساحقةِ بالتركياتية)، والتي لمَّت شملَها تحت مسمّى "جمعية الاتحاد والترقي"، وبأيةِ مؤامراتٍ طَبَعَت السلطةَ والثورةَ الوطنيةَ ببصماتِها؟

إذ إنّ جميعَ المعنيين بالعلمِ والمتنورين المُنصِفين وذوي الضميرِ الحيّ، يعلمون جيداً أنّ جمعيةَ الاتحاد والترقي تنظيمٌ تآمريٌّ

وانقلابيّ. وكلُّ المعنيين بالأمرِ يعرفون بوجهٍ حسنٍ أنها تركَت بصماتِها على ثورةِ المشروطيةِ الثانيةِ أولاً بعد استحواذِها على السلطة، ثم على كافةِ أجهزةِ السلطةِ مع اندلاعِ الحربِ العالميةِ الأولى. من هنا، ينبغي المعرفة على أكملِ وجهٍ كيف تسللوا إلى صفوفِ الثورةِ الوطنيةِ الناشبةِ فيما بين 1919 – 1922، وإدراك حقيقةِ المؤامراتِ والاغتيالاتِ والانقلاباتِ التي دبّرَها ونفّذَها المتعاونون مع الهيمنةِ الإنكليزيةِ بصورةٍ خاصة. فهؤلاء هم مَن حاكَ المؤامرةَ لخنقِ رئيسِ "الحزب الشيوعيّ التركيّ "TKP مصطفى صبحي مع كافةِ أعضاءِ اللجنةِ المركزيةِ المؤلفةِ من خمسةَ عشرَ شخصاً في مياهِ البحرِ الأسود. بَيْدَ أنّ البلاشفةَ الذين كانوا يمثلونهم، كانوا أصحابَ دورٍ استراتيجيّ في إنجاحِ الثورةِ الوطنية. فضلاً عن أنّ أدهم الشركسي وقواتِه التي أَكرَهوها غدراً وتآمراً على الالتجاءِ إلى الجيشِ اليونانيّ، كانت نفسُها القواتِ التي دَرأَت وسَحقَت العديدَ من تمردات الثوراتِ المضادةِ المزروعةِ على دربِ الثورةِ الوطنية. كما إنّ السَّوادَ الأعظمَ ممّن قتلوهم بذريعةِ أنهم رجعيون ومتشددون، كانوا من المسلمين القوميين الذين أدوا دوراً استراتيجياً في التحررِ الوطنيّ. زِدْ على ذلك أنّ محمد عاكف وسعيد النورسيّ اللذَين أُرسِلا إلى المنفى بعدَ إحرازِ النصر، كانا في خدمةِ الثورةِ الوطنيةِ إلى أنْ تكلّلت بالنصر. أما الكردُ العَلَويون والسُّنّةُ الذين لَبّوا نداءَ مصطفى كمال للتحالفِ الاستراتيجيّ، بدءاً من كوجكري إلى ديرسم، ومن السليمانيةِ إلى ديار بكر، وبالرغمِ من الدورِ الاستراتيجيّ الذي لعبوه في تتويجِ الثورةِ الوطنيةِ بالنصر؛ إلا أنّ القوى التآمريةَ تلك هي نفسُها مَن أنكَرَهم وأبادَهم عن بكرةِ أبيهم بلا هوادةٍ أو رحمة، سواء أثناء الثورةِ أو بعدَها. علاوةً على أنّ هؤلاء أيضاً هم مَن شلَّ تأثيرَ مصطفى كمال وزَجَّ به في أزمةٍ خانقةٍ غائرة، بتدبيرِ محاولةِ اغتيالِه في إزمير أولاً، ثم بإحاطتِه بهالةٍ من الألوهيةِ الميثولوجية.

ومَن هم هؤلاء؟ إننا نسمّي غالبيتَهم بالأتراكِ البِيض الذين ليسوا بأتراك، وببقايا "جمعية الاتحاد والترقي". ليس مهماً اسمُهم، بل مضمونُهم هو المهمّ. واضحٌ وضوح الشمسِ أنّ هؤلاء هم أصحابُ الثورةِ المضادةِ المُنادون بنزعةِ الدولتيةِ القومية، والذين تَبَرجَزوا بوساطةِ سلطةِ الدولةِ التي استولوا عليها، وأَلحقوا من خلالِ مؤامراتِهم وانقلاباتِهم واغتيالاتِهم التي حبكوها ضرباتٍ كبيرةً بالحركاتِ الوطنيةِ الديمقراطيةِ المتصاعدةِ خلال سياقاتِ الحُكمِ الدستوريّ وتشييدِ الجمهوريةِ على السواء، فانتزعوا زمامَ المبادرةِ فيها وتحكّموا بها. وهم أنفسُهم الذين لَم يتردّدْ حتى هتلر بالإقرارِ بأنه اقتفى أثرَهم وحذا حذوَهم. من هنا، ولَئِنْ كنا نودُّ فعلاً استيعابَ التاريخِ المعاصر لبلادِ

يتعلقُ حلُّ الأمةِ الديمقراطيةِ في القضيةِ الكرديةِ أولاً بالتعريفِ الصحيحِ للتاريخِ الكرديّ والثقافةِ الكردية

الأناضول وميزوبوتاميا، أي لتركيا وكردستان؛ وإذا كنا نريدُ فهمَ ثورتِهم الوطنيةِ المتحققةِ بفضلِ التحالف، وإدراكَ كُنهِ مجتمعِهم الوطنيّ الديمقراطيّ بعينٍ واقعية؛ فعلينا معرفةُ حقيقةِ الثورةِ المضادةِ التي شنّتها الدولتيةُ القومية، وماهيةِ أصحابِ هذه الثورةِ المضادةِ على أتمِّ وجه. وإلا، فلن نتمكنَ بأيّ شكلٍ آخر من استيعابِ التاريخِ الحديثِ وتاريخِ الجمهوريةِ بمنوالٍ صحيح. ونخصُّ بالذّكر أننا حينها لن نستطيعَ التحصنَ بالمعرفةِ الكافيةِ والصائبةِ لتواريخِ وثقافاتِ شعوبِ الأناضولِ وميزوبوتاميا العريقةِ عراقةَ تاريخِ البشرية، والتي تتعرضُ للإنكارِ والإبادة. وفي حالِ عجزِنا عن معرفةِ ذلك وهضمِه وتَبَنّيه، فلن يَكُونَ بوسعِنا إحرازُ النجاحِ في إنشاءِ وتطويرِ تحالفاتِ وحركاتِ الأمةِ الديمقراطيةِ لشعوبِنا التي تتشاطرُ نفسَ الثرى.

يتعلقُ حلُّ الأمةِ الديمقراطيةِ في القضيةِ الكرديةِ أولاً بالتعريفِ الصحيحِ للتاريخِ الكرديّ والثقافةِ الكردية. وهذا ما سيجلبُ معه التعريفَ الصحيحَ للوجودِ الاجتماعيّ الكرديّ أيضاً. ذلك أنّ التحولَ إلى مجتمعٍ وطنيّ مفادُه امتلاكَ الوعي والروحِ اللازمَين بصددِ التاريخِ والثقافة. وإنكارُ وإبادةُ الكردِ في تاريخِ الجمهورية (ثمة ممارساتٌ مماثلةٌ في تواريخِ الدولِ القوميةِ الأخرى أيضاً)، قد بدأ أولاً بإنكارِ التاريخِ الكرديّ وإبادةِ وجودِه الثقافيّ. حيث قُضِيَ بادئَ ذي بدءٍ على المقوّماتِ الثقافيةِ المعنوية، ثم على مقوماتِ الثقافةِ الماديةِ. ولهذا السببِ بالضبط، كان شروعُ PKK بإنشاءِ نفسِه بالتحصنِ بالوعيِ التاريخيّ والثقافيّ بدايةً في محلِّها. فسعيُه إلى إيضاحِ وشرحِ التاريخِ والثقافةِ الكرديَّين بمقارنتِهما مع تاريخِ وثقافةِ شعوبِ العالمِ قاطبة، وإفصاحُه عن ذلك متجسداً في المانيفستو المعنونِ باسمِ "طريق الثورة الكردستانية"؛ قد لعبَ دورَ النهضةِ الثوريةِ لبعثِ الحياةِ ثانيةٍ في التاريخِ الكرديّ والثقافةِ الكردية. وبالمقدورِ القولُ أنّ الكردَ حققوا بدايةً راديكاليةً مع هذا المانيفستو على دربِ التحولِ الوطنيّ الديمقراطيّ. أما الوجودُ الثقافيُّ الكرديُّ المُجَرَّبُ مع الحربِ المُعلَنةِ تزامناً مع حملةِ آب 1984، فقد أثبتَ جدارتَه في السيرورةِ والحياةِ مدعوماً بالكثيرِ من أحداثِ البطولةِ الباسلة. ذلك أنه ما كان بإمكانِ الكردِ الاستمرارُ بوجودِهم، لولا النهجُ الأيديولوجيُّ – السياسيُّ لـPKK وللحربِ الشعبيةِ التي رادَها، ولولا عكسُه للتاريخِ والثقافةِ الكرديَّتين بعينٍ سليمة. علماً أنّ العديدَ من المجموعاتِ والشخصياتِ تناولَت القضيةَ بطموحاتٍ مماثلةٍ حينئذ، ولكنها لَم تستطعْ إنقاذَ نفسِها قاطبةً من التعرضِ للتصفيةِ والزوال، نتيجةً لعدمِ تَبَنّيها للتاريخِ والثقافةِ الكرديَّتين بمنظورٍ قويمٍ وصائب.

إنشاءُ الأمةِ الديمقراطيةِ الكرديةِ مختلفٌ نوعاً عن إنشاءِ الأمةِ التي يُرادُ تطويرُها بمواقفَ قوميةٍ ودولتية. وكيفما أنه مغايرٌ لقوميةِ الدولةِ القوميةِ الحاكمة، فإنه يختلفُ أيضاً عن المواقفِ القوميةِ والدولتيةِ الكردية؛ مُظهِراً مقابل ذلك إلى الوسطِ إنشاءَ الأمةِ الديمقراطيةِ كبديلٍ يرتكزُ إلى تواريخِ وثقافاتِ الشعوبِ والكادحين.

يتبنى KCK ضمن عمليةِ إنشاءِ الأمةِ الديمقراطيةِ الكرديةِ الدورَ الذي أداه الكردُ كعنصرٍ أصليّ مشاركٍ في الثورةِ الوطنيةِ خلال الفترةِ ما بين 1919 – 1922، والذي جرى إنكارُه على مدى تاريخِ الجمهورية. فهو يَعتَبِرُ هذه الثورةَ الوطنيةَ ثورةً وطنيةً بالنسبةِ للكردِ ولبقيةِ الحلفاءِ المشاركين فيها، بقدرِ ما هي كذلك بالنسبةِ للأتراك. كما إنه ينظرُ إلى إقصاءِ الحلفاءِ وإنكارِ تواريخِهم وثقافاتِهم في الفتراتِ اللاحقةِ على أنه انقلابٌ على الطابعِ الشعبيّ للثورة. وعليه، فهو يَعتَبِرُ مقاومةَ الكردِ ضد ذاك الانقلابِ شرعيةً وتقدميةً

كان شروعُ PKK بإنشاءِ نفسِه بالتحصنِ بالوعيِ التاريخيّ والثقافيّ بدايةً في محلِّها.

وتحررية. فضلاً عن إفصاحِه علناً بأنّ التحالفَ الكرديَّ – التركيَّ الاستراتيجيَّ المبتدئَ مع معركةِ ملازكرد (1071) يستندُ إلى مبدأِ الطواعية، وأنّ الكردَ والأتراكَ ظلوا شركاء أساسيين ضمن تشكيلاتِ السلطةِ والدولةِ منذ ذلك التاريخِ بالرغمِ من تعرضِهم لفتراتِ انقطاعٍ مختلفة، وأنه ثمة شراكةٌ منيعةٌ وتداخلٌ حصينٌ بين تاريخِ وثقافةِ كِلا الشعبَين تأسيساً على ذلك. هذا ويَقبَلُ بكونِ الأتراكِ و الكردِ لعبوا دوراً استراتيجياً مشتركاً طيلةَ الأعوامِ الألفِ الأخيرةِ من تاريخِ منطقةِ الشرقِ الأوسط وعليه، فقد ازدادَت مواقفُ PKKو KCK الأيديولوجيةُ والسياسيةُ وضوحاً وشفافية، وتعزَّزَت آراؤُهما التي ازدادَت انفراجاً في آفاقِها مع هذه المرافعةِ فيما يتعلقُ بالتاريخِ الكرديّ والثقافةِ الكردية. فهي منفتحةٌ على الاتحاداتِ والتحالفاتِ الوطنيةِ

الديمقراطيةِ الأوسع نطاقاً، انطلاقاً من منظورِ الأمةِ الديمقراطيةِ المنفتحِ على الشعوبِ الأخرى. علاوةً على أنها تَعتَبِرُ استحداثَ وإعادةَ إنشاءِ الاتحاداتِ والتشكيلاتِ الكونيةِ المُعاشةِ ضمن الثقافةِ الشرقِ أوسطيةِ على مدى سياقِ التاريخ (الأمةُ الإسلاميةُ خيرُ وأفصحُ مثالٍ على ذلك)، سبيلاً إلى الخلاصِ والحريةِ والتحررِ الحقيقيّ لشعوبِ الشرقِ الأوسطِ جمعاء.

إنّ الأمةَ الديمقراطيةَ الكردية، التي ستكتسبُ مزيداً من الماهيةِ البنيويةِ تدريجياً خلال سياقِ KCK، ستُقدمُ بكلِّ أبعادِها تجربةَ إعادةِ الإنشاءِ الوطنيّ، التي ستغدو نموذجاً تقتدي به شعوبُ الشرقِ الأوسط. ومقابل نزعةِ إنكارِ التاريخِ والثقافة، التي تتبناها الدولُ القوميةُ العاجزةُ عن تخطي دورِ العمالةِ والتواطؤِ مع الحداثةِ الغربية؛ فإنها ستبتدئُ عصراً جديداً، أي ستطلقُ العنانَ لصعودِ وسموِّ عصرِ العصرانيةِ الديمقراطيةِ تزامناً مع نهضةِ الأمةِ الثوريةِ والديمقراطية.

الإدارة الذاتية الديمقراطية ونظام الكانتونات

مركز روج آفا

لقد كان مرحلة نشوء الممالك الأولى في التاريخ القديم مرحلةً تمارس فيها إلى حدٍ كبير الإدارة الذاتية الديمقراطية رغم ما كان يشوبها من نواقص نتيجة سلطة الكاهن الدينية, كمملكة أور وأوروك ونيبور ولارسا ولجاش وكولاب وكيش وأريدو وغيرها والتي عرفت بعصر فجر السلالات الأولى حوالي العام 2350 سنة قبل الميلاد, إلّا أنه وبعد نشوء نوعٍ من العلاقات التبادلية التجارية فيما بين التجمعات البشرية وفيما بين تلك الممالك كان إيذاناً بأن التوافق فيما بين فئة الكهنة ممثلي الآلهة المفترضين ورجال الجيش لم يعد كافياً لبسط السلطة والسيطرة على مقدرات المجتمع البشري, لذلك بدأت مرحلة جديدة تكونت خلالها علاقة ثلاثية بين فئة الكهنة ورجال الجيش وطبقة التجار المستفيدين من تقوية تلك العلاقة والراغبين في زيادة أرباحهم واستغلالهم وذلك للتمكن من زيادة التحكم والسيطرة وإفشال أية رغبة تسعى للعودة إلى مرحلة الديمقراطية المجتمعية السابقة.

لكن القهر والظلم بمختلف أنواعهما قد ازدادا عند مرحلة نشوء الفكر القومي والدولة القومية

و لم يكن الاستغلال والسيطرة في تلك الحقبة من التاريخ تستهدف فئة بعينها دون أخرى من البشر على اساس من العرق أو الجنس أو اللون أو الدين وإنما كانت تستهدف الجميع ولغاية أساسية هي زيادة بسط السيطرة والتسلط على الجميع.

ومع تطور التاريخ وازدياد إمكانات التواصل الاجتماعي البشري والتحكم والسيطرة على مساحات واسعة جغرافياً وبشرياً وازدياد رغبات السيطرة والاستغلال تكونت أولى أنواع الحكم والسيطرة بشكلها الواسع في التاريخ القديم, فكانت الامبراطورية الأكادية أولى تلك الأشكال بحدود العام 1800 ق.م ثم توالت بعدها العديد من الإمبراطوريات كالامبراطورية البابلية والآشورية, والميدية والأخمينية والبارثية والساسانية والأغريقية والرومانية والعثمانية وغيرها والتي تميزت فتراتها بمزيد من الحروب وسفك الدماء والدمار كان وقودها طبقات المجتمع المسحوقة والمستغلة, لكن الذي ميّز هذه المرحلة من التاريخ بالمقارنة بعصر الدولة القومية في العصر الحديث, أن في هذه الإمبراطوريات ونتيجة توسعها وامتداد سلطاتها في مناطق وبلدان شاسعة قد نشأ نوع من أنواع الحكم الذاتي أو حكام الولايات والذي تميز بإقامة إمارات على رأس من يحكمها أناس من سكان تلك المناطق والذي سمي في فترات لاحقة من التاريخ وبصورة خاصة في العهد الإسلامي بملوك الطوائف. لكن القهر والظلم بمختلف أنواعهما قد ازدادا عند مرحلة نشوء الفكر القومي والدولة القومية والتي تميزت بتمركز جميع السلطات في يد فئة حاكمة تقيم في عاصمة الدولة القومية, الظلم والاضطهاد والقهر الذي مورس ولا يزال على أسس سلطوية عرقية فئوية طائفية, زاد من قهر ومعاناة البعض أكثر من البعض الآخر والذي سبّب في نشوء الأحقاد والعداوات والحروب بين الشعوب والأقوام والطوائف التي لم يكن فيه أية مصلحة تجنى من وراء ذلك, سوى مصلحة الطبقات الحاكمة هنا وهناك.

تحولت المجتمعات البشرية إلى طبقات متعددة متنافسة في العصور القديمة, واستمر ذلك عبر التاريخ إلى العصر الحديث, كالصراع بين العبيد والأسياد في مجتمعات الرقيق والدخلاء, والصراع بين العامة وملاك الأراضي, والصراع بين الطبقة الثالثة وطبقة النبلاء عشية الثورة الفرنسية, والصراع بين العمال وأصحاب العمل في المجتمع الرأسمالي الحديث, الصراع بين الرجل والمرأة في المجتمعات البطريركية, وهكذا الصراع بين المستوطنين والسكان الأصليين في المستعمرات, إلى جانب الانقسام بين بلاد الشمال وبلاد الجنوب, ومن ثم التفرقة العنصرية بين المجتمعات الثقافية في المدن.

وفي دولة سويسرا الاتحادية, يمكن العثور على تجربة فريدة وغنية في ممارسة الثقافة الديمقراطية

هيمنت أفكار الحرية والتحرر والوحدة على فكر الحركات السياسية المناهضة للواقع الأليم, والتي اتسم فكرها بنزعة ثورية وقومية مثالية وكانت فكرة الثورة وإقامة الجمهورية فكرة مستحوذة على عقول الجماهير, وكان هدف إسقاط أنظمة الحكم الملكية له السبق على بقية الأهداف, وهكذا صنفت الأنظمة الملكية باعتبارها عقبة في طريق التحرر والتقدم وأصبح هاجس قلب الأنظمة مسيطراً وسابقاً على هاجس تأسيس الديمقراطية.

ولا شك كثيرة هي أسباب تعثر الفكر السياسي في حل إشكالات المجتمع في مسألة الهوية والانتماء أو في مسألة التحول الديمقراطي أو في مسألة التحديات الخارجية في أي مجتمع من المجتمعات, ولعل أهم هذه الأسباب هو غياب ثقافة الديمقراطية الحقيقية سواء عند الحركات والأحزاب الوطنية والقومية والثورية أو عند الأنظمة أو في الثقافة الشعبية, كما ويمكن إرجاع الأسباب الحقيقية لغياب الديمقراطية عن الفكر السياسي في مجتمعاتنا الشرقية إلى غياب مفكرين ديمقراطيين متنورين في مركز القرار السياسي أو في مركز التأثير على أصحاب القرار, القادرين على بلورة رؤية أو مشروع يربط بين عالمية الفكرة الديمقراطية والخصوصية الاجتماعية الثقافية, فالديمقراطية ليست مؤسسات فقط وإنما هي ثقافة, ونشر ثقافة الفكر الديمقراطي يجب أن تسبق خلق المؤسسات الديمقراطية, ولا يجب النظر إلى الثقافة الديمقراطية بأن لها خصوصية بمجتمع دون آخر واعتبارها من الغزوات الثقافية, إن وجود نموذج معين للثقافة الديمقراطية في أية بقعة من العالم يمكن الرجوع إليها واستلهامها وتكييفها بما يتناسب ويمس الماضي والحاضر لهذا المجتمع أو ذاك, على اعتبار أن قوانين الثقافة الديمقراطية هي ظواهر اجتماعية تظهر نتيجة لتفاعل عناصر مختلفة كالطبيعة والمناخ والأخلاق والظروف الاجتماعية وبذلك يجب أن تكون قوانين الديمقراطية مطابقة لروح العصر والطبيعة التي تنشأ فيه, تطبيقاً لما جاء في كتاب روح القوانين للمفكر الكبير مونتسكيو.

لقد خاض الإنسان تجارب عديدة للوصول إلى الحرية وتطبيق الديمقراطية وفي مناطق متعددة في هذا العالم, لكن أغلبها باءت بالفشل أو أنها لم تعمّر طويلاً أو أن الترويج الإعلاميّ لها كان أكبر من حقيقة بنيتها الديمقراطية المجتمعية المشوهة, كتلك الاشتراكية التي شُيّدت ولم تعمّر أكثر من سبعة عقودٍ في الاتحاد السوفياتي, أو كتلك الديمقراطيات الوليدة الأوربية التي لم تصل إلى الآن إلى مصاف الديمقراطية المجتمعية الحقيقية لأنها لم تتمكن إلى الآن التخلّص من رواسب سلطة الدولة القومية واحتكار شركات الرأسمال العالمية, ولكن وفي ثنايا الديمقراطية الأوربية وفي دولة سويسرا الاتحادية, يمكن العثور على تجربة فريدة وغنية في ممارسة الثقافة الديمقراطية, سويسرا الاتحادية القائمة على أسس نظام الكانتونات والتي يمكن الإشارة إليها وفق التفصيل الآتي:

يقع سويسرا في وسط أوربا الغربية وليس له منافذ بحرية تحدها المانيا من الشمال وفرنسا من الغرب وإيطاليا من الجنوب والنمسا واليختنشتاين من الشرق, ويسود سويسرا أربع لغات رسمية هي الألمانية والفرنسية والرومانشية والإيطالية, ومذهبين الكاثوليك والبروتستانت, عدد سكان سويسرا 7,450,000 نسمة على مساحة تبلغ 41,285 كم مربع, سويسرا دولة فقيرة في مواردها الطبيعية شديد الوعورة في أرضها, وتتكون سويسرا من 26 كانتوناً منها ستة أنصاف كانتون,

تعد سويسرا من الدول المستقرة على مستوى دول العالم , حيث يمثل استقرار سويسرا ونظامها السياسي مثيراً للتساؤل مقارنة بما تعرفه الديمقراطيات في العالم, وتأتي أهمية دراسة تجربة الحكم الديمقراطي السويسري في استخلاص العبر والدروس من مجتمع متنوع لغوياً وقومياً وطائفياً ودينياً, مجتمع جعل من هذا التنوع مصدراً للثراء والإخصاب الحضاري والاستقرار السياسي والتقدم العلمي والاقتصادي والاجتماعي بعد أن كان مصدر شرور وحروب أهلية وإقليمية,

وقد تساءل صموئيل جونسن سنة 1742 م بأي سياسة عجيبة أو بأي توافق سعيد بين المصالح تمكّن السويسريون تجنّب الفتن العنيفة, في دولة تتألف من شتّى المجتمعات ومختلف الأديان رغم ولع أهلها بالحرب وتجييش الجيوش وحشدها.

الديمقراطية السويسرية التي تسمى الديمقراطية المباشرة أو ديمقراطية القاعدة, التي تقوم على أساس حل مشاكلها سلمياً وعبر الحوار والتجريب والتسامح والتي استطاعت إيجاد الحلول للصراع الطائفي والقومي,

سويسرا هذا البلد الذي يشبه في هذا وذاك طبيعة مجتمعنا السوري ليس فقط في المناطق الكردية بل وفي عموم الوطن السوري, حيث التعدد القومي بين الكرد والعرب والآشوريين والسريان والتركمان والتعدد الطائفي والمذهبي من سنّة وعلويين وشيعة وإيزيديين واسماعيليين ودروز وإن اختلفت النسب من منطقة إلى أخرى, بلادنا التي تفوق البلد السويسري في غناه الطبيعي والثقافي والمجتمعي إن توفرت الإرادة في الوصول إلى ما وصلت إليها سويسرا من الحكم الديمقراطي.

إننا حين نتحدث عن سويسرا تعود بنا الذاكرة إلى سنة /1291 م/ التي شهدت إبرام أول ميثاق بين الكانتونات الثلاث/أوري, و شفيتس, و أنترفالد/ أي منذ سبعة قرون من الآن والتي وضعت أسس لاتحاد دويلات تواصل إلى سنة /1798 م/ والتي شهدت أثناءها نهايتها أثناء الثورة الفرنسية واحتلال نابليون لأراضيها, لكنها عادت من جديد إلى نظام الكونفدرالية والتحقت به بقية الكانتونات شيئاً فشيئاً مع احتفاظها باستقلالها الكامل بنهاية سنة /1848 م/.

لقد نص الدستور الفدرالي السويسري على أن

تشبه الكانتونات في هيكلها السياسي إلى حد كبير الكونفدرالية

سويسرا بلد يتكون من /26/ كانتوناً من بينها ستة أنصاف كانتون دون أن تؤثر هذه الوضعية على الاستقلال الذاتي لهذه الدويلات الأعضاء, ولا يختلف الحال إلا على مستوى عدد من ينوبها في برن العاصمة إذ يمثل نصف الكانتون نائب واحد في مجلس الدويلات, أي في الغرفة العليا من البرلمان وخلال الاستفتاءات العامة وحين تكون غالبية الكانتونات مطالبة بإقرار القضايا المطروحة للتصويت لا تحسب إلا 50% من أصوات نصف الكانتون.

تشبه الكانتونات في هيكلها السياسي إلى حد كبير الكونفدرالية, فهي تتأسس على دستور يعود في أغلب الأحوال إلى القرن التاسع عشر, ومثل المجلس الفدرالي تحتكم المجالس

الكانتونية إلى مبدأ التوافق وتتشكل من خمسة إلى سبعة أعضاء.

وعلى خلاف الكونفدرالية يتم انتخاب المجلس التنفيذي في الكانتونات عن طريق الاقتراع العام وليس من خلال البرلمان, لقد كانت سويسرا جمهورية النظام ولكنها لم تكن ديمقراطية بمعناها المعروف, ففي كل مقاطعة كانت تنتخب أقلية من السكان الذكور البالغين الذين ينتمون عادة للأسر العريقة مجلساً صغيراً يتألف من أربعة وعشرين إلى أربعة وستين عضواً, ولكن المجلس الصغير كان يعين مجلساً خاصاً أصغر منه وعمدته وهو أكبر موظفي المقاطعة, ولم يكن هناك فصل للسلطات فالمجلس الصغير هو أيضاً المحكمة العليا, وهذا يعني ما يعنيه إن السير في طريق الوصول إلى الديمقراطية قد تتعثر كثيراً لكن السير ووجود إرادة الوصول إلى التنفيذ الفعلي للديمقراطية الحقيقية لا بد وأن تتحقق كما هو الآن في ديمقراطية الكانتونات السويسرية في الوقت الحاضر.

لقد كانت المقاطعات السويسرية شديدة الحرص على استقلالها الذاتي, كل منها تعتبر نفسها دولة مستقلة ذات سيادة لها الحرية في خوض الحرب أو إبرام الصلح أو الدخول في أحلاف أجنبية, ومثال ذلك أن المقاطعات الكاثوليكية ارتبطت بفرنسا طوال حكم لويس الخامس عشر, ورغبة في التخفيف من الصراع بين المقاطعات كانت كل منها ترسل مندوبين عنها إلى مجلس سويسري ينعقد في زيورخ ولكن هذا المجلس الاتحادي كانت سلطاته محدودة جداً فهو لا يستطيع فرض قراراته على أي مقاطعة ترفضها, ويجب أن توافق جميع المقاطعات على هذه القرارات لكي تكون قانونية, ورغم العوائق الطبيعية والحواجز التشريعية فقد زال رق الأرض في بضع مناطق على الحدود الألمانية أو النمساوية, فملك الفلاحون كلهم تقريباً الأرض التي يزرعونها فازدهرت أحوالهم, وقد اضطر كثير من السويسريين إلى الجمع بين الزراعة والصناعة لطول الشتاء وصعوبة النقل, وكانت مالية سويسرا حتى في ذلك الحين مثار حسد أوربا, هذا والتجار السويسريون نشيطين في كل بلد, فقد أثْرتْ كانتون /بازل/ من الاتجار مع فرنسا وألمانيا, وكانتون /زيورخ/ من الاتجار مع ألمانيا والنمسا, ونافست كانتونات /بازل/ و/جنيف/ و/لوزان/ أمستردام ولاهاي مراكز للنشر, كما أمدّت السياحة الاقتصاد الاتحادي بدعمٍ متزايد بعد أن أشاد /هاللير/ و/روسو/ بجمال البحيرات السويسرية وجبال الألب المهيبة, هذا كله بما يتشابه إن جازت المقارنة من جولات تقوم بها وفود كانتونات الجزيرة أو كوباني أو عفرين إلى تركيا وجنوب كردستان أو غيرها من البلدان كأولى خطوات عملها تسير في هذا المضمار من الاستقلالية الادارية والذاتية للوصول إلى الديمقراطية المجتمعية والرفاه والازدهار الاقتصادي في الكانتونات المعلنة في المناطق الكردية في روج آفا.

التجربة السويسرية في الديمقراطية لم تعد كما كانت في بداياتها حين كان يسودها الطابع التجريبي فقد بلغت الآن درجة عالية من النضج والثراء والاستقرار التي يمكن الاستفادة منها في تطبيق الادارة الذاتية الديمقراطية في كانتونات الجزيرة وكوباني وعفرين, لقد حدد الدستور الجديد للدولة الاتحادية صلاحيات السلطات الاتحادية في الإشراف في السياسة الخارجية وأمور الدفاع والجيش كما حددت الحريات الفردية وصلاحيات حكومات الكانتونات, تلك القوانين والأصول الديمقراطية التي يمكن الاستناد عليها في المراحل القادمة في كيفية رسم مستقبل الدولة السورية وتنظيم العلاقة فيما بين الكانتونات والمركز من خلال وضع الدستور القادم, ولا يجب النظر إلى هذه المسألة من زاوية الانتقاص أو العجز في إيجاد الحلول لمشاكل مجتمعنا, فالتجربة السويسرية هي تجربة جديرة بالاهتمام على اعتبار أنها تجربة ناضجة أثبت التاريخ قوتها وسلامتها ونجاعة أغلب الحلول التي تقدمها للمشكلات

القديمة المستعصية أو لتلك الجديدة الطالعة من خضم الحراك الاجتماعي والتغيير الطبيعي المستمر, وقد استفادت واقتبست شعوب عديدة من التجربة السويسرية, وآخرها بلجيكا التي أوفدت سنة 1988 م وفداً كبيراً من البرلمانيين ورجال الدولة إلى سويسرا ليدرس عن قرب هذه التجربة الفريدة والخصبة ويأخذ منها ما يفيد المجتمع البلجيكي الذي يعاني هو الآخر من صراع بين المكونين المجتمعين له أي قوميتي الفلامون والفالون, هذه التجربة التي تم الإعلان عنها مؤخراً في ثلاث كانتونات في المناطق الكردية, الجزيرة وكوباني وعفرين كأنموذج عن التجربة السويسرية والتي قد تصبح في المرحلة القادمة تجربة خصبة وغنية يمكن الاستفادة منها والاعتماد عليها لتكون المنطلق في إغناء هذه التجربة في المناطق والمحافظات السورية الأخرى إضافة إلى أن تكون هي المرتكز ليس فقط في سوريا لوحدها بل وفي الدول المجاورة أيضاً.

إن تجربة نظام الكانتونات تنطوي على الكثير من الخبرة الثمينة في حل ومعالجة التنوع الطائفي الديني نظراً لما ذاقه السويسريون من مرارة الحرب الأهلية بين سنتي 1841 و 1848 م فالمجتمع السويسري وفق إحصائيات الثمانينات من القرن الماضي يتألف من أغلبية كاثوليكية تصل إلى 47% وأقلية بروتستانتية تصل إلى 44% وما تبقى هم من أديان ومذاهب أخرى, وقد وجد دستور 1848 م حلاً لهذه الحرب تتضمن المضامين الديمقراطية التقدمية والذي استوعب وفهم واضعوه جميع دروس وعبر الحرب الأهلية والتي تحكم عملية الاختلاف والتنوع الطائفي والتي يمكن الاستفادة منها والبناء عليها في واقع المجتمع السوري المتعدد الطوائف والأعراق, تلك المبادئ التي يمكن الإشارة إلى البعض منها:

1- حرية الأفراد والجماعات في اعتناق المذهب الديني الذي يختارونه.

2- التسامح الديني والمساواة الواقعية بين الأفراد والجماعات.

3 – منع الترويج لمذهب طائفي ضد مذهب آخر أو للغة ما ضد لغة أخرى وتحريم الترويج للكراهية وازدراء المذاهب والأديان الأخرى وأصحابها.

4 – الأخذ بمبدأ التصنيف الوطني وليس الطائفي أو العنصري للأفراد في هيئات الدولة والسلطات الثلاث.

5 – ليس من المستساغ أن يعلن أي كانتون عن هويته الطائفية أو اللغوية فيقول كانتون كاثوليكي أو بروتستانتي, ألماني أو فرنسي أو إيطالي. (كردي أو عربي أو سني أو علوي, في الواقع السوري)

للكانتونات السويسرية حق صياغة دستور

إن تجربة نظام الكانتونات تنطوي على الكثير من الخبرة الثمينة في حل ومعالجة التنوع الطائفي

وسن قوانين داخلية, في كل ما يتعلق بهيكلية الكانتون ومستقبلها في الاتحاد الفدرالي, وتخضع السلطة القضائية إلى صلاحياتها أيضاً, وسبق أن كانت أغلب الكانتونات السويسرية تابعة إلى الفدرالية القديمة وظلت حدودها الجغرافية ثابتة منذ قرون, وآخر تغيير طرأ على الحدود سنة 1979 م عندما ظهر إلى الوجود كانتون/الجورا/ نتيجة انفصال ثلاث مقاطعات سبق أن كانت تابعة لكانتون /برن/ وفي أحدث تغيير أيضاً تم ترحيل منطقة /لوفانتال/ من كانتون /برن/ إلى كانتون /ريف بازل/ وهذا الكانتون الذي تبلغ مساحته /37/ كم مربع هو الكانتون الأصغر من حيث المساحة, مقابل كانتون /الغريسون/ أوسع كانتون في سويسرا بمساحة قدرها /7105/ كم مربع, ومن حيث عدد السكان تحتل كانتون /زيورخ/ المرتبة الأولى حوالي /1,3/ مليون نسمة سنة 2005 م مقابل كانتون /أبنزل الداخلية/ أقلها عدداً للسكان بحوالي /15,171/ نسمة سنة 2004 م, وذكر هذه الأرقام والمساحات للكانتونات تأكيدٌ بأن

الوصول إلى الديمقراطية الحقيقية هي مرتبطة بإرادة العيش المشترك وليس بعدد معين من السكان أو بمساحة معينة من الأرض, إن النظام الاتحادي السويسري قائم على الأساس الديمقراطي الشفاف, وهذا الأساس هو الذي وفر القاعدة الاجتماعية والحضارية لاندماج مجتمعي عميق وسليم بين سكان الدول الاتحادية في الاتحاد السويسري ووفر في المقابل حصانة مهمة للخصوصيات القومية واللغوية لجميع المكونات السكانية, كما هي الحال في المجتمع السوري والذي يمكن البناء عليها, حيث لكل مجموعة أن تعتز بأصلها ولغتها وثقافتها, ولكن ليس على حساب الولاء والانتماء للاتحاد, ففي جميع المدن السويسرية يعيش السكان من مختلف الأصول واللغات والطوائف سوية ويعملون سوية دون أية حساسيات ذات منشأ قومي أو عنصري أو طائفي, وتلك هي الطريقة المثلى لتطبيق الديمقراطية المرتبطة بإرادة العيش المشترك والمنحلة عن تلك القوالب المحددة بقوانين بعيدة عن إرادة اختيار طريقة البقاء ضمن أطر معينة عرقية أو طائفية أو مذهبية أو جغرافية.

يوجد في سويسرا هذه الدولة الاتحادية من النظم التعليمية المختلفة بتعداد الكانتونات المشكلة لها, وبرغم الجهود التي تبذل من أجل التقريب بين هذه النظم فإن كل كانتون يحتفظ بحق اختيار النظام الذي يرتضيه, وما قطاع التعليم إلّا مثالاً من بين أمثلة أخرى تدل على النطاق الواسع من الاستقلالية الذي تتمتع به الكانتونات والمجموعات المحلية في هذا البلد, التباين نفسه نجده أيضاً على مستوى المؤسسات السياسية إذ تختلف دلالة الكلمات من منطقة إلى أخرى, فالمجلس المحلي في كانتون /نوشاتيل/ يشير إلى الجهاز التنفيذي, وفي كانتون /فو/ يشير إلى الجهاز التشريعي.

يستند النظام الفدرالي إلى مرتكز أساسي تحتفظ بمقتضاه الكانتونات والمجموعات المحلية بأوسع ما يمكن من الصلاحيات, ولا تفوض إلى السلطات الفدرالية إلا ما يتجاوز قدراتها وإمكاناتها.

النظام الفدرالي كمبدأ أساسي للتنظيم السياسي منصوص عليه في الدستور السويسري, فقد ورد في المادة /3/ منه الكانتونات تمارس سيادتها ما لم تخرج عن الحدود التي وضعها الدستور, وتتمتع بكل الصلاحيات التي لم يفوضها الدستور للحكومة الفدرالية, الاتحاد السويسري القائم على أساس الاتحاد الطوعي بين مجموعة من الكانتونات المستقلة والتي تتمتع بحق الانفصال والخروج من الاتحاد متى صوتت الأغلبية السكانية لصالح ذلك, والأكثر من ذلك حق الانفصال مضمون حتى للكومونات "المشاعات" الصغيرة, وقد حدث ذلك فعلاً حين انفصلت سنة 1978 م عدة كومونات من كانتون /بيرن/ العاصمة السياسية للاتحاد وأسست كانتوناً جديداً هو كانتون /جورا/ بعد أن وافقت الأغلبية السكانية على الانفصال خلال استفتاء أجري بتاريخ 23 حزيران عام 1974 م .

والكومون هو الوحدة السياسية الأصغر وقد يبلغ عدد سكانها أكثر من /250/ ألف نسمة كما هي الحال في كومون /زيورخ/ وقد يتدنى إلى اثنين وعشرين شخصاً فقط كما هي الحال في كومون /غومان لوجو/.

سويسرا دولة كونفدرالية يحكمها دستور أقر سنة 1974 م ويعتمد على مبادئ الديمقراطية المباشرة وغير المباشرة ضمن إطار فدرالي حيث يعهد سلطات كبيرة لتكون تحت سيطرة الوحدات الفرعية لنظام الحكم, وعلى هذا الأساس تم تقسيم سويسرا إلى /26/ و تتوزع على /20/ كانتوناً و /6/ أنصاف كانتونات وهذه الكانتونات بدورها تنقسم إلى مجالس بلدية يبلغ عددها /3000/ تقريباً.

المؤسسات السياسية في نظام الكانتونات:

الجمعية الاتحادية أو السلطة التشريعية:

ويمثلها البرلمان ويطلق عليه الجمعية الفدرالية:

تعتبر الجمعية الفدرالية بموجب الدستور أعلى سلطة في البلاد دون الإخلال بحقوق الشعب والمقاطعات, ولها اختصاصات من أبرزها:

1- انتخاب أعضاء المجلس الاتحادي ورئيسه ونائبه.

2- عقد الاتفاقيات والمعاهدات الدولية وإقرار المعاهدات التي تعقدها المقاطعات فيما بينها.

3- اتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية الدولة من الاعتداءات الخارجية وحفظ استقلالها وحيادها.

4- اتخاذ الإجراءات اللازمة لتحقيق الأمن الداخلي وضمان تطبيق دساتير المقاطعات وحماية اراضيها.

5- وضع الميزانية العامة للدولة وإقرارها.

6- الاشراف العام للجهازين القضائي والاداري للدولة.

7- انتخاب أعضاء المحكمة الاتحادية.

8- تعيين قائد للجيش.

هذا والجمعية الفدرالية مكون من مجلسين:

1- المجلس الوطني:

ويتكون من مئتي عضو ينتخبون لمدة أربع سنوات وفق نظام يراعي عدد سكان كل ولاية على أن لا يقل عدد ممثلي الولاية عن عضو واحد, والمجلس الوطني هو المجلس المنتخب مباشرة من قبل الشعب وعلى قاعدة نائب واحد على الأقل لكل مجموعة من الناخبين مما يعني أن عدد النواب يتناسب طردياً مع عدد الناخبين, ويشترط لعضوية المجلس الوطني أن يكون المرشح سويسري الجنسية, ومتمتعاً بالحقوق السياسية وبالغاً من العمر إحدى وعشرين سنة, وللمجلس الوطني دورة عادية واحدة في السنة, وفي كل دورة عادية من دوراته ينتحب رئيساً ونائباً للرئيس من قبل أعضاء هذا المجلس, على أن لا يعاد انتخاب أي منهما لدورتين متتاليتين.

2 – مجلس الولايات:

أما المجلس الثاني فهو مجلس دويلات أو ولايات الاتحاد ويتم تشكيله على أساس المساواة في تمثيل المقاطعات, ويتكون من /46/ عضواً لفترات حسب تشريعات كل ولاية وفيه يتمثل كل كانتون صغيراً أو كبيراً بنائبين اثنين, ونائب واحد عن كل نصف كانتون يجري انتخابهم بموجب القوانين الخاصة بكل مقاطعة, ولمجلس المقاطعات دورة عادية واحدة كل سنة, وينتخب في كل دورة عادية رئيساً ونائباً للرئيس كما هو الحال بالنسبة للمجلس الوطني, على أن لا تنحصر رئاسة المجلس ونائبه بيد نواب نفس المقاطعة في دورتين متتاليتين, على أن يجتمع المجلس الوطني ومجلس المقاطعات في جلسات دورية بموجب المادة /151/ الفقرة الأولى وجلسات استثنائية بموجب الفقرة الثانية من نفس المادة وذلك لعدة أغراض من أهمها:

1- إجراء الانتخابات.

2- إصدار العفو.

3- اتخاذ القرار بشأن تنازع الاختصاص بين السلطات الاتحادية العليا.

4- في المناسبات الخاصة وكذلك الاستماع إلى بيانات المجلس الاتحادي.

المجلس الاتحادي أو السلطة التنفيذية:

في الدستور السويسري تقرر أن تناط السلطة التنفيذية بحكومة مؤلفة من سبعة أعضاء ينتخبهم البرلمان (الجمعية الاتحادية) في اجتماع مشترك لأعضاء مجلسيها من بين أعضائه لمدة أربع سنوات يدعى كل منهم مستشار الدولة ومقرها في مدينة /بيرن/ العاصمة الاتحادية وتسمى هذه الحكومة المجلس الفدرالي على أن لا يتمثل أي حزبٍ في هذا المجلس بأكثر من عضوٍ واحد وتضم سبع مديريات وهي لا تسمى وزارات وهي على التوالي الخارجية , والداخلية, والدفاع , والعدل والشرطة, والمالية, والاقتصاد العام,

والنقل والطاقة, ولا يجوز الجمع بين عضوية المجلس الاتحادي وعضوية الجمعية الاتحادية ومهمة هذا المجلس هو تنفيذ القوانين وإعداد مشاريع قوانين جديدة وإدارة الشؤون الخارجية والمصادقة على تحركات الجيش.

للكانتونات التصرف في كامل السلطات باستثناء ما يدخل ضمن صلاحيات الحكومة الفدرالية, كإعلان الحرب والسلام وعقد المعاهدات الدولية

يقوم البرلمان بانتخاب رئيس للمجلس الفدرالي ونائب له من بين أعضاء المجلس ولمدة سنة واحدة وهو منصب فخري لا يحمل لصاحبه إلا مهمة رئاسة الجلسات, أما الأعضاء السبعة فيقومون على رأس عملهم كوزراء وفضلاً عن ذلك فإن للمجلس الاتحادي اختصاصات عديدة من أبرزها:

1- حق اقتراح القوانين.

2- إصدار التشريعات.

3- تنفيذ القوانين والقرارات التي تصدرها الجمعية الاتحادية.

4- حماية الأمن الخارجي للدولة الاتحادية.

5- حفظ الأمن الداخلي للدولة الاتحادية.

6- تطبيق الدستور الاتحادي ودساتير المقاطعات.

7- إعداد الميزانية العامة للاتحاد.

8- إدارة الشؤون الخارجية.

السلطة القضائية:

تعتبر المحكمة الفدرالية في لوزان المحكمة العليا في سويسرا وهي تتكون من ستة وعشرين قاضياً وتسعة مساعدين تعينهم الجمعية الفدرالية في اجتماع مشترك لأعضاء مجلسيها لمدة ست سنوات, وتكون هذه المدة قابلة للتجديد دون انقطاع, ولا تتدخل هذه المحكمة في تفسير الأمور المتعلقة بتفسير القانون الفدرالي لأنها من اختصاص المحاكم المحلية في الولايات. ويستطيع كل مواطن الترشيح لعضوية هذه المحكمة بشرط أن لا يكون المرشح عضواً في الجمعية الاتحادية أو المجلس الاتحادي, وللمحكمة الاتحادية ثلاثة أقسام يختص كل منها في النظر بنوع معين من القضايا .

اختصاص القسم الأول النظر في القضايا التي تحدث بين الحكومة الاتحادية والمقاطعات والقضايا التي تحدث فيما بين المقاطعات.

ويختص القسم الثاني بالنظر في القضايا الخاصة بالقانونين المدني والتجاري .

أما القسم الثالث فيختص بالنظر في قضايا الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق, وإلى جانب هذه الاختصاصات الثلاثة هناك المحكمة الإدارية التي تنظر في الاتهامات الموجهة ضد الموظفين العموميين, إلى جانب اعتبار المحكمة الاتحادية المرجع الأخير في تفسير القوانين لكنها لا تعتبر كذلك في تفسير الدستور على اعتبارها من اختصاص الجمعية الاتحادية.

الحكومات المحلية:

للكانتونات التصرف في كامل السلطات باستثناء ما يدخل ضمن صلاحيات الحكومة الفدرالية, كإعلان الحرب والسلام وعقد المعاهدات الدولية والتحالفات في ما يخص القوات المسلحة وتنظيم التجارة والمواصلات والتعليم العالي والعمالة.

للكانتونات الحق في تغيير أي مادة دستورية في دستور الاتحاد وذلك من خلال إجراء استفتاء نالت الموافقة نتيجة عريضة تحمل تواقيع مئة ألف ناخب, وفي ذات الوقت يحق لأي كانتون إجراء استفتاء لتغيير مادة قانونية نتيجة تقديم عريضة تحمل تواقيع خمسين ألف ناخب.

وتعتبر الحكومات المحلية محور النظام السياسي السويسري الذي يعتمد الحكم الذاتي كأساس لتشكيله, وهذا الشكل يختلف من ولاية إلى أخرى لكن معظمها يشترك في تكونه من مجلس تشريعي منتخب ومجلس تنفيذي.

وهناك ولايات صغيرة تعتمد شكلاً حكومياً يعرف بـ/مجتمع القرية/ حيث يتم البت في الأمور بطريقة بسيطة عبر جمعية عامة لكل الناخبين.

تتكون كل ولاية من عدد من المجالس البلدية وهذه المجالس منتخبة وتمارس سلطات واسعة مثل:

منح الجنسية, تحصيل الضرائب, صيانة الطرق والجسور والمنشآت العامة, توفير الماء والكهرباء, إدارة المدارس الابتدائية والثانوية, توفير الخدمات العامة.....الخ

وفي الختام ما يمكن ملاحظته هو أن النظام السويسري القائم على النظام المجلسي, لا تتوفر فيه جميع خصائص هذا النظام, ذلك أنه لا يجوز للبرلمان أو الجمعية الاتحادية أن تعزل أعضاء المجلس الاتحادي قبل انتهاء مدتهم أي قبل مرور اربع سنوات كما أن الواقع العملي أثبت أن المجلس يتمتع بقدر كبير من الاستقرار مما يؤدي ذلك إلى إكساب أعضائه وزناً سياسياً مهماً حيث أن عضوية المجلس تكون لمدة أربع سنوات قابلة للتجديد إلى ما لا نهاية الأمر الذي كان من شأنه أن احتفظ عدد كبير من أعضائه لفترات تجاوزت العشرين عاماً مما أضفى على هذا المجلس ثباتاً واستقراراً في كينونته العضوية على وضع راح يؤكد لنفوذ واقعي كبير لهذا المجلس حتى في مواجهة البرلمان.

والواقع أن نظام الحكم في سويسرا إن بدا فيه بعض مظاهر النظام المجلسي إلا أنه يتميز بطابع خاص يختلف عن بقية أنظمة الحكم , بل أن بعض الفقهاء اعتبروه نظاماً يحقق للمجلس الاتحادي التنفيذي سلطة دكتاتورية على الهيئة النيابية التشريعية الاتحادية, ولكن في المقابل فإنه مهما قيل عن هذا النظام فإن معظم الباحثين وأساتذة القانون الدستوري والنظم السياسية يؤكدون على نجاح هذا النظام في سويسرا ويرجعون سبب نجاحه إلى طبيعة السويسريين المعتدلة وإلى عدم وجود صراعات حادة بين الأحزاب السياسية التي تتقاسم مقاعد البرلمان إضافة إلى العديد من الأسباب الأخرى التي لا يتسع المجال هنا في بحثها كاملةً.

التغريبة الكردية و عنصرية السلطات

طه خليل

يشبّه القوميون العرب الكرد ودولتهم كردستان الحلم المنتظر بإسرائيل ، فهي ان تحققت ستكون "خنجرا مسموما في ظهر العرب والعروبة"، بعد ان كانت اسرائيل خنجرا في خاصرتهم ، اما الكرد القوميون فيتمنون لو كان العرب يعاملونهم كما تعامل اسرائيل الفلسطينيين .

كان الأطفال العرب يسخرون منا ـ الاطفال الكردـ عندما كنا في المدارس مرددين: "كردي كردي ذيل الجرذي" وكنا نرد عليهم : "عرب عرب مال الجرب" ، كانت تلك حروبنا الصغيرة، والتي كانت فيما بدا انها من شرارات حرب أخرى كبيرة كانت تدور في الجبال بين الجيش العراقي العربي والمقاتلين الكرد في جنوب كردستان.

على وقع تلك الهتافات كبرنا، وكبرت مخاوفنا، أحلامنا وانكساراتنا، لسنا عرب، لكنهم يقولون لنا: "بل انتم عرب، ما دمتم تعيشون في بلاد عربية، وتتحدثون اللغة العربية، وتكرهون اسرائيل"، لكنهم لم يعاملونا يوما كما يعاملون المواطنين العرب, اللهم الا من خلال خدمة الجيش والقيام بالواجبات "الوطنية". فالكثير من المواقع الوظيفية لا يحق لنا ان نشغلها، وعرفنا اننا لسنا عربا، ولا هم ينظرون الينا كعرب، بل فقط كأناس من الدرجات المتدنية، فكان علينا ان نعد أنفسنا، ونتحصن نحن ايضا خلف نزعاتنا القومية، ونرمي بكل شعاراتهم الانسانية المعلنة وراء ظهورنا .

في إيران لا يعترفون بالكرد كقوم مختلف عن الفرس، وفي تركيا يسمونهم أتراك الجبال، ويقولون ان لفظة الكرد جاءت من صوت وقع الاقدام على الثلج "كرد كرد" وعلى مدخل كل مدينة كردية في شمال كردستان يكتب الاتراك بدلا من المدينة الفلانية ترحب بكم: "يا لسعادة من يقول: أنا تركي" وفي العراق (ما قبل سقوط صدام) وسوريا يقول حزباهما الحاكمان، حزب البعث: "الرابطة القومية هي الرابطة الوحيدة القائمة في الدول العربية التي تكفل الانسجام بين المواطنين وانصهارهم في بوتقة امة واحدة, وتكافح جميع العصبيات المذهبية والطائفية والقبلية و العرقية و الاقليمية " . والرابطة تلك هي بالطبع رابطة القومية العربية، والامة العربية الواحدة وذات الرسالة الخالدة، كما يرى ميشيل عفلق وزكي الارسوزي وساطع الحصري وغيرهم من

لكنهم لم يعاملونا يوما كما يعاملون المواطنين العرب, اللهم الا من خلال خدمة الجيش والقيام بالواجبات "الوطنية"

الذين أوجدوا هذه الشعارات، وهم لم ينتموا اليها قوميا في الواقع، ولعلهمن المفارقات الملفتة ان عتاة القومية العربية وأهم منظريها الايديولوجيين ليسوا ممن ينتمون اليها عرقيا.

بعد قيام الملا مصطفى البرزاني بثورته ضد الحكومات العراقية، اتسعت الفجوة وازدادت الهوة بين القوميتين العربية والكردية، وراحت الآلة الدعائية لحزب البعث تدور على مدار الساعة تصف الكرد بالخونة و"عملاء اسرائيل". مما خلق لدى المواطن العربي

موقفا سلبيا من الكرد، وكما لو كان الكرد عربا يتعاملون مع العدو اللدود للأمة العربية، رغم ان القتل والمجازر التي ارتكبها البعث العراقي بحق الكرد تجاوز ما فعله الاسرائيليون بالفلسطينيين بعشرات المرات، فرغم ان السلوك الاسرائيلي الوحشي تجاه الفلسطينين كان قديما وثابتا لكنه لم يصل مثلا إلى حد استخدام الاسلحة الكيمياوية ليس فقط ضد المدنيين الاسرائيليين بل حتى في حروبها ضد المجموعات الفلسطينية المقاتلة، ورغم انني لست هنا في وارد المقارنة الا انني سقت المثال للتذكير فحسب، ورغم كل الوسائل الفتاكة التي استخدمتها الانظمة العربية الحاكمة بحق الكرد من مجازر وابادات منظمة، كان على الكردي ان يرضى بالقتل ولا يتوجع او يتأوه وهو تحت السياط، لان تأففه وتبرمه يعد خيانة لمبادئ الامة العربية التي فصّلها منظرو حزب البعث من الارسوزي وعفلق وحتى خال صدام حسين المدعو خيرالله طلفاح، البدوي العنصري والجاهل الذي أصدر كتيبا بهذا الخصوص.

المثقفون العرب وساستهم لم ينصفوا الكرد يوما، والاحزاب الشيوعية العربية كانت معادية لطموحات الكرد أكثر من بعثيي صدام

وفي سوريا لم تتعامل السلطات الحاكمة على مدى تاريخها الا بطشا مع الكرد فمنذ تعاقب حكومات الانقلاب في الخمسينات مرورا بالوحدة التي فرضتها بلاغة الرئيس المصري جمال عبدالناصر القومية وصولا إلى عهد حزب البعث العربي الاشتراكي المستمر إلى يومنا هذا، عانى الكرد من ويلات وممارسات عنصرية لا مثيل لها، فمن سياسات التعريب ومنع اللغة واتخاذ قوانين استثنائية عنصرية بحق الكرد وسلبهم شخصيتهم وأراضيهم وممتلكاتهم وصولا إلى ارتكاب القتل وتغيير ديموغرافية المنطقة الكردية كانت تلك سياسة ثابتة في ممارسات البعث السوري.

البقعة الجغرافية التي تسمى كردستان والتي تقسمت بين اربع دول، صارت لعنة على الكرد وصارت في الوقت نفسه سببا لتتشاور الدول الاربع معا وتضع خلافاتها جانبا مهما كبرت حين يتعلق الامر بالمسألة الكردية ، فصدام حسين الذي لم يكن يرى في الفرس الا مجوسا وكفرة وعبدة نار كان مستعدا ليفعل كل شيء لهم ان هم ساندوه في ضرب الكرد الذين هم جزء من الشعب العراقي الذي يحكمه، والخمينيون الذين لم يكونوا ينظرون إلى الدولة التركية الا كجزء من خدم " الاستكبار العالمي وشرطته " كان وزير خارجيتهم ينبطح على ابواب أنقرة، ليساعدوه في ضرب الحركة الكردية واغتيال رموزها (كقاسملو و قبل ذلك إعدام قاضي محمد رئيس جمهورية مهاباد الكردية، وحتى سوريا ، سوريا " الصامدة " سوريا " التي لا تفرط بالحقوق وبالارض وتتحدث عم حقوق الشعوب في التحرر وتدعو الامم الامم المتحدة لعقد "مؤتمرات دولية للتفريق بين الإرهاب والمقاومة " لم تنظر للكرد الا خونة يحاولون اقتطاع " جزء من البلاد والحاقها بدولة اجنبية" حسب التعبير الشائع في محاكمات المتهمين من السياسيين الكرد، و وصل الامر بها ان تخلت نهائيا عن لواء اسكندرون من أجل ارضاء تركيا شريكتها في العداء للكرد، والمسائل تطول ، وتركيا مستعدة لفعل أي شيء وكل شيء من أجل ان لا تقوم قائمة للكرد و رئيس وزرائها الاسلامي أردوغان يقول في احدى لقاءاته: " لن نسمح بإقامة دولة كردية حتى لو كانت في الارجنتين " !

المثقفون العرب وساستهم لم ينصفوا الكرد يوما، والاحزاب الشيوعية العربية كانت معادية لطموحات الكرد أكثر من بعثيي صدام، في الكثير من الدول العربية، والحزب الشيوعي السوري بشكل خاص ومثقفوه وامينه العام المتحدر من أصل كردي حاول كثيرا ان

يدعم موقف العراق لدى الاتحاد السوفياتي ايام عز الشيوعية وعندما كان يعمل لدى موسكو كعميل صغير، وكثيرا ما عملت موسكو بآرائه ودعمت حروب البعثيين ضد الشعب الكردي، بل وصل بهم الامر ان يدعموهم في قتل الشيوعيين العراقيين المتحالفين مع الكرد في ذلك الوقت .

امام هذا الافق المسدود، والحروب المعلنة وغير المعلنة، ماذا كان للكردي ان يفعل ؟ سوى ان يردد مع شاعره :

" كسرة خبز وبندقية..

علبة تبغ ومشط طلقات ...

وصخرة ...

ثم ... ليأت العالم كله "!

هكذا شعر الاكراد ان جبالهم هي الوحيدة التي ستسند ظهورهم، وكان من قبل قد أغرتهم مقولة أحد الباحثين بقوله : " لا صديق للكرد غير الجبال ".

لقد جربوا الكل، وحاولوا التحاور مع كل الأطراف: ودوما كانوا هم الحلقة الأضعف، كانوا يعلنون ثوراتهم مضطرين لمساندة طرف معاد للكرد ضد طرف آخر، (تحالف البرزاني القاتل في السبعينات مع شاه إيران مثلا), وحين يجد الجد.. كان طرفا العداء يتصالحان ويتصافحان ويعقدان بعض الصفقات لتنهار الأحلام الكردية من جديد.. حيث وكمثال: انهارت ثورة البرزاني عام 1975 بعد تحالف الشاه وصدام حسين وتنازل الاخير عن شط العرب وجزر الامارات

لإيران، فشلت الثورة وقد كانت قاب قوسين او أدنى من الانتصار الكامل، وتشتت شمل المقاتلين وانتحر الكثيرون منهم حزنا وغضبا على حلمهم الذي انهار بسرعة وبشكل دراماتيكي مؤلم تاركة بقع دم الثوار تجف على صخور همرين وسفين حزينة بائسة حتى أمد غير معلن.

بعد ذلك اشتعلت ثورة أخرى، وهذه المرة في شمال كردستان (حيث الجزء الذي يحتله الأتراك) عندما تأسس حزب العمال الكردستاني، وكانت حركة pkk مرغمة جيوسياسيا و موضوعيا ان تجد طرفا يساندها، فلجأت إلى السوريين بعد الانقلاب العسكري الذي قام به الجنرال التركي كنعان ايفرين وراح يقتل الثوريين ويغتال النشطاء السياسيين والديمقراطيين، وكان التاريخ يعيد نفسه، فسوريا لها قضاياها العالقة مع تركيا كما حدث من قبل مع القضايا العالقة بين العراق و إيران الشاه، فسوريا كانت تحاول هي الاخرى مفاوضة الاتراك بشأن بعض قضاياها كماء الفرات ولواء إسكندرون، ولكن لم تنجح السياسة السورية، لا مع الأتراك ولا

لقد جربوا الكل، وحاولوا التحاور مع كل الأطراف: ودوما كانوا هم الحلقة الأضعف

مع حزب العمال الكردستاني، فهي لم تحصل على تنازلات واضحة من تركيا، ولا استطاعت ان تنهي حركة حرية الشعب الكردي التي يقودها حزب العمال الكردستاني، فقادة هذا الحزب ومناصروه ومقاتليه لم يكونوا كطراز رجال البرزاني المستند لمجرد عقلية إقطاعية وبعض المشاعر القومية البدائية التي انهارت امام أول تحد حقيقي للثورة، وقد قام البرزاني نفسه باعلان فشل الثورة طالبا من مقاتليه خيارين اما ان يستسلموا للحكومة العراقية او يتجهوا نحو إيران كلاجئين، رغم ان قادة بعض السرايا والفيالق من البيشمركة أكدوا له انهم يمتلكون ذخيرة وأمكانيات عسكرية وبشرية تكفي لاستمرار الثورة لستة أشهر حتى لو لم يصلهم لوجستيا طلقة واحدة او رغيفا من الخبز، الا ان قائد الثورة الملا مصطفى البرزاني كان قد انتهى من أمره مع الشاه وقرر الرجلان أنهاء الثورة والرضى بواقع جديد بعد الاتفاقية التي وقعها الشاه مع صدام حسين على هامش مؤتمر القادة العرب

في الجزائر بهندسة وتخطيط من "الثوري : هواري بومدين" وزير الخارجية الجزائري آنذاك.

فبعد ان شعر الاتراك ان مقاتلي حزب العمال صاروا قوة خطرة وراحوا يشكلون تهديدا حقيقيا لدولة اتاتورك، تحرك الاتراك باتجاه سوريا عسكريا، ان لم تتخل عن دعمها لحزب العمال ، فكان لها ما أرادت بعد ان أدركت سوريا ان حساباتها لن تتحقق مع الاتراك، ناقشت الامر مع اصحاب الشأن ومن خلال جولات مكوكية قام بها الرئيس المصري وقتذاك حسني مبارك وفهم زعيم الحزب عبدالله اوجلان الرسالة : ان الحمل سيكون ثقيلا على سوريا وبدلا من ان تطلب منه سوريا الخروج محرجة من شعاراتها المقاومة اختار السيد أوجلان مغادرة سوريا، لتبدأ صفحة جديدة بين الحكم في سوريا وبين الاتراك، اذ لاحق النظام السوري العناصر النشطة لحزب العمال فاعتقلت بعضهم وسجنت بعض المؤيدين لهم من كرد سوريا كما وقامت بتسليم الكثيرين منهم للأتراك بعد

في سوريا لم يطرح الكرد في برامجهم السياسية أكثر من بعض المطالب الاصلاحية والحياتية

ان القت القبض عليهم، وتنازلت عن لواء اسكندرونة للاتراك، وبعد ذلك تم اعتقال السيد عبدالله اوجلان ، في مطاردة دولية اشتركت بها أكثر من خمسة دول منها مصر واليونان واسرائيل والولايات المتحدة وغينيا، ومرة أخرى تراجع الكرد قليلا، وكاد التاريخ ان يعيد نفسه لولا حنكة قائد حزب العمال وتماسك قياداته بعد اعتقال قائدهم، فأظهروا للعالم ان التاريخ وان أعاد نفسه فليس بالضرورة ان تكون النتائج متشابهة، حيث استطاع الحزب ان ينهي مرحلة الازمة رغم المخاطر والمؤامرات العديدة وينتقل إلى مراحل أكثر قوة عسكريا وسياسيا.

المطالب الكردية السياسية لم تكن واضحة حتى يومنا هذا لاسيما في كل من العراق وسوريا ، فقد تأرجحت بين حق تقرير المصير (واقامة دولة كردية) وبين حقوق مواطنة واعتراف بهويتهم القومية وما إلى ذلك من المطالب التي تتغير وتتبدل حسب الظروف السياسية لهذه الدولة او تلك، فثورة البرزاني بعد ان طرحت ذات يوم شعار تحرير كردستان الكبرى (أي في الاجزاء الاربعة) تراجعت في مفاوضاتها ايام الحكم الذاتي في اوائل السبعينات واكتفت بالحكم الذاتي، والذي جاء منقوصا ومبتورا وحسب الكرم البعثي، لتتشابك الامور وتتداخل الخطوط والمشاكل وتسقط الهدنه وتشتعل الثورة في منتصف السبعينات، ثم تنهار ـ كما أسلفنا ـ بعد تراجع شاه إيران عن مساندته لقوات البرزاني: اذا بقي هذا التشتت وشبه الاندثار سنين طويلة حتى اشتعال الحرب العراقية الايرانية ومن ثم احتلال الكويت، فسقوط صدام حسين لتتبدل الخرائط السياسية ويتفق الساسة العراقيون على مفهوم الفيدرالية للعراق (وعلى مضض) والذي يحقق للكرد بعضا من شخصيتهم و وجودهم.

في سوريا لم يطرح الكرد في برامجهم السياسية أكثر من بعض المطالب الاصلاحية والحياتية، كحقوق المواطنة، والاعتراف بوجودهم وبثقافتهم ولغتهم، وما إلى ذلك من المطالب التي هي الاخرى تبدو ضبابية، الا ان السلطات السورية المتعاقبة وسلطات البعث لم تتعامل يوما مع المطالب الكردية بجدية، ورغم انه في السنوات الاخيرة وقبل اشتعال الثورة السورية بدأ الحديث على لسان أكثر من مسؤول سوري بتحقيق بعضا من مطالبهم، الا انها وكما بدت لم تكن الا فقاعات بعثية تسويفية لاسكات بعض الاصوات الكردية السورية التي بدأت تعلو، بعد الازمات السياسية التي عاناها النظام السوري، لاسيما بعد انتفاضة أذار عام 2004 والتي قام بها الكرد ردا على استفزازت النظام وعملاء البعث العراقي من خلال أحداث مباراة كرة

القدم بين فريقي الفتوة من دير الزور والجهاد من قامشلي، حيث قام النظام بقمع احداث الملعب ليستشهد أكثر من ثلاثين كرديا خلال يومين، وليقوم الكرد برمي أول حجر على مياه النظام الراكدة منذ ما يقرب من نصف قرن من القمع والصمت والمطبق.

اما في إيران، فالدولة الاسلامية لا تعترف أصلا بأي وجود قومي او أثني لا للأكراد ولا لغيرهم من القوميات الموجودة في الكيان الايراني، بل انها واجهت المطالب الكردية بالإرهاب والقتل والاغتيالات، فاغتالت الدكتور عبدالرحمن قاسملو الزعيم الكردي بعد ان استدرجته إلى فيينا بحجة اجراء مفاوضات معه، ومن بعده أغتالت السيد شرفكندي الذي تسلم القيادة من بعده ، وهكذا خفت الصوت الكردي في إيران إلى حين .

فوجود قضية كردية والاعتراف بها حق لا يمكن انكاره تحت ذرائع من مثل: "ان القيادات الكردية رجعية او متخلفة

هذه بشكل عام الخارطة السياسية للقوى الكردية، ومطالبها وبرامجها في كل من الدول التي تتقاسم كردستان، والسؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو لماذا لم يستطع الكرد إلى هذا اليوم تشكيل كيان خاص ومستقل بهم ، رغم انهم قوة بشرية لا يستهان بها، فعدد الاكراد يقارب الاربعين مليونا ؟

وهنا لابد من القاء نظرة جيوسياسية على الوضع الكردي وموقع كردستان، لعلنا نتوصل إلى بعض مفاتيح اللغز الكردي المؤلم.

تشغل كردستان مساحة من الارض تقع بين سوريا العراق تركيا وإيران ،وتقع بين خطي طول 30– 40 شرقا و 37–48 غربا ،وتبلغ مساحتها التقريبية حوالى 409650 كم مربعا، وهذه البقعة الجغرافية هي مخزون كبير للنفط ، أراضي الكرد تمتلك 8% من احتياطي النفط في العالم، وهذه النعمة ليست الا نقمة للكرد الذين لن يستطيعوا انتزاع هذا الكنز بسهولة من بين ايدي دول وحكومات تتحكم بهم وبنفطهم ويتشارك معها الكثير من الدول والقوى الاقتصادية في العالم، انطلاقا من الدول المالكة وصولا إلى الولايات المتحدة الامريكية .

واذا وضعنا النفط جانبا، نجد ان هناك سلاحا آخر وكنزا على قدر اكبر من الاهمية وهو ما يتعلق بالمخزون المائي، فكردستان تتصف بأنها ارض تطفو على الينابيع والانهار، وأهم هذه الانهار دجلة والفرات ،ونهري هيزل و مراد ... وبحيرة وان وغيرها من المصادر المائية التي يتوقع العلماء بأنها ستكون البديل للنفط والطاقة في يوم ما.

هذا ما هو في باطن الارض، اما ما يتعلق بالحكومات المتحكمة بكردستان فوق ظهر الارض فهي بشكل عام انظمة شمولية تأخذ بالعصبية القومية، وتتسم بعصبيات عنصرية وشوفينية لا مثيل لها .

لم تتعامل تلك الانظمة والحكومات(رغم بعض الوعود) من تنفيذ أي التزام جدي حيال القضية الكردية، وهنا نجد دائما ان للتبرم الكردي وتشكيهم ما يبرره، (أساسا هل يعول على الانظمة الغاصبة في منح الحقوق طواعية.؟) واحتجاجاتهم سلمية كانت ام مسلحة فهي مشروعة، بغض النظر عن الايديولوجيات الكردية والقوى الكردية التي تسير هذه الاحتجاجات وتقوم بها، سواء كانت يسارية راديكالية ام عشائرية واقطاعية، فوجود قضية كردية والاعتراف بها حق لا يمكن انكاره تحت ذرائع من مثل: "ان القيادات الكردية رجعية او متخلفة. فالمجتمعات الكردستانية لا تزال حتى يومنا هذا تتسم بطابع عشائري اقطاعي، ما عدا بعض الحالات التي تشذ عن العموم، كالتطورات البسيطة التي لحقت بالمجتمع الكردي في بعض المدن والقصبات، والطبيعة الجغرافية الجبلية للسكان الكرد وتوزعهم على تلك المناطق جعلتهم بعيدين

نوعا ما عن التطور المديني والاقتصادي وظلت العلاقات الكردية بشكل عام علاقات زراعية، مما جعل المناطق الكردية في كل كردستان تعاني من الكثير من آفات التخلف الاقتصادي والسياسي والاجتماعي، وبالطبع ليس هذا هو السبب الوحيد بل هناك السبب المباشر والذي يتعلق بذهنية السلطات المتحكمة بكردستان والتي تمنع عنها بشتى الوسائل اسباب التطور والتحديث وتتعامل مع المناطق الكردية بعقلية استعمارية قديمة صرفة، وهنا نسوق مثالا من خلال المناطق الكردية في سوريا، فمنطقة الجزيرة الكردية في سوريا، هي الرافد الاساسي للاقتصاد السوري من خلال الاراضي الزراعية و وجود آبار النفط وبعض الثروات الباطنية الاخرى، الا ان الحكومات السورية المتعاقبة من حكومات الانقلاب في الخمسينات وحتى

ان معظم الاحزاب والقوى الكردية قد ورثت وعيها السياسي من وعيها العشائري والقبلي

سلطة البعث لم تقم بإنشاء أي مرفق حيوي او مصنع او شركات انتاج للقطن او للصناعات الزراعية والنفطية، فكل الثروات تنقل من الجزيرة كمواد خام وتتصنع في الداخل السوري كحمص وحلب ودمشق وغيرها من المدن السورية، وهذا مما حرم مئات الآلاف من العمالة الكردية ان تتشتت هنا وهناك او تجلس عاطلة عن العمل لا سيما بعد بناء مستوطنات في المناطق الكردية واستجلاب فلاحين عرب من الرقة لتسكينهم فيها وبالتالي تجريد الكثير من الفلاحين الكرد من اراضيهم الزراعية وتقديمها للمستوطنين الجدد, مما زاد في المجتمع الكردي حالات الفقر والعوز والتخلف الاقتصادي هذا بالإضافة إلى حرمان عدة مئات من الآلاف الأكراد السوريين وتجريدهم من الجنسية السورية، مما جعلهم يعيشون كغرباء في بلدهم لا يحق لهم العمل او التملك او السفر، وعمدت السلطات الحاكمة على ندب موظفين حكوميين من خارج المناطق الكردية، أكانوا عسكريين ام مدنيين، واتصف جلهم بالفساد والجهل والتعصب الاعمى للعروبة، والنظر بعين الشك والريبة للكردي، صاحب المكان .

يمكن القول ان هذه الممارسات طبقت في عموم كردستان وليس فقط في الجزء السوري، مما جعل الكرد ان يتقوقعوا هم أنفسهم في جماعات عشائرية وتحزبات تسيرها قيم عشائرية وقبلية أكثر مما ترتكز على القيم العلمانية والديمقراطية، فتكون بالتالي صدى غامضا للممارسات السلطوية نفسها، وان كانت هذه المرة بالطريقة الكردية والعقلية الكردية التي لم تتخلص من الهاجس الرعوي والابوي، وهنا يمكن القول: ان معظم الاحزاب والقوى الكردية قد ورثت وعيها السياسي من وعيها العشائري والقبلي، فهم لا يتوانون في الاستشهاد من أجل أفكارهم وقيمهم حتى ولو كانت افكارا وقيما لا تخدم المصالح الكردية الحقيقية، تماما كرجل العشيرة الذي يموت دفاعا عن قيم ورثها من أجداده، فالدم الكردي الذي سال على الارض الكردية كان بشكل عام من أجل مطالب صغيرة (وان كانت تبدو عكس ذلك وتحت شعارات كردية وقومية و تدعي انها عقلية سياسة وأحزاب)، واذا كان التاريخ يذكر لنا بعض الحالات التي نسي القادة الاقطاعيون مطامحهم الشخصية وانصهروا في البوتقة الكردية القومية الا ان الظروف لم تأت لصالحهم ابداً، بل تنكر لهم الجميع ولم يسند ظهرهم أحد، كما حدث مع ثورة الملا مصطفى البرزاني ، ومن قبله الشيخ محمود الحفيد ، الذي ابرق رسالة للقيادة السوفيتية يطلب منهم العون والمساعدة قائلا : " ان الشعب الكردي بأجمعه يعتبر الشعب الروسي محرر الشرق، لهذا فنحن مستعدون لأن نربط مصيرنا بمصيركم " الا ان السوفييت مثلهم مثل اية دولة امبريالية لم تكن تبحث الا عن مصالحها الآنية، وتضرب كل تعاليم القادة

الشيوعيين من ماركس ولينين عرض الحائط، بل ان ستالين قد شارك في اسقاط جمهورية مهاباد الكردية الديمقراطية ابان الحرب العالمية الثانية، مقابل الغاز الايراني .

اما حزب العمال الكردستاني PKK الذي قاتل وجند الآلاف من الشباب والشابات على مدى ثلاثة عقود ليقوم وعلى خط مواز لنضاله العسكري بنضال سياسي وفكري حديدي لخلق حالة جديدة في الذهنية الكردية وبالتالي بناء مجتمع كردي جديد بعيد عن التلقينات العنصرية التي سلبت الكردي شخصيته حتى صار يرى في ممارسات العدو كما لو انها قدر من السماء فراح يطلب بعض الحقوق من خلال تسول فكري ورؤى ضبابية تتفاوت بين اليمين واليسار وغالبا من خلال بعض الافكار العشائرية التي تلبست بلبوس الحداثة الرأسمالية واختيار بعض الشعارات التي لم تستطع يوما ان يقتنع بها أصحابها، الا ان حزب العمال الكردستاني كان ومنذ بدء نشاطه السياسي والعسكري حارب هذه الميول وهذا التهريج السياسي بكل الوسائل حتى استطاع خلق حالة كردية مجتمعية تؤمن بمفاهيم جديدة ورؤى تتعلق بفكرة " الامة الديمقراطية " لاسيما بعد السنوات الاخيرة وبعد اعتقال القائد الكردي عبدالله اوجلان زعيم الحزب، والذي لم يقتصر تأثيره الفكري فقط على المجتمع الكردي بل وعلى المجتمع التركي نفسه بحيث صار المسمار الأول في نعش الأتاتوركية التي عشعشت في عقول معظم الأتراك وعلى مدى عقود طويلة، ومن هنا كان خطره الأكبر حسب اعتقاد الساسة الأتراك وغلاة القوميين والعنصريين، ومن هنا كان تأسيس حزب كردي سياسي (حاليا باسم ب د ب) استطاع الوصول إلى البرلمان التركي.. ورغم الممارسات الدموية للسلطات التركية فان ذلك كله لم يلن من عزيمة حركة التحرر الكردية في شمال كردستان حتى استطاعت ان تقنع الكثير من القوى السياسية التركية وشرائح واسعة من المجتمع التركي بضرورة تغيير موقفهم المتعنت تجاه الكرد، فصارت قضية السلام وحل القضية الكردية من برامج الساسة الأتراك اثناء انتخاباتهم.

عطفا على ما سبق من دروس التاريخ، تبدو لنا الصورة الكردية قاتمة في جوانبها المتشعبة سياسيا واقتصاديا، فمعظم الحركات والاحزاب الكردية لم تعتمد حتى هذا اليوم إلى برنامج سياسي واضح ، فهي تغير برامجها وتطلعاتها تمشيا مع الظروف الدولية، وظروف المنطقة ، فمن كردستان الكبرى االى الحكم الذاتي ثم مؤخرا إلى المطالبة بالفيدرالية في العراق، و حدث ابان سقوط نظام صدام حسين ان قام بعض المثقفين الكرد باستفتاء في المناطق الكردية في جنوب كردستان (كردستان العراق) كانت نتيجة الاستفتاء تظهر أن أكثر من 95% من الكرد هناك يطالبون بالانفصال

ان الخطأ القاتل للكرد والعرب معا هو التعامل مع القضية الكردية كقضية داخلية، ومسألة مطالب حياتية

واقامة الدولة الكردية المستقلة، في حين وجدنا ان القيادات الكردية في كردستان العراق، لا تزال تتفاوض هنا وهناك من أجل المصادقة على مسألة الفيدرالية والتي هي نفسها لم تعد واضحة في الدستور العراقي الحديث، بمعنى ان القوى الكردية في جنوب كردستان هي في واد غير الوادي الذي يسكنه الشعب الكردي، قد يقول قائل ان الجميع في العراق الآن متساوون في الحقوق والواجبات، لابأس ولكن من يضمن للأكراد ان حزبا او أحزابا شوفينية عراقية لا تفوز في الانتخابات يوما وتبدأ بتعطيل الدستور وكتابته من جديد ، وتهميش الكرد مرة أخرى، بل حتى وشن الحرب عليهم لاسيما وان هناك قوى عراقية عديدة مرتبطة بدول عربية شوفينية وقمعية تناضل ليلا ونهارا من اجل اسقاط الدستور وحذف الحقوق

الكردية، او تصويرهم كانفصاليين وخونة، ولنا من التاريخ عبر ودروس، فعندما قامت ثورة عبدالكريم قاسم ، غنى الجميع " هه ر بزي كرد وعرب رمز النضال " أي : ليحيا الكرد والعرب ، انهم رمز النضال، ولم تمر فترة حتى جر قاسم جيوشه إلى اقليم كردستان ليعيث فيه قتلا وتدميرا.

ان الخطأ القاتل للكرد والعرب معا هو التعامل مع القضية الكردية كقضية داخلية، ومسألة مطالب حياتية، اذ لا أحد يضمن متى تندلع الشرارة ويعود الاصدقاء للخصام والحروب ، المسألة الكردية هي مسألة شعب وقومية، تتصف بصفات وخصائص قائمة بذاتها ولذاتها لا تشبه اية خصائص ومقومات للشعوب التي

اعتراف بعض الاحزاب والقوى العربية العراقية مثلا بالحق الكردي الآن ليس نتيجة ايمان بعدالة القضية الكردية، بل هو صدى للضعف العربي هناك

تتعايش معها، وما دامت الاصوات العربية لحد الآن تهتف لأمثال صدام حسين وغيره من الطغاة العرب فان الكرد سيعيشون متوجسين وفي قلق دائم على مصيرهم الذي كان على الدوام ورقة بيد هذه الجهة او تلك ، وان لم يوضح الكرد والقوى الكردية أهدافهم (دون وجل او خجل) فان الآخرين سيظلون ينظرون اليهم بعين الريبة والشك .

والسؤال الأخير هنا: هل يرضى العروبي ان يتبدل اسم العراق (على طريقة القذافي حين كان يقول أسراطين عن اسرائيل وفلسطين) ليكون مثلا "كرداق" بدلا من العراق ما دام يعيش فيه شعبان، ولماذا كل تلك الضجة التي اثيرت عندما حاولوا تغيير ألوان العلم العراقي، ولماذا يستنكر العروبيون حين يرفع السيد مسعود البرزاني علما كرديا فوق المؤسسات الكردية .؟

لسان حال الكردي يقول: لست متفائلا بالمستقبل، حتى يعترف العربي وهو في أوج قوته ويقول : ان الشعب الكردي هو شعب له خصوصياته وله حقه في تقرير مصيره، واعتراف بعض الاحزاب والقوى العربية العراقية مثلا بالحق الكردي الآن ليس نتيجة ايمان بعدالة القضية الكردية، بل هو صدى للضعف العربي هناك، وتمشيا مع اللعبة السياسية التي لن يضمنها أحد.

اما في غرب كردستان فبعد ثورة الشعب السوري واختيار الكرد خطا غير ما خطط له دهاقنة السياسة والحروب من دول الحداثة الرأسمالية ودول اقليمية وقوى معارضة سورية والنظام نفسه، فان الإدارة الذاتية الديمقراطية (او نظام الكانتونات) التي اعلنها الكرد وبمشاركة العرب والسريان والأشوريين تبدو حتى هذه اللحظة هي الحل الأنجع لانهاء دوامة القتل والعنف في سوريا كلها ويمكن لهذه التجربة ان تكون حلا لعموم سوريا وليس لغرب كردستان أي (روج آفايي كردستان) فقط وبالتالي انتهاء للتغريبة الكردية التي عانت كثيرا امام بشاعة العنصريين واحقادهم.

الصراع بين الإسلاميين والسلطة:

د . عبدالنور بن عنتر

الدول التي عرفت مواجهة عنيفة بين الإسلاميين والسلطة كانت في السابق أنظمة "تقدمية" نافذة داخل النظام الإقليمي العربي. تطرح هذه القضية تساؤلات مركزية: ألا يعبر استفحال الظاهرة الإسلامية، لاسيما في شقها الجهادي-التكفيري، في هذه الدول بعنف عن انكسار المشروع التقدمي الاشتراكي للأنظمة؟ ألا يشكل تطرف هذه الأنظمة في طروحاتها الأيديولوجية أحد العوامل المكونة لتطرف الحركات الإسلامية كونها نمت وترعرعت في بيئة سياسية تعودت على أسلوب العنف لتسوية القضايا السياسية العالقة؟ أليست الحركات الإسلامية الأكثر اعتدالا، والتي دخلت المعترك السياسي، ظهرت وتطورت في دول "محافظة" عُرفت أنظمتها بـ "اعتدالها"؟ من هذا المنطلق، يمكن استنتاج فرضية مؤداها أن التطرف الأيديولوجي الرسمي (القومي، التقدمي، الاشتراكي، العلماني) ساهم مع مرور الزمن في ظهور تطرف عقائدي من طبيعة دينية، خاصة أن تلك الأنظمة فشلت في مشاريعها. وما يدعم هذه الفرضية مثال تونس، التي اتسم نظامها في عهد بورقيبة بـ"الاعتدال"، ولما عرفت الظاهرة الإسلامية منذ السبعينيات، فإن ذلك لم يؤد إلى العنف (رغم بعض الأعمال)، وحتى لما تشدد النظام مع حكم بن علي، فإن الإسلاميين لم يلجؤوا إلى العنف، وكأن التعامل مع النظام في السابق خلق نوعا من "التقاليد السياسية" جعلتهم يبقون ضمن سقف العمل السلمي رغم حظر نشاطهم وحدة العنف السلطوي.

ثانياً: التيار الإسلامي عموما والجهادي-التكفيري خصوصا ظهر بقوة في أقوى الدول العربية من حيث إرساء قواعد دولة قوية، خوض تجارب تحديثية شاملة ومن حيث التوجهات السياسية والإستراتيجية إقليميا ودوليا (مصر، سوريا، الجزائر). كما أن الحركات الإسلامية الأقوى ظهرت في دول (مصر وسوريا) عرفت أنشط التيارات القومية واليسارية. وبالتالي فالدول الأكثر قومية أيديولوجيا صارت في حقبة من الزمن أكثر إسلامية. على عكس مصر وسوريا، لم تعرف الجزائر استقطابا أيديولوجيا بين العروبيين والإسلاميين، وإنما بين الإسلاميين واليساريين. النموذج الآخر والمختلف كثيرا عن هذا النموذج الذي انتقل من مناخ قومي، اشتراكي علماني إلى مناخ إسلامي، هو نموذج الدول التي عرفت (لبنان واليمن) وتعرف (السودان والصومال) حروبا أهلية. ففي هذه الدول، الاستقطاب السياسي لم يكن ثنائي القطبية (إسلاميون-سلطة)، بسبب تعدد التيارات وتشابكها جراء جو الحرب الأهلية، وكذلك بسبب التعدد العرقي والطائفي مثل لبنان وإلى حد ما العراق. اليمن قد يتطور باتجاه الاستقطاب الثنائي، لكن ثقل العامل القبلي في اللعبة السياسية سيخفف من حدته.

ثالثا: بعض الأنظمة "المحافظة" عملت في خضم صراعها الأيديولوجي مع منافساتها "التقدمية" على استخدام الورقة الدينية بدعم الحركات الإسلامية ضد هذه الأخيرة، مما يفسر، جزئيا، تمركز الإسلاميين في دول لا

تستمد شرعيتها من الدين أساسا، وهذا ما يفسر أيضا، جزئيا، بقاء الأنظمة "المحافظة" في منأى عن المد الأصولي. لكن بعد حرب الخليج و"الطلاق" بين بعض الأنظمة "المحافظة" لاسيما السعودية والحركات الإسلامية، ضرب الإرهاب الأصولي في المملكة التي سبق أن عرفت تمردا إسلاميا؛ تمثل في استيلاء مجموعة إسلامية على المسجد الحرام في مكة عام 1979. الدولة الخليجية الأخرى التي شهدت عنفا إسلاميا هي البحرين إذ ضلع حزب الله المحلي في عمليات إرهابية. لكن بصفة عامة، تمكنت الأنظمة التي تستمد سلطتها من الإسلام ومن المرجعية القبلية من كبح جماح تطرف الحركات الإسلامية، مما حال دون تعميم العنف، فسايرت هذه الحركات فتجنبت الصدام معها. هناك أنظمة "تقدمية" استخدمت أيضا هذه الورقة لخدمة إستراتيجياتها الإقليمية والدولية. ليبيا شكلت في مطلع الثمانينيات "الفيلق الإسلامي" الذي شارك في ما بعد بعض عناصره من أصل طارقي (من الطوارق) في تمرد حركات (إسلامية وغير إسلامية) الأزواد شمالي مالي والنيجر في مطلع التسعينيات، مما هدد الأمن الجزائري والإقليمي عموما. لكنها انقلبت على الإسلاميين لما استهدفها، خاصة في 1995، عنف الجماعات الليبية (الجماعة الإسلامية المقاتلة التي تضم العديد من الأفغان الليبيين، وحركة الشهداء الإسلامية). والعراق خلال صراعه الإيديولوجي حول الزعامة مع سوريا ساند في السبعينيات جماعة إسلامية مسلحة سورية (حزب التحرير الإسلامي).

"بعض الأنظمة "المحافظة" عملت في خضم صراعها الأيديولوجي مع منافساتها "التقدمية" على استخدام الورقة الدينية بدعم الحركات الإسلامية ضد هذه الأخيرة، مما يفسر، جزئيا، تمركز الإسلاميين في دول لا تستمد شرعيتها من الدين أساسا، وهذا ما يفسر أيضا، جزئيا، بقاء الأنظمة "المحافظة" في منأى عن المد الأصولي"

رابعا: العنف الرسمي يعد أحد محددات الرد الإسلامي العنيف الذي يقود بدوره إلى عنف رسمي مضاد، لكنه يبقى عاملا من جملة عوامل كما يظهر من التجربة الجزائرية. يقال عادة إن إلغاء المسار الانتخابي الذي كان سيصل ديمقراطيا بالإسلاميين إلى الحكم هو سبب لجوئهم إلى العنف كرد فعل على العنف الرسمي. وفي هذا مبالغة بل وحتى مغالطة. العنف الإسلامي يعود إلى الثمانينيات لما أعلن مصطفى بويعلي حربا على النظام، لإقامة دولة إسلامية، والتي بدأت عام 1982 وتوقفت عام 1987 لما قتلته قوات الأمن. بعض أعضاء تنظيم بويعلي (الحركة الإسلامية في الجزائر) الذين أفرج عنهم عام 1989 أصبحوا عام 1992 من أنشط أعضاء الجماعة الإسلامية المسلحة.

وللتذكير فإن أول عملية إرهابية إسلامية في الجزائر (هجوم على موقع لحرس الحدود في قمار في الجنوب الشرقي للبلاد) تقدمت شهرا قبل الدور الأول من الانتخابات التشريعية

في ديسمبر/كانون الأول 1991. وفي الواقع، هذه العملية أكدت صحة المعلومات المتداولة في الأوساط الإسلامية الجهادية التوجه، في ربيع وصيف 1991 القائلة إن "مجاهدين" على أهبة الاستعداد لإعلان الجهاد ضد السلطة

أسباب وعوامل الصراع

1- الحركات الإسلامية حركات رافضة للواقع؛ ترفض الأنظمة الحاكمة برمتها. ونسبة كبيرة منها حركات إقصائية ترفض الآخر-السياسي وترفض الحكم مستبعدة إمكانية التعايش معه. الحركات الأكثر تطرفا كفرت النخب الحاكمة والمجتمع وانتهجت الأسلوب الجهادي لتغيير الوضع على أساس أنه لا تعايش مع المرتدين والكفرة، فكان العنف سبيلها لإزاحة السلطة وإقامة دولتها الإسلامية المنشودة. فردت السلطة بزيادة حدة عنفها. هكذا دخلت بعض البلدان حلقة العنف والعنف الرسمي المضاد

الذي طاول المعتدلين من الإسلاميين. أما التي تنبذ العنف، فهي الأخرى عازمة أن تحل محل الأنظمة لتطبق الشريعة الإسلامية وتقيم الدولة الإسلامية. وبحكم استخدامها للخطاب الديني في بيئة اجتماعية متدينة إلى حد كبير، أو على الأقل متقبلة للمفردات الدينية، فإن هذه الحركات تمكنت من تحريك وتعبئة الجماهير مما أعطاها ثقلا سياسيا وجعلها المنافس القوي والمعارض للأنظمة الحاكمة.

2- ومما أسهم في انتشار العنف الإسلامي وجود الحامل الاجتماعي للطروحات الإسلامية بسبب انتشار الفساد الحكومي، وتعمق الفوارق الاجتماعية وإقصاء أغلبية المجتمع من دورة توزيع الثروات الوطنية. التقاء المصالح هذا، إن صح التعبير، أوجد نوعا من "التلاحم العضوي" بين إسلاميين وشرائح واسعة من المجتمع خاصة من جيل الشباب. إنها قطيعة بين الأجيال، كما حدث في الجزائر من خلال تعبير درامي (أحداث 1988)، يستفيد منها التيار الإسلامي. ذلك أن العديد من الشباب الذي شارك في هذه الأحداث انضم في ما بعد إلى الإسلاميين. لكن هذا الشباب لم يكن إسلاميا بل أصبح كذلك لما نجح الإسلاميون، بفضل الرؤية الخاطئة للسلطة، في استرجاع هذه الأحداث سياسيا لصالحهم. من هذا المنطلق، يصعب في بعض الأحيان التفريق بين مسيرات شعبية منددة بتدني الوضع الاجتماعي ومظاهرات إسلامية. ذلك أن الإسلاميين نجحوا حتى الآن في استدراج الناقم والساخط من الشباب العربي على سياسات الحكام في صفوفهم. والعديد من المظاهرات الاجتماعية حُولت في نهاية المطاف إلى مسيرات سياسية، بينما همّ المتظاهر هو في واقع الأمر لقمة العيش. ولا يبدو أن الأنظمة الحاكمة تعي وجود مثل هذا "التلاحم".

عدم إدراك هذه المسألة جعل السلطة الجزائرية ترتكب الخطاء الإستراتيجي؛ السماح للإسلاميين باستغلال حوادث أكتوبر/تشرين الأول الأسود 1988، التي لم تندلع إطلاقا بمبادرة منهم وإنما تدخل في إطار ما اصطلح عليه بـ "انتفاضات الخبز".(مصر، وتونس، والجزائر، والأردن، والمغرب، وموريتانيا، والسودان، واليمن...).

3- الحركات السياسية الاحتجاجية والمتطرفة تلقى انخراطا كبيرا في أوساط الشباب المتحمس عادة بحكم صغر سنه وهذا ينطبق أيضا على المجتمعات الديمقراطية. ولما كان الشباب يشكل الأغلبية في المجتمعات العربية فإن الإسلاميين استفادوا من هذا الخزان البشري الهائل لتجنيد أنصارهم. لكن دعم الشباب لصفوف الإسلاميين لا ينبع دائما من قناعات سياسية أو عقائدية، بل يخضع لمنطق النكاية عملا بالقول المأثور "لا حبا في علي، ولكن كرها في معاوية". فالعديد ممن صوتوا لصالح الإسلاميين في الجزائر في 1991، إنما فعلوا ذلك إيقانا منهم بأنهم القوة السياسية الوحيدة التي ستخلصهم من نظام الحزب الواحد. وبالتالي كانوا البديل الآني.

"الحركات السياسية الاحتجاجية والمتطرفة تلقى انخراطا كبيرا في أوساط الشباب المتحمس عادة بحكم صغر سنه وهذا ينطبق أيضا على المجتمعات الديمقراطية. ولما كان الشباب يشكل الأغلبية في المجتمعات العربية فإن الإسلاميين استفادوا من هذا الخزان البشري الهائل لتجنيد أنصارهم"

4- بحكم الطبيعة الدينية لخطابها وقدرتها التعبوية للجماهير، خاصة المحرومة (اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا)، واستغلالها الأمثل لـ "انتفاضات الخبز"، وضعت الحركات الإسلامية حدا للإذعان الاجتماعي الذي تعود عليه الحكام منذ عقود. وبالتالي أصبحت تشكل تحديا سياسيا لهم. وربما الإطناب الرسمي في الحديث عن "هيبة الدولة" يعبر عن وعي هؤلاء بهذا التهديد الزاحف. لكن كيف يمكن استرجاع هيبة دولة تمت خصخصتها؛ إذ أصبحت الدولة العربية تتأرجح بين نماذج تسلطية، الدولة القبيلة.. أو الدولة الأسرة.. أو الدولة الحزب...

5- لما كانت الأنظمة وصلت إلى السلطة بطريقة غير شرعية، فإنها ترى في أبسط مظاهرة اجتماعية محاولة لقلبها، فكان أن سيست كل شيء، وبالتالي أقصي الجميع من الشأن السياسي العام الذي تحتكره النخب الحاكمة. هذه السلوكيات المنعية حالت دون بروز جمعيات مدنية ونقابات للدفاع عن مصالح المواطن، لأن كل شيء يجب أن يسير في فلك السلطة وإلا اعتبر تهديدا لأمن الدولة! لما يشتكي المواطن (العربي) من غلاء المعيشة، فإن السلطة تعتبره مشاغبا سياسيا، بينما نفس المشهد في الغرب هو مجرد تعبير عن مطالب اجتماعية شرعية. هذا الإدراك الخاطئ لحيثيات الأزمة والتركيبة التسلطية للدولة العربية يفسران، إلى حد كبير، سر غلبة المعالجة الأمنية البحتة على المعالجة السياسية-الاجتماعية-الاقتصادية للظاهرة الإسلامية. فالدور الأمني للدولة يتقوى بينما يتراجع دورها الاجتماعي-الاقتصادي بفعل سياسات الانفتاح الليبرالي التي تزيد من عدد الفقراء. هذا الوضع سمح للإسلاميين بالظهور و (أو) التمظهر بأنهم حماة الضعفاء من الشعب في وجه الطغاة من الحكام. هذه البيئة المريضة سهلت عمل الحركات الإسلامية الاحتجاجية والجهادية التي تنمو بسرعة فائقة في هذا الوسط الخصب، مما مكنها من التمتع بنوع من الدعم (السياسي للأحزاب الشرعية، والانخراط في الجماعات المسلحة) لدى شرائح واسعة في المجتمعات العربية. وهذا النموذج ينطبق على كل الدول ما عدا "دولة الرفاه النفطية" في الخليج التي سمحت لها عائدات النفط بإشباع حاجات الشعب مما جعله يغض النظر عن ممارساتها التسلطية.

6- من الملاحظ أن إطارات وأعضاء الحركات الإسلامية تأتي من الطبقات الوسطى المتعلمة ونسبة كبيرة منها من خريجي الجامعات، بينما الجماهير التي يحركها الخطاب التعبوي الحماسي والديني فهي من الطبقات المحرومة والمهمشة. لكن هذا لا يعني أن النخب الإسلامية لا تدافع عن مصالح خاصة، بل هي تستخدم مآسي الشعب للوصول إلى مآربها. ذلك أنها لم تجد طريقا لها في مؤسسات الدولة التي بقيت حكرا على نخب الاستقلال المستفردة بالحكم. فالإسلام الاحتجاجي يعبر أيضا عن حرب امتيازات بين النخبتين الحاكمة والمحرومة. وفي ظل غياب تداول السلطة تحول الحكم حتى في "الجمهوريات" إلى ملك عضوض بصيغة معاصرة. التعددية السياسية التي شرعت فيها بعض الدول بقيت شكلية ومقيدة، حيث أبقت على بنى الدولة التسلطية في منأى عن التغيير مما خلق إحباطا سياسيا لمختلف القوى السياسية خاصة الإسلامية التي انخرطت في اللعبة السياسية. هذا الانسداد السياسي إن لم يدفع نحو العنف، فإنه يهيئ له الظروف بتغليب التيار الإسلامي المتشدد على التيار المعتدل. انسداد الأفق السياسي وقدرة الأنظمة حتى الآن على تجديد مسوّغات تحكمها في المجتمع أسهم ويسهم في تطرف وتشدد الإسلاميين بل وحتى شرائح من المجتمع ذات مطالب محلية هوياتية (من الهوية) كما هو شأن البربر في الجزائر.

7- الإحباطات المتراكمة شعبيا وإسلاميا جراء الظروف الاجتماعية القاسية والسياسية القاهرة خلق بيئة صراعية يتناحر فيها الإسلاميون والسلطة. فتطور الصراع ليأخذ شكلا مثلثا، السلطة- الحركات المعتدلة- الجماعات المتطرفة.

الصراع بين السلطة والإسلاميين أدى إلى بروز الجماعات المسلحة التي تبنت العنف لمجابهة قمع واضطهاد السلطة، مما أدى إلى ضغط مزدوج على المعتدلين. السلطة تعتبرهم المدرسة التي يتخرج منها الإرهابيون، والجماعات المسلحة الجهادية تتهمهم بالتواطؤ والمهادنة والتعامل مع الطغاة. لكن هذا الضغط المزدوج لم يضعف نهائيا التيار المعتدل، بل أصبح هذا الأخير "الشريك" السياسي المتسامح معه من قبل السلطة (الجزائر وإلى حد ما مصر)، والهدف طبعا هو حرمان الجماعات الجهادية من غطاء سياسي لعزلها وتدميرها. لكن يبقى أن الأنظمة عموما مازالت تتأرجح

بين الإقصاء العنيف للتيار المعتدل ومحاولات احتوائه واستيعابه لدمجه في اللعبة السياسية العلنية تحت سيطرتها. ومن الأهمية بمكان أن نلاحظ أن بعض الدول قد نجحت في تعاطيها إزاء الملف الإسلامي. فقد تمكنت الكويت والأردن من إدخال التيارات الإسلامية، من دون عنف، معترك الحياة السياسية وفي إطار قوانين ومؤسسات البلاد. هذان البلدان تميزا بالتعامل الإيجابي مع الظاهرة الإسلامية على عكس التعامل السلبي الذي انتهجته دول أخرى. والتجربة الجزائرية فريدة في هذا المجال. فالجزائر تعاملت في البداية إيجابيا مع هذه الظاهرة، لكن الريبة المتبادلة وتصارع المصالح بين الإسلاميين والسلطة حالا دون التطور السلمي. إلا أن الجزائر تمكنت، رغم المجازر التي اقترفتها الجماعات المسلحة، من إدماج حركات إسلامية في العمل السياسي الشرعي، ساحبة بذلك البساط من تحت أقدام هذه الجماعات، ومحدثة شرخا في الحركة الإسلامية عموما بين من ينبذ العنف ومن يلجأ إليه. فكان أن أدى هذا إلى تناحر إسلامي-إسلامي (تصفيات جسدية لقيادات إسلامية على يد الجماعات المسلحة لإرغامها على العدول عن استجابتها لسياسة التهدئة والمصالحة التي تبنتها الحكومة وزرع البلبلة بين الإسلاميين والسلطة باتهام مصالح الأمن بالضلوع في تلك التصفيات). هكذا بدأت الجزائر بالاحتواء والاستيعاب، ثم الإقصاء، فالاحتواء والاستيعاب من جديد.

"أدى الصراع بين السلطة والإسلاميين إلى بروز الجماعات المسلحة التي تبنت العنف لمجابهة قمع واضطهاد السلطة، مما أدى إلى ضغط مزدوج على المعتدلين. السلطة تعتبرهم المدرسة التي يتخرج منها الإرهابيون، والجماعات المسلحة الجهادية تتهمهم بالتواطؤ والمهادنة والتعامل مع الطغاة"

8- إجهاض التجارب البرلمانية الليبرالية عربيا غداة الاستقلال أسهم في التعجيل في المواجهة بين الإسلاميين والسلطة. ففي سوريا مثلا شارك الإسلاميون في الانتخابات في الأربعينيات والخمسينيات. والملاحظ أن العلاقة مع السلطة كانت متوترة تحت الحكم العسكري أساسا. لما وصل البعث إلى الحكم (1963) تبنى سياسية متشددة بقهره للإخوان المسلمين الذين واصلوا مواجهة (عصيان مدني في حماة 1964) السلطة البعثية العلمانية التوجه. بعد هزيمة 1967، ازداد الإسلاميون تشددا وتوترت علاقتهم بالنظام البعثي-العسكري بقيادة الأسد ابتداء من 1970. فكانت النتيجة قصف مدينة حماة في 1982 لتصفية الإسلاميين الذين كانوا قد تبنوا الكفاح المسلح وهاجموا في 1979 كلية عسكرية في حلب وصعدوا كفاحهم بين 1980 و1982.

في مصر سمحت التجربة البرلمانية للإخوان بالمشاركة في الانتخابات عبر تحالفات حزبية. هذه المعطيات تؤكد نقطة أساسية وهي أن العلاقة بين الإسلاميين والعسكر في العالم العربي (مصر وسوريا وتونس والجزائر...) كانت دائما متوترة رغم التفاؤل الذي يعقب الانقلابات العسكرية (الإسلاميون في سوريا ساندوا في البداية انقلاب 1949، ثم الأسد في 1970، وفي مصر أيدوا في البداية عبد الناصر). كما تؤكد أن الصراع كان دائما يحسم لصالح العسكريين. وحتى لما يحدث تحالف بين الطرفين (السودان) فإنه سرعان ما ينهار ويحسم الأمر لصالح العسكر.

9- في العقود الماضية، أسهمت الأنظمة الحاكمة (مصر وسوريا والجزائر وتونس والمغرب) في نمو التيار الإسلامي لضرب التيار اليساري، وقد بلغ الصراع بين التيارين أوجه في الستينيات والسبعينيات. كانت السلطة دائما تفرض نفسها كحكم بين الخصمين، مما سمح لها بتجنب غضبهما والتحكم فيهما وإدارة اللعبة السياسة بما يخدم مصالحها. لكن بعد الانحسار القومي ثم تراخي الاستقطاب الأيديولوجي فتلاشيه بفعل المتغيرات الدولية والإقليمية، وجدت هذه الأنظمة نفسها في مواجهة التيار الإسلامي الذي خرج "منتصرا"

من هذه الصراعات والمناظرات الأيديولوجية. ورغم محاولة الأنظمة ضرب الإسلاميين بالديمقراطيين، إلا أن إستراتيجيتها لم تفعل فعلها هذه المرة، فالخصمان يطرحان نفسهما بديلا شاملا وجذريا لها، كونها تجاوزها الزمن وفشلت في كل برامجها. فأصبح رفض الآخر السياسي في العالم العربي متبادلا ومتعدد الأبعاد بين الإسلاميين والسلطة والديمقراطيين.

10- هناك صراع بين الإسلام السياسي (الذي تعبر عنه الحركات الإسلامية) والإسلام الرسمي (الذي تعبر عنه المؤسسات الدينية الرسمية والسلطة) على نفس مصدر الشرعية، الدين. حيث **دخل الإسلاميون والسلطة في حرب "شرعية" ضروس جعلت المنطقة تعيش حرب فتاوى تسوق مبررات تسعى لجعل شرعية كل طرف مسوغة ومشروعة.** وهنا بدأت المزايدة السياسية بين الطرفين حول الإسلام. سعي الأنظمة لمنافسة الإسلاميين في استخدام الخطاب الديني، جعلها في كثير من الأحيان أكثر دينية منهم، إذ بدأت تتأرجح بين أنماط علمانية تارة ودينية تارة أخرى دون أن يستقر أمرها على نمط معين. وقد أثبت هذا التأرجح أن الدين والعلمانية لهما نفس المعنى، تسلط الحاكم العربي، من خلال نزوعها الديني سعت السلطة (في الجزائر ومصر) إلى استقطاب الفئات الشعبية الحساسة للخطاب الإسلامي، فكان أن استخدمت تقريبا نفس المفردات الدينية وشددت الخناق في بعض الحالات على الحريات الفردية باسم الدفاع عن تعاليم الإسلام (مثال مصر: مبدأ الحسبة الذي طال العديد من المثقفين، ومصادرة وزارة الثقافة بعض الكتب، النشاط "التكفيري" لجبهة علماء الأزهر...). في الجزائر، أُدخل أذان الصلاة بطريقة منتظمة في برامج التلفزيون لكسب ولاء الشارع "المتدين"، لكنه أُلغي في ما بعد، فكان أن ندد الإسلاميون بتراجع السلطة، في بعض المجالات نجحت السلطة (الجزائر ومصر) في حربها مع الإسلاميين حول مراقبة المساجد، إذ استعادت سلطتها عليها وأخضعت أئمتها ونصوص خطبهم للوزارة الوصية (الأوقاف). بل إن القانون المنظم للمساجد والخطب في الجزائر تمت ترقيته إلى نفس مقام قانون الإعلام، وفي الستينيات والسبعينيات عاشت سوريا حرب مساجد انتهت بسيطرة البعث على المساجد وإقصاء الإسلاميين من منابرها وتعيين أئمتها.

وبالتالي يمكن القول إن في حملتها ضد الظاهرة الإسلامية في العقد الماضي عمدت الأنظمة العربية إلى ما يمكن أن نسميه بـ "التدين الرسمي" لمواجهة "التدين الإسلامي"، فكان أن سهلت من مهمة الإسلاميين بخلق بيئة أكثر تقبلا للخطاب الديني، إلى درجة اختلاط الأمور على المواطن بين المفردات الدينية الرسمية وتلك التي تستخدمها المعارضة الإسلامية.

"هناك صراع بين الإسلام السياسي (الذي تعبر عنه الحركات الإسلامية) والإسلام الرسمي (الذي تعبر عنه المؤسسات الدينية الرسمية والسلطة) على نفس مصدر الشرعية، الدين. حيث دخل الإسلاميون والسلطة في حرب "شرعية" ضروس جعلت المنطقة تعيش حرب فتاوى تسوق مبررات تسعى لجعل شرعية كل طرف مسوغة ومشروعة "

12- تشكل الحركات الإسلامية المعاصرة قطيعة مع الإرث السني والتيار الإصلاحي لعصر النهضة (الأفغاني، عبده...) في ما يخص الموقف من السياسة. هذه الأخيرة كانت منبوذة (عند أبي حامد الغزالي، محمد عبده...)، أما عند الإسلاميين فهي مجال نشاطهم وسبيلهم لإقامة الدولة الإسلامية، ولا فرق عندهم بين العبادة والسياسة. فها هو عباسي مدني أحد قياديي الجبهة الإسلامية للإنقاذ الجزائرية المحظورة يصرح في 1990 "عبادتنا سياسة وسياستنا عبادة". إن الاستيلاء على السلطة بمرجعية دينية هو هدف التيارات الإسلامية. وهكذا تجاوز الإسلاميون الخيط الرفيع ولكن الجوهري بين "المقدس" (الدين) و"المدنس" (السياسة) بالخلط بينهما فكانت الكارثة، مجرد معارض سياسي يصبح في قاموسهم مرتدا، كافرا وملحدا. هكذا على نمط

الانتقاء الرسمي للقضايا الدينية، يلجأ الإسلاميون إلى انتقاء ما يناسبهم من الإسلام ويخدم "قضيتهم". فهم يؤكدون على عدم الخضوع للحاكم الجائر المخل بحكم الله، بينما يرفضون أي مناقشة لموقفهم وحكمهم المنشود، فالأمر يتعلق في نهاية المطاف باستبدال التسلطية الحالية، المتأرجحة بين العلمانية والدين، بتسلطية دينية لا جدال فيها لأنها تمثل إرادة الله فوق الأرض، وما زاد من الأمور تعقيدا هو تغلب الفكر الجهادي التكفيري في بعض الأحيان على الفكر المعتدل في الصراع داخل الإسلام الحركي.

أخيرا.. لو أردنا تلخيص أسباب الصراع لحددناها في ثلاثة عوامل أساسية.

أولها: إن الإسلاميين يشكلون البديل السياسي والفكري للأنظمة الحاكمة والقوة السياسية الوحيدة القادرة على إسقاطها لو تمت انتخابات حرة فعلية.

ثانيها: إن الحركة الإسلامية تحمل في جوفها "بذور العنف" التي سرعان ما تطفو على السطح، وبالتالي يرسب الإسلاميون أمام امتحان العنف الرسمي، إذ يردون عليه بالعنف مما يولد عنفا مضادا من جديد. فمعظم الحركات الإسلامية التي تعرضت للقهر الرسمي خرجت من رحمها جماعات تؤمن بالعنف كوسيلة للتغيير وتتبنى فكرا انقلابيا جهاديا وتكفيريا (نظر له أبو الأعلى المودودي وسيد قطب) يكفر الدولة والمجتمع ويؤمن بحاكمية الله، ملغيا الإرادة البشرية والسيادة الشعبية. يكمن سر وجود "بذور العنف" هذه في طبيعة المرجعية الدينية لهذه الحركات. ذلك أن من يدعي تطبيق الإرادة الإلهية فهو مقتنع تماما بأنه على صواب والغير على خطأ، وهذه قناعة مطلقة. من هنا تأتي إشكالية التعايش مع التيارات ذات المرجعية الدينية، لأنها إقصائية بطبيعتها. لكن لا يخفى أن شدة القهر السلطوي أسهمت إلى حد كبير في ظهور الفكر الجهادي، فسيد قطب تشدد في غياهب سجون عبد الناصر.

ثالثها: محنة الشرعية، فالأنظمة التي تستمد شرعيتها من الدين، بطريقة صريحة أو ضمنية لا يمكنها أن تطيق وتحتمل منافسا سياسيا يستمد شرعيته من نفس المصدر، خاصة أنه يطرح تفسيرا سياسيا مغايرا لتفسيرها، مدمرا بذلك مسوغات شرعيتها. أما الأنظمة العلمانية أو التي تتأرجح بين العلمانية والدين أو تلك التي تمزج بينهما، فالصدام بينها وبين الإسلاميين، الذين يرفعون شعار الإسلام بديلا شاملا لتسيير المقدس والسياسي في الشأن العام والخاص، لا مفر منه.

عوامل استمرار المواجهة بين الإسلاميين والسلطة

13- موقف الحركات الإسلامية من الديمقراطية يعتبر من أبرز العوامل في إدامة الصراع. إذ يصعب مع الإسلاميين التمييز بين مواقفهم المساندة للديمقراطية النابعة عن قناعات سياسية حقيقية، سواء كانوا في المعارضة أو في حال تسلمهم الحكم، وبين تلك التي أملتها اعتبارات تكتيكية آنية، غرضها الانحناء لتجنب القهر الرسمي وانتقادات المعارضة وطمأنة الخصوم، حتى استلام الحكم ديمقراطيا ثم الانقلاب على كل شيء واغتيال الديمقراطية التي أوصلتهم إلى السلطة. قد يرى البعض في هذه الرؤية إجحافا بحق هؤلاء، لكن ما يعطي مصداقية لمثل هذه الرؤية هي التصريحات المتشددة للإسلاميين بأن كل شيء سيتغير إن وصلوا إلى الحكم وأنهم سيطبقون شرع الله (حسب تفسيرهم). ولقد كان للتصريحات الملتهبة للإسلاميين الجزائريين دور حاسم في تشكيل تحالف موضوعي بين الجيش ومختلف التيارات السياسية وشرائح واسعة من المجتمع قاد إلى وقف المسار الانتخابي عام 1992. وهكذا يعتبر الفكر الانقلابي للإسلاميين أحد أبرز محددات "صيانة" الصراع ومصادر تغذيته.

14- الاستئصاليون، في الجزائر ومصر وغيرها، لا يميزون بين الإسلاميين الذين انتهجوا العمل السياسي العلني والشرعي والذين

تبنوا الإرهاب، ويرفضون التفريق بين معتدلين ومتطرفين على أساس أن التطرف خرج من رحم الاعتدال، هذا الخطاب المتشدد يميز ما يسمى بالجزائر بـ "القطب الديمقراطي" الذي يضم أحزابا تطالب باستئصال الظاهرة الإسلامية من جذورها كسبيل وحيد للتخلص من الإرهاب الأصولي وبناء الديمقراطية. هذا الموقف المتشدد يؤجج الصراع، خاصة أن أحزابا إسلامية تشارك في الائتلاف إلى جانب الحزب الحاكم وحزب من التيار الديمقراطي. كما يبقي الصراع القائم بطريقة أو بأخرى، لجعل الإسلاميين في موقف دفاعي، ودفع السلطة إلى انتهاج سياسة متشددة تجاههم. وبالتالي فهو يصب في نهاية الأمر في نفس منطق دعاة العنف وإقصاء الآخر السياسي في ما بين الإسلاميين. **ليست الأحزاب "الديمقراطية" هي الوحيدة التي ترفض التمييز بين معتدلين ومتطرفين في ما بين الإسلاميين في العالم العربي، ذلك أن قسما من المثقفين يتبنون الموقف نفسه.** فهؤلاء (من "ديمقراطيين" ومثقفين) يرفضون هكذا تمييزا، بحجة أن الاختلاف هو في الدرجة وليس في الطبيعة وأن الفروقات بينهما هامشية. يعبر هذا الحكم عن موقف أيديولوجي يناقض الواقع، فكل الإسلاميين لم يلجؤوا إلى العنف. كما أن هؤلاء يخلطون بين التطرف والعنف، لكن الأول لا يقود حتما إلى الثاني، والأمر ينطبق على كل التيارات السياسية في العالم. الحقيقة أنه بالإمكان تصنيف الحركات الإسلامية في صنفين مختلفين:

أ- الحركات السلمية (نقول سلمية وهذا لا يعني أنها غير متطرفة، ففيها من هي متطرفة، لكن كل المتطرفين لا يستخدمون العنف) واسعة الانتشار جماهيريا.

ب- الحركات التي تستخدم العنف (الطلائع المقاتلة في سوريا، الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر، الجماعة الإسلامية المسلحة والجماعة السلفية للدعوة والقتال في الجزائر...). الأولى تتميز بخطاب معتدل وبالإيمان بالتغيير السلمي، بينما تتبنى الثانية خطابا متطرفا جهاديا.

15- الانسداد السياسي المعبر عنه بالاستعصاء الديمقراطي يشكل عاملا للصراع بين السلطة والحركات الإسلامية الشرعية، الأولى ترفض الديمقراطية لما تتيقن من أنها ستأتي بالإسلاميين إلى الحكم، في حين يحاول الإسلاميون استخدام الديمقراطية للوصول إلى الحكم والانقلاب عليها. وبالتالي أصبحت الديمقراطية ضحية حسابات سياسية آنية مغذية بذلك الصراع السياسي. وقد تعمق هذا الانسداد السياسي، إذ لا مجال للتوفيق بين منطق توريث الحكم في "الجمهوريات"، كما حدث في سوريا، وربما غدا في العراق وليبيا ومصر واليمن، ومنطق الحكم لله الذي يقول به التيار الإسلامي المتشدد، أو حتى منطق المشاركة السياسية الذي ينادي به التيار المعتدل.

"الانسداد السياسي المعبر عنه بالاستعصاء الديمقراطي يشكل عاملا للصراع بين السلطة والحركات الإسلامية الشرعية، الأولى ترفض الديمقراطية لما تتيقن من أنها ستأتي بالإسلاميين إلى الحكم، في حين يحاول الإسلاميون استخدام الديمقراطية للوصول إلى الحكم والانقلاب عليها"

16- تشدد الفكر الجهادي والتكفيري في السنوات الأخيرة وكأن نقلة نوعية حدثت على مستوى التنظير العقائدي بقطع الأوصال المرجعية بين "الشيوخ" و"المجاهدين" ميدانيا. يعبر الناشط الإسلامي عصام طاهر، المعروف بـ أبي محمد المقدسي والذي سجن في الأردن عقب حرب الخليج، عن هذا التطور الخطير، لما يقول إن الشباب (الإسلامي) إن اعتبر بإمكانه تغيير النظام عبر العنف فعليه فعل ذلك، فهو أدرى بشؤونه. وهذا يعني قطع أوصال التراتيبية والمرجعية الأيديولوجية بين القيادات والأتباع من منفذي العمليات. مما يعمم العنف دون تلقي أوامر وتعليمات من القمة، ويصعِّب من مهمة اكتشاف هوية زعماء التنظيمات المسلحة. وهذا ما قد يفسر تكاثر الجماعات

المسلحة التي يقودها أشخاص "بسطاء" لم تعرف لهم زعامة داخل التيار الجهادي.

17- بعض الأنظمة تجنح إلى "صيانة" الصراع بالاحتفاظ على قدر من التوتر كوسيلة للبقاء في الحكم وتجديد مسوغات شرعيتها الهشة والمتآكلة. ومن هنا يمكن القول إن العنف الإسلامي أسهم إلى حد كبير في تأجيل الديمقراطية عربيا. فماذا لو لم يلجأ الإسلاميون للإرهاب في الجزائر؟ طبعا من الصعب القول إن الجزائر تكون قد انضمت إلى نادي الأمم الديمقراطية، لكن من الأكيد أنه لا مفر للنظام القائم من الاستحقاق الديمقراطي. بالطبع المسألة تختلف من بلد لآخر، العديد من الدول العربية لم تعرف عنفا أصوليا، لكنها لم تتحول إلى ديمقراطيات.

الإسلاميون وتوظيف الإسلام بين الأهداف المعلنة والخفية

رغم اشتراكها في خصائص عامة وجوهرية، فإن الحركات الإسلامية لها خصوصيات قطرية تبدو جلية من خلال توجهات وأهداف هذه الحركات في حدها الأقصى (إقامة دولة إسلامية بالقوة، مثال الجزائر ومصر وإلى حد ما سوريا) وفي حدها الأدنى (التأكيد على البعد الإسلامي والشريعة مصدرا أساسيا للتشريع مع الاعتراف بشرعية النظام، حال الأردن والكويت). محددات الصراع ليست نفسها بل تختلف من بلد لآخر. فرغم ادعائها الإسلام، فإن هذه الحركات تخفي في بعض الأحيان، مثلها مثل السلطة، مصالح فئوية، عشائرية أو مذهبية ضيقة. فالعامل المذهبي كان حاسما في تصعيد الصراع بين الإسلاميين السنيين والنظام العلوي في سوريا. العامل المذهبي (الشيعي) كان أيضا حاسما في الصراع الذي عرفته – وتعرفه- السعودية، البحرين والعراق. في بعض الحالات، الصراع مرتبط بعوامل مذهبية وإقليمية؛ ففي العراق مثلا، الإسلاميون الشيعة يتصارعون مع النظام منذ السبعينيات، لكن الثورة الإيرانية عجلت في المواجهة بينهما (إعدام الزعيم الشيعي محمد باقر الصدر في أبريل/نيسان 1980). عامل الثورة الإيرانية بعد أحداث مكة عام 1979، ثم الأحداث التي عرفتها البحرين في ما بعد. الإسلاميون في الصعيد المصري يخفون صراعا مع السلطة المركزية بسبب الفوارق التنموية والاجتماعية بين شمال وجنوب البلاد.

هل دخل العالم العربي مرحلة ما بعد الإسلام السياسي؟

من بين الطروحات الرائجة في الغرب منذ سنوات معدودة، أطروحة نهاية الإسلام السياسي وولوج العالم العربي مرحلة ما بعد الأصولية. الحقيقة أن في هذا الكلام مبالغة كبيرة وقفزا على الوقائع. والغريب أن يستدل بعض أنصار هذه الطروحات بمصير الرفاه في تركيا والجبهة الإسلامية للإنقاذ في الجزائر. في الواقع المثلان يفندان أقوالهم، ذلك أنه، وبغض النظر عن الأسباب وموضوعيتها، الرفاه قُذف به من السلطة على يد العسكر، والإنقاذ منعت من الوصول إلى الحكم من قبل العسكر كذلك. الحقيقة أننا لا نعيش مرحلة ما بعد الأصولية، فالحركات الإسلامية مازالت، رغم موجة الإرهاب، تتمتع بشعبية واسعة والإسلاميون مازالوا يشكلون قوة سياسية حتى في بلدان مثل الجزائر. كما أننا نفتقر حتى الآن إلى نموذج ديمقراطي حقيقي عربيا يسمح لنا بمعرفة الثقل الانتخابي لهذا التيار السياسي في المجتمعات العربية. تخوف أنظمة حاكمة من وصول أغلبية إسلامية إلى السلطة يفسر جنوحها إلى التزوير والتلاعب بالانتخابات، ومضايقة القيادات الإسلامية للحد من فاعليتها خلال الانتخابات وبالتالي التقليل من حظوظ التيار الإسلامي في الفوز، يدل على وعيها بقوة هذا التيار. طبعا، هذه الإستراتيجية لا تنسحب على الإسلاميين فقط بل تطبق ضد كل من هو خارج الحزب الحاكم أو لا يسير في فلكه، لكنها بحدة أقل مما هو الحال عليه مع الإسلاميين.

الإسلاميون والسلطة: نحو التهدئة والمصالحة؟

العلاقة بين الطرفين مرشحة للتهدئة والعمل السلمي في إطار قوانين الدولة، ذلك أن إرهاب

الجماعات الإسلامية كانت عواقبه وخيمة على الدولة وعلى الحركات الإسلامية نفسها كونها أصبحت في قفص الاتهام الدائم، الاتهام بالعنف ومحاولة الاستيلاء على الحكم بالقوة. أما السلطة (مثال مصر والجزائر) فرغم مكاسبها الإستراتيجية (الإرهاب سمح لها بتجديد مسوغات شرعيتها التي تآكلت) فإنها في الوقت نفسه ضعفت، ذلك أن نهاية الخطر الأصولي المسلح يطرح، إن عاجلا أو آجلا، حتمية التحول الديمقراطي الفعلي. مما سيفسح المجال لمختلف التيارات بما فيها الإسلامية لممارسة العمل السياسي والمطالبة الملحة برفع قوانين الطوارئ المعمول بها منذ سنوات في العديد من الدول بدعوى مكافحة الإرهاب.

التطور الديمقراطي الصحيح والانفتاح السياسي للمجتمع قد يسهمان إلى حد كبير في كبح جماح التطرف والنزوع إلى العنف، واحتواء التطرف في إطار سقف سياسي يحول دون الانزلاق إلى الإرهاب"

التطور الديمقراطي الصحيح والانفتاح السياسي للمجتمع قد يسهمان إلى حد كبير في كبح جماح التطرف والنزوع إلى العنف، واحتواء التطرف في إطار سقف سياسي يحول دون الانزلاق إلى الإرهاب. إذ إن ظاهرة العنف لا تفسر فقط بغياب الديمقراطية، ذلك أن هذه الأخيرة لا تعني بالضرورة غياب العنف كما أن، وهذا هو الأهم، غلبة الخطاب الجهادي-التكفيري، كمرجعية أيديولوجية، المنتشر في الأوساط الإسلامية، يجعل من أي نظام مهما كانت درجة ديمقراطيته تحت التهديد كونه لا يطبق شرع الله كما يفهمه أصحاب هذا الفكر الذين يسعون لإقامة دولة إسلامية تيوقراطية. هذا من ناحية، من ناحية أخرى، العنف الإسلامي ضرب دولا عربية شرعت في انفتاح ديمقراطي، لاسيما الجزائر ومصر، أين استفاد الإسلاميون عموما من هامش الحرية ليصبحوا القوة السياسية الأولى المعارضة للحكم. أما سوريا، التي لم تعرف عنفا إسلاميا منذ عام 1982، شهدت في منتصف التسعينيات اتصالات تشير إلى تقارب بين النظام والإخوان المسلمين لاسيما بعد الإفراج عن العديد منهم وعودة أبي غدة (مرشد الإخوان وزعيم سابق لحزب التحرير) من منفاه في السعودية الذي دام 13 سنة. إنها نقلة نوعية مقارنة مع السياسة الرسمية لعام 1980 لما كان مجرد الانتماء إلى الإخوان عقوبته الإعدام. التصعيد مع إسرائيل خاصة عام 1996 عجل التقارب بين الأسد والإخوان. وقد يسهم تولي نجله السلطة في تسريع هذا التصالح، خاصة أنه أبدى انفتاحا سياسيا (تعاملها الهادئ مع "بيان الألف" التي أصدرته لجان المجتمع المدني).

لكن الانفراج المرتقب عربيا قد يجهض إن فشلت الأنظمة في تسوية قضايا مصيرية مثل الهوية، العلاقة بين الدين والسياسة... الحسم فيها ضروري لبناء ديمقراطية على أسس متينة. طبعا، الوضع يختلف من بلد لآخر، فإذا كانت الجزائر ومصر على وشك الخروج نهائيا من دوامة العنف الإسلامي، فإن بعض الدول مثل المغرب الذي يعرف بركانا إسلاميا لاسيما في الجامعات قد يشهد موجات عنف إن لم تنجح السلطة في التعاطي بحنكة إزاء الملف الإسلامي، خاصة أن المواجهة فتحت بين الطرفين بسبب مسألة تعديل قانون الأحوال الشخصية.

هذا الانفراج المرتقب قد يجهض أيضا في حالة تبني الأنظمة العربية للإستراتيجية الغربية المناوئة للإرهاب بعد انفجارات نيويورك وواشنطن. الحملة الأميركية ضد الإرهاب لا تفرق بين الإرهابيين والإسلاميين، أو على الأقل تبقي على نوع من الغموض المقصود. ولو طبقت هذه النظرة عربيا لكانت الحرب الأهلية نظرا لثقل الإسلاميين السياسي في المجتمعات العربية. يبدو أن الأنظمة لا تريد فتح جبهة مع الإسلاميين، خاصة أنها ستجهض جهودها لإدماجهم في العمل السياسي العلني (يبدو أن مصر تعمل على تمييع "هوية" الإسلاميين في أحزاب غير إسلامية، عدم السماح للنواب السبعة عشر من الإخوان من

تشكيل كتلة برلمانية داخل مجلس الشعب المصري). وتبنيالإستراتيجية الغربية دون تحفظات يعني بالنسبة للجزائر التخلي عن سياسة الوئام المدني وإقصاء الإسلاميين من الائتلاف الحاكم. وبالتالي فاحتمالات مضايقة الإسلاميين المنخرطين في اللعبة السياسية الشرعية غير واردة، بينما ستتقوى الحملة الداخلية على الإرهاب.

لتدعيم الانفراج والخروج من دوامة الصراع لا بد من التخلي عن منطق "حلال علينا حرام عليكم" في ما يخص قضية فصل الدين عن الدولة، فالأنظمة تستخدم الدين لبسط شرعيتها وتبرير سياستها وتريد في الوقت نفسه تفنيد حجج الإسلاميين في استخدام الدين في السياسية، الحل هو حسم العلاقة بين الدين والسياسة بالتأكيد على أنه لا سلطة دينية في الإسلام على أن يطبق هذا على السلطة والإسلاميين على حد السواء، ولا بد أيضا من الخروج من نموذج الثنائية القطبية الصراعية بين الدولة التسلطية والتنظيمات الإسلامية، المخرج هو الديمقراطية ليس لأنها الحل الأمثل (فهي لا تعني بالضرورة غياب العنف) بل الأنسب. وحتى نقلب كليا "فكر" عبد السلام فرج (منظر تنظيم الجهاد المصري)، نقول إن "الفريضة الغائبة" ليست الجهاد بل الديمقراطية. هذه الأخيرة أجلت وتؤجل تحت ذرائع مختلفة. الحقيقة أن تأجيل الديمقراطية هو المشروع اللاحضاري العربي.

هل زوال الخطر الأصولي يعني خروج المجتمعات العربية من دائرة العنف؟ بقاء حالة الانسداد السياسي الذي تستخدمه الأنظمة للبقاء في الحكم، سيولد إن عاجلا أو آجلا تطرفا جديدا باسم الدين، أو باسم أيديولوجية علمانية، أو مرجعيات عقائدية أخرى أو حتى نزعات انفصالية. **لذا فاجتثاث الإرهاب من جذوره لن يتسنى ما لم تجتث جذور العنف عموما، الخلل الكبير في التوازنات الاجتماعية، الاقتصادية والسياسية هو مصدر العنف.** الخروج من هذا المأزق يكمن في العدالة الاجتماعية والتنشئة الاجتماعية، السياسية والدينية الصحيحة بعيدا عن الدعاية للحاكم مهما كانت توجهاته وانتماءاته.

الزرادشتية

الأصل والنشأة ـ الديانة (2)

نايف جبيرو

الأخلاق في فلسفة زرادشت

لم يكن الصراع بين الخير والشر بالأمر الجديد أو الطارئ على الديانة الزرادشتية,بل أنّ هذا الصراع مستمر ومنذ بدء الخليقة ولا يزال والذي شغل العقل البشريّ منذ أنْ بدء يعي نفسه على هذه الأرض. الصراع الذي كان له الأثر البليغ في مسيرة حياته اليومية,الأمر الذي دفع بهذا الكائن العاقل لبذل مزيدٍ من الجهد لكشف حقيقة العالم والحياة والبدايات,وشغلته الغايات والنهايات.

لجأ للسحر والتنجيم والشعوذة ردحاً من الزمن دون الاستعانة بأية قوى خارقة أو إلهية من أيّ نوع لإيمانه المطلق بأن تتابع الأحداث يخضع لقانونٍ معين,هو جزءٌ أصيل من الطبيعة ذاتها لا خارجاً عنها ولا متعالياً عليها,على أنّ الإنسان بعد تاريخ طويل مليءٍبالمرارة والألم والفشل في السيطرة على محيطه بعلمه الزائف، السحر والتنجيم، أتجه إلى الدينبعد أن اقتنع واعتقد بوجود قوى خارقة تقف وراء المظاهر المتبدية لهذا العالم. قوى إلهية مفارقة له فعالة فيه,وبذلك ابتدأت مرحلة جديدة تتميز بالتقرب لتلك القوى واجتذاب عطفهاومحاولة تفهّم رغائبها وآلية فعلها وشروطهفظهر الدين بشقيه.

الأول:اعتقادي يستخدم الأسطورة أداةً للمعرفة والكشف والفهم في القوى البدئية الفاعلة، الغائبة وراء هذا المظهر المتبدّي للعالم وكيفية عملها وتأثيرها وترابطها مع عالمنا وحياتنا.

الشق الثاني:طقسيٌ يستهدف استرضاء الآلهة والتعبد لها، إلا أنّ الفكر الإنساني في وثبته الدائمة لا يقف عند إطارٍ ولا يهدأ في مستقرٍ يطمئن إليه أو يركن لمعرفةٍ يظنها مطلقة لا يأتيها الباطل,فهو في حركةٍ دائبة تتجاوز أبداً ما وصلت إليه فتهاوت الأسطورة تحت مطارق الفلسفة، وتجرّع سقراط السم جزاء اجترائه على آلهة اليونان، ومن بعده تابع أفلاطون وأرسطو المهمة وتعاونت مع الفلسفة الديانتان المسيحية والإسلامية وقبلهما الزرادشتية، فتبنت المسيحية بضع أساطير أساسية كونت منها هيكلها، كأسطورة هبوط الإله من السماء وموته وبعثه بعد ذلك وصعوده إلى السماء,أما الإسلام فقد أثبت بعض ما أورده الأساطير، وقدّمه في صيغةٍ مختلفة تماماً مرْجعاً إيّاه إلى أصله السماوي القديم قبل تحريف الكلام عن مواضعه بسبب التقادم أو سوء الطويّة.

أما الزرادشتية فقد صوّر العالم في صورة ميدانٍ يصطرع فيه الخير والشر، فأيقظت في خيال الشعب حافزاً قويّاً مبعثه قوةٌ خارقة عن القوى البشرية، يحضّ على الأخلاق الفاضلة ويصونها، ومن جهةٍ أخرى مثّلت النفس البشرية كما مثّلت الكون في صورة ميدان كفاحبين الأرواح الخيّرة والأرواح الشرّيرة، وكل إنسانٍ لا بدّ وأنْ يكون مقاتلاً شاء أم أبى في جيش أهورا مزدا- الله - أو في جيش أنكراماينيو - الشيطان – وكل عملٍ يقوم به الإنسان أو يفعله يرجّح قضية أهورا مزدا- الله - أو قضية أنكراماينيو– الشيطان – وتلك

فلسفةٌ فيها من المبادئ الأخلاقية ما يثير دهشة المرء أكثر مما يدهشه بما فيها من مبادئ الدين,إذْ أنّ البشر وبحسب تعاليم زرادشت ليسوا بيادق تتحرّك بغير إرادتها في هذه الحرب الكونية، بل أنّ لهم إرادةٌ حرّة، لأنّ أهورا مزدا كان يريدهم شخصياتٍ تتمتع بكامل حقوقها وفي مقدورهم أنْ يختاروا طريق النور أو طريق الكذب. وقد نشأ عن هذه الفكرة قاعدةٌ أخلاقية ذهبية، وهي أنّ الطبيعة لا تكون خيّرة إلّا إذا منعت صاحبها أنْ يفعل بغيره ما ليس خيراً له هو نفسه.

وقد أورد أفستا أنّ على الإنسان واجباتٌ ثلاث، أنْ يجعل العدوّ صديقاً، وأنْ يجعل الخبيث طيّباً، وأنْ يجعل الجاهل عالماً. وتعتبر الزرادشتية أنّ أعظم الفضائل هي التقْوى ويأتي بعدها الشرف والأمانة قولاً وعملاً. والعمل في الزرادشتية هو ملح الطعام وخلق الشخصية لا يعبّر عنه فقط فيما يفعل المرء ويقوله رجلاً أو امرأة بل بأفكارهما,ولا بد للناس أن يقهروا بعقولهم الرغبات السيئة والشكوك. الجشع بالرضى، والغضب بالصفاء، والحسد بالإحسان والصدقات، والحاجة باليقظة، والنزاع بالسلام، والكذب بالصدق. ولا شيء في الزرادشتية أكثر خزياً من الكذب، فالإنسان الشرّير هو الإنسان المريض الذي يكون الكذب نشيطاً بعنف في جسده، حيث أنّ الجسد والنّفس متّصلين بإحكام في المفهوم الزرادشتي إلى حدٍ أنّه بدا أنّ المريض الجسدي لا بدّ وأنْ يكون مؤشّراً على وجود مرضٍ بالنفس. وتعد السعادة والمتعة الحالة الطبيعية للإنسان، وعدّ الحزن على أنّه بلوى جلبها الكذب إلى العالم المادي، وعلى المرء أنْ يبذل جهوداً شاقة لتعزيز الرخاء والغنى والاستقامة والفضيلة معاً، لأنّ هذه الحياة متصلة مع الحياة الآخرة، والحياة الآخرة متصلة مع هذه الحياة.

والزهد في فلسفة زرادشت والديانة الزرادشتية هو تجديفٌ ضد الحياة، الأديان الأخرى وعلى رأسها ديانة الفيدا التوأم للزرادشتية تنبذ الذات وتنكرها، وهوالركن الأساسي فيها. بالمقابل لا يفكر الزرادشتيون إلا بتحقيق الذات، فحب الذات هو أساس كل حبٍ لأنه يقود إلى محبة الآخرين والإله والكون، لأنّ نكران الذات الذي يعني الكراهية للذات يمكن أن يقود فقط إلى كراهية الآخرين، وهذا يعني أن نكران الذات أنه ينتمي إلى أنكرامايينيو وليس لأهورامزدا، لأن الأخير يطلب من الإنسان أن يكون كل ما يفعله هو لنفسه، بينما يطلب أنكرامايينيو منه أن لا يفعل أيّ شيء لنفسه. وهذا يعني أنه ينبغي على الإنسان أن يشغل نفسه في أمور هذه الحياة إلى الحد الذي لا تتدخل فيه أمور الحياة الآخرة، وعلاقة الإنسان الحكيم هي أن يضع دوماً نصب عينيه نهاية الحياة، فهناك صلةٌ وثيقة بين الرخاء الدنيوي والتقدم الروحي.

ولما كانت التقوى أعظم الفضائل على الإطلاق، فإن أول ما يجب على الإنسان في هذه الحياة أن يعبد أهورا مزدا– الله – بالطهر والتضحية والصلاة. ولم تكن الزرادشتية تسمح بإقامة الهياكل أو الأصنام، بل كانوا ينشؤون المذابح المقدسة على قمم الجبال وفي القصور أو في قلب المدن، وكانوا يوقدون النار فوقها تكريماً لأهورامزدا أو لغيره من صغار الآلهة. وكانوا يتخذون النار نفسها إلهاً يعبدونه ويسمونه أتار ويعتقدون أنها ابنة إله النور، والنار هو المحور الذي يربط عالم الناس وعالم الآلهة في أسفار الفيدا وأصبح رمزاً للزرادشتية ومن أكثر العناصر قدسيةً، وسمي أنصارها خطأً بالمجوس أيْ عبدة النار، وكلمة المجوس مصطلح من ميديا القديمة، وأصله ماكو ويعني الكاهن أو رجل الدين، وكلمة المجوس في اليونانية /magos/ أطلقها اليونانيون على كهنة زرادشت بمعنى العظيم أو الهائل لأنهم برعوا في السحر /magic/ ولهذا اشتقت هذه الكلمة في اللغات الهندوأوربية التي تعني السحر من اسمهم فقد كان المجوس كهنة رسميين في إمبراطورية ميديا، وعندما صارت الزرادشتية ديانة شعبية تولى المجوس مهمة تعليمها للناس، وبما أنّ

النار كانت أكثر العناصر تقديساً في الزرادشتية لأنها تجسيدٌ رمزي للإله فقد قام هؤلاء المجوس بخدمة معابد النار، لذا لقب الزرادشتيون خطأً بالمجوس.والنار في الزرادشتية ليس موضوعاً للعبادة بل هي رمز الطهارة وأصبح له عيدٌ خاص يحتفل به داخل المعبد مع بداية فصل الشتاء، وفيها يكثرون من عبادة الإله وتمجيده ويعتقدون أنّ حرارة النار تدفع الضرر عن النباتات .

وقد جاءت قدسية النار أو النور المنبعث من النار أيضاً في الإسلام حيث ورد في القرآن الكريم (الله نور السموات والأرض – س – النور – 35/ وكانت الشمس في الزرادشتية نار السموات الخالدة تعبد بوصفها أقصى ما يتمثل فيها أهورا مزدا، وقد جاء في الكتاب المقدس أفستا، يجب أن تعظّم شمس الصباح إلى وقت الظهيرة، وشمس الظهيرة إلى العصر، وشمس العصر حتى المساء، وأن الذين لا يعظمون الشمس لا تحسب لهم أعمالهم الطيبة في ذلك اليوم، يقول أهورا مزدا لنبيه زرادشت (إنّ الذين يعيشون باستقامة وفقاً للحق، الذين ينظرون نحو الشمس والذين يعملون لأجل الحساب سأسكنهم في مساكن الحكماء الجنة) دلالة على قدسية الشمس، فالذي ينظر إلى الشمس قبل موته سيدخل الجنة، وما زال الشمس مبجلاً عند الكرد عامةً والكرد اليزيديين خاصةً ودلالة ذلك، عندما أراد الفرس إعدام القاضي محمد رئيس جمهورية مهاباد ليلاً طلبوا منه أن يقول أمنيته الأخيرة فقال. أعدموني عندما تشرق الشمس فأنا أريد أن أنظر إلى شمس مهاباد.

وكان الزرادشتيون يقرّبون إلى الشمس والى النار والى أهورا مزدا القرابين من الأزهار والخبز والفاكهة والعطور وشراب هاوما المقدسة والثيران والضأن والجمال والخيل وذكور الوعول. ولم يكن ينال الآلهة من هذه القرابين إلا رائحتها، أما ما يؤكل منها فقد كان يبقى للكهنة والمتعبدين، لأن الآلهة على حد قول الكهنة ليست بحاجة إلى أكثر من روح الضحية.

ولما كان من طبيعة الأديان أن ترهب وتنذر، كما تأسو وتبشر، فإن الزرادشتية رغم هذا كله لم يكن ينظر إلى الموت في غير رهبة إلا إذا كان جندياً يدافع عن قضية أهورا مزدا، وهو أشد الخفايا رهبةً وجحيم وجنة، وكان لا بد لأرواح الموتى بأجمعها أن تجتاز جسر جينفات ,(الصراط المستقيم) تجتازها الأرواح الطيبة فتصل وفي جانبها الثاني إلى مسكن الفناء حيث تلقاها وترحب بها فتاة عذراء ذات قوة وبهاء وصدرٍ ناهد وهناك تعيش الروح مع أهورا مزدا سعيدة منعّمة إلى أبد الدهر .والفردوس الموعود للصالحين هي، هومات الأفكار الخيّرة، هوهت الكلمات الخيّرة، هفارشت الأفعال الخيّرة، وللفردوس ثلاث مدارج، فردوس هومات وفردوس هوهت وفردوس هفارشت، والتي تتفق مع الأنوار الخالدة أي بيت التسبيح أو الحمد، وتتطابق مع الدوائر الأربعة للكون في علم الكونيات الزرادشتي، دائرة النجوم، ودائرة القمر، ودائرة الشمس، ومملكة النور اللانهائي لأهورامزدا.

الآلهة في فلسفة الدين الزرادشتي :

إنّ ظهور زرادشت النبي وتاريخه لم يتم تحديده بشكلٍ موثق بحسب المصادر التاريخية، فترجعه بعض المصادر اليونانية، الذين اعترفوا بوجوده كشخصية تاريخية حقة، إلى خمسة آلاف وخمسمائة عام تسبق تاريخهم، بينما يقرّب بروس البابلي هذا التاريخ إلى عام /2000/ ق.م أما من يؤمن بوجوده من المؤرخين المحدثين فترجعه إلى ما بين القرن العاشر والقرن السادس ق.مإنّ زرادشت حين ظهوره وجد بني وطنه من الميديين والفرس، يعبدون الحيوانات كما يعبدون أسلافهم، ويعبدون الأرض والشمس وهذا ما كان يتفق في كثيرٍ من عناصره وآلهته مع دين الهندوس في العهد الفيدي،

إنّ ميترا إله الشمس كان كبير الآلهة في الديانة السابقة للزرادشتية، إلى جانب عددٍ من صغار الآلهة، مثل أنيتا إلهة الخصب والأرض، وهوْما الثور المقدس الذي مات وبعث حياً، ووهب الجنس البشري دمه شراباً ليسبغ عليه نعمة الخلود،

وقد ذهل زرادشت من هذه الآلهة البدائية، والطقوس الخمرية التعبدية، فثار على المجوس الكهنة الذين يصلّون لتلك الآلهة ويقدمون لها القرابين، وأعلن أن ليس في العالم إلا إله واحد هو أهورا مزدا، إله النور والسماء، وأنّ غيره من الآلهة ليست إلا مظاهر له وصفات من صفاتهوقد جاء في كتاب أفستا العديد من تلك الصفات والمظاهر بمظهر الآلهة والملائكة المقدسين الخالدين التي يمكن الإشارة إلى بعضٍ منها وما يحمل من معاني .

أهورا مزدا: أهورا وتعني السيد، الإله، ومزداالعارف، الحكيم. وهو الإله الأعلى الجديد في الديانة الزرادشتية,ولكنه القديم بالنسبة إلى الشعوب الهندو أوربية (أسورا في الفيدا الهندية، وآسي في الأساطير الإسكندنافية والألمانية) وأهورامزدا يتميز بسموه وجوهره الروحي، بينما الآلهة الآرية العظمى الأخرى فكانت عبارة عن آلهة حربية (زيوس اليوناني، إندرا الهندي، بيرون إله الرعد عند الشعوب السلافية القديمة).

آشافاهيشتا: أو أردبهشت، من أهم الملائكة الستة المقدسين الخالدين ومعناه الحقيقة الفضلى، أو حقيقة الجنة المثالية، ويحكم أهورا مزدا العالم من خلال آشا أي الصدق، المضاد لـ(diroj) وبالكردية (Derew) الكذب، تحمي آشا النار، والنار هي الرمز المادي للصدق، وقد أشار زرادشت في أناشيده إلى القبائل المغيرة على الرعاة ومربي الماشية المسالمين ووصفهم بـ(Dregvan) أي أتباع الكذب، بينما عدّ مناصريه بأنهم آشافان (Aşavan) أي أتباع الصدق والاستقامة

فاهو مانو: يعني الفكر الطيب، وروح القطيع، وهو الذي أوحى لزرادشت تعاليم ووصايا أهورا مزدا، وكان رئيساً للملائكة المقدسين الخالدين ثم تقدم عليه آشا (الصدق) قال زرادشت: (أعلن وأنفذ هذه الياسنا من أجل فاهومانو وإلى آشا الأسمى).

خشاترا: وهي سلطة الجبروت الإلهي، وهو من المقدسين الخالدين وهو موكل على المعادن.

سبينتاآرمايتي: أي الطاعة المقدسة واستقامة الرأي وحامية الأرض، كما تفهم أحياناً بمعنى الإرادة.

آشتابالآفستية: وآرتابالبهلوية، ورتا بالفيدية، وراستا بالكردية، وتعني جميعها الحقيقة و النظام، العدالة.أميرتات: وتعني الخلود وهو موكل على النباتات وهو من المقدسين الخالدين.هورفيتات: أي روح الكمال وهو من المقدسين الخالدين وموكل على المياه .

كاين: وتعني قطعان الهبة المباركة .

قال زرادشت: (أعلن وأنفذ هذه الياسنا من أجل كل من أميرتاتوهورفيتات وجسد الكاين وروح الكاين).

آميشاسبيندات: الملائكة الستة المقدسون الخالدون ويحتلون منزلة عليا في الزرادشتية، ويبجلون بعد أهورا مزدا مباشرةً، قال **زرادشت:** (أعلن وأنفذ هذه الياسنا من أجل كل من نار أهورا مزدا و تلك التي تكبدت جهوداً جبارة لمساعدتنا أكثر من كل آميشاسبيندات).وهمآشافاهيشتا، خشاترا، سبينتاآرمايتي، هورتات، فاهو مانو، وفي مجموعهم تأتي بمعنى النور اللامتناهي .

هاوان: ذلك القسم من النهار الذي يمتد من قبل الفجر حتى الظهر، وهي صلاة الفجر .

سافانكهي: إله وحامي القطيع .

قال زرادشت: (أعلن وأنفذ هذه الياسنا من أجل معلمي آشا ومن أجل هاوان وآشا المقدسة،

ومن أجل معلم آشا وامتدح وأنفذ هذه الياسنا من أجل سافانكهي)

ميترا: إله العقود والاتفاقات وإله المحاربين الأشداء، وقد ارتبطت باسمه العهود والسلام والشمس، وكرس له الياشت العاشر يقول زرادشت (أعلن وأنفذ هذه الياسنا من أجل ميترا ذي المراعي الواسعة ذي الألف أذن وعشرات الآلاف من العيون ومن أجل يازاد ذي الاسم المنطوق ومن أجل رامان هفاسترا)

يازاد: بمعنى يعبد كما يأتي بمعنى من يستحق العبادة، وقد احتل اليازاديون المرتبة الثالثة في التقديس بعد أهورا مزدا والمقدسين الخالدين، وكرس لهم ترانيم الياشت وهم. ميترا، وآناهيدا، و راشنو، و سراوش، و فرتراكنا.

رامان هفاسترا: إله السلام أو فكر السلام والسكينة وحامي القطيع وهو من اليازاديين.

رابتوين: وهو القسم الثاني من النهار و، ويمتد من الظهر حتى العصر وهو صلاة الظهر، وهناك ثمة صلةٍ بين هذه الكلمة و(firavîn) الكردية التي تستخدم بالمعنى نفسه كما تطلق أيضاً على وقت الغداء.

أوزرين: وهو القسم الممتد من العصر حتى قبل غروب الشمس وهو صلاة العصر، ولعل الكلمة الكردية (Rozerîn) التي تدل على الشمس الصفراء المائلة إلى الحمرة قبل المغيب تذكرنا ب أوزرينالآفستية.

فرادات – فيرا-: إله وحامي الرجال وفي اللغة الكردية تطلق كلمة (mêra) على الرجال كما هي في الآفستية ولا يخفى ما بين اللفظين من تقاربٍ وتشابه.

أردفيسورآناهيدا: وهي إلهة الخصب، والمياه التي تطهّر نطف الرجال وأرحام النساء، كما تتحكم بالرياح والسحاب والأمطار والندى .

يقول زرادشت (أعلن وأنفذ هذه الياسنا من أجل أوزرين معلم آشا ومن أجل فرادات فيرا، وداهيوما ومعلمي آشا المقدسين).

داهيوما: الإله الذي يحمي البلدان.

آيستروتريم: وهي فترة غروب الشمس وصلاة المغرب.

فرافاشي: الأرواح المجردة، ولكل ما هو طبيعي فرافاشي، أما ما هو مصنوع فلا فرافاشي له، فمثلاً للأشجار فرافاشي، أما الطاولة فلا فرافاشي له، وعيد تقديس روح الأجداد فرافاشي، عيدٌ كبير في الزرادشتية .

يقول زرادشت (وأنا أحتفل وأنفذ هذه الياسنا من أجل فرافاشي القديسين والى تلك الإناث اللواتي لديهن العديد من الأبناء ....)

أوشاهين: وهي فترة الليل لغاية الفجر وهي صلاة العشاء، وربما هناك صلة بين كلمة (şev) الكردية التي تطلق على الليل وباللفظ نفسه في الأفستية، إنّ تقارباً ما يمكن أن يكون بين لفظة أوشاهين و(şevîn) الكردية بالمعنى نفسه .

سراوش: بمعنى الإنصات إلى الطاعة والانضباط، وهو يمسك سوطاً يعاقب به الذين لا يودون الإنصات، ويشرف سراوش على الصلوات الخمس، ومن الواضح أن علاقة زرادشت بإلهه ليس علاقة ذلٍ بل هو علاقةٌ يطلب المساعدة التي يقدمها الصديق لصديقه. ومن المحتمل أنّ كلمة سراوش كانت تعني في الأصل علاقته مع ربه، أحدهما يصغي ويطيع الرسالة السماوية، والآخر يستمع إلى صلوات رسوله، وبالرغم أن سراوش أصبح مجسماً تماماً، فقد بقي حتى العصور الإسلامية، وتمت مطابقته مع الملاك جبريل.

قال زرادشت (أعلن وأنفذ هذه الياسنا من أجل أوشاهين، معلمي آشا المقدسين، ومن أجل سراوش صاحب آشي المالك للجزاء الظافر الذي يساعد العالم)

راشنو: إله النظام والعدالة وهو يمسك الميزان في يوم الآخرة عندما توزن أفعال أقوال أفكار الإنسان.

آشي: إله القدر والسعادة.

سبينتاماينيو: الروح القدس المضاد لأنكراماينيو روح الشر، وفي أفستا تتطابق أحياناً سبينتاماينيو مع أهورا مزدا، وفي كثيرٍ من اللغات الأوربية تطلق لفظة /سانتا- سانت – بمعنى القديسة أو القديس كما أن ماينيو أيضاً تطلق باللفظ نفسه على الفكر أو الروح في الإنكليزية، وفي الكردية التي تطلق فيها كلمتا / Goman و Raman/ على الفكر أو الظن.

قال زرادشت (أعلن وأنفذ هذه الياسنا من أجل كل النجوم التي هي مخلوقات سبينتاماينيو)

الزرادشتية والأرواح الشريرة :

الشيطان إيندرا، الشيطان سارو، الشيطان ناهاتيا، الشيطان تارفي، الشيطان زايري، الشيطان آيشما، الشرير الرهيب زيما، الهلاك الماكر كاتاشا، العاطفة الشريرة زاورفا، الشيطان بوتي، شيطان الفقر والبؤس دريفي، شيطان الكذب دافي، شيطان الضلالة والحقارة كاسفي، الشيطان باتيش الأكثر شيطنةً من بين الشياطين.

زرادشت والأبوة الإلهية :

إنّ فكرة زرادشتللأبوة الإلهية تشبه نظيرتها المسيحية، فالمسيحية ديانةٌ توحيدية، إلا أنّ الإله الذي تدعو إلى الاعتراف به ليس واحداً خالصاً بل هو ثالوثٌ، فالإنسان يتضرّع إلى الإله عن طريق المسيح، كما يخلق الإله من خلال المسيح نفسه، ابنه وكلمته، كذالك الأمر في الزرادشتية، فأهورامزدا يتحدث مع الإنسان من خلال العقل الخيّر (فاهومانو) والروح القدس (سبينتاماينيو)التي يخلقها، لأن العقل السليم والروح القدس هما إبنان له، ويحكم وفق المملكة (خشاترا) التي هي ملكٌ له وكذلك من خلال الحق أو الصدق (آشا) المتحد مع الروح القدس ويستمر حكمه إلى الأبد، لأنه يمتلك الخلود والكمال (هوفيرتاتوأميرتات)

بعض الطقوس الزرادشتية ومعتقداتها :

إن من أهم المعتقدات الزرادشتية الواجبة الالتزام، سواءً أكان ذكراً أم أنثى هو واجب ارتداء الحزام المقدس كوشتا أو كوشتي، ويعتبر حزام كوشتي قيد العبودية للإله المقدس في الزرادشتية، الذي يجب أنْ يحزّم الخاصرة ويحافظ عليه ويصان كرمزٍ لطاعة الإله، وعملية ممارسة هذا الطقس يتم من خلال مراسيم طقسية، حيث يخضع الطفل ذكراً أم أنثى قبل مراسم الدخول في الزرادشتية، إلى طقوس الطهارة الخاصة، تعرف بطقوس الاستحمام، حيث يقوم الكاهن، المكلف بهذه المهمة بغسل جسم الطفل بماءٍ له صفة القداسة، ومن ثم ينطق الطفل بشهادة الدين الزرادشتي ((أعظّم المجد والثناء للدين الحق، الكامل، القويم، الدين الذي أنزله الإله عن طريق رسوله زرادشت وخصّنا به، دين الإله الذي بلّغه زرادشت للناس)) بعد إدلاء هذه الشهادة من الطفل، يجلس الطفل على الأرض في مواجهة الكاهن ثم يضع الكاهن القميص /سودرا/ بين يدي الطفل كأول خطوةٍ في مراسم التقليد، ثم يتلو الكاهن والغلام وبقية الحضور دعاء التوبة، وبانتهائه ينهض الطفل والكاهن ويقفان أمام النار، لتلاوة دعاء الاعترافبأهورامزدا إلهاً وبزرادشت نبياً ورسولاً، وبعد الانتهاء من التلاوة يساعد الكاهن الطفل على ارتداء القميص الذي يجب أن يكون من القطن الخالص واللون الأبيض، طاهراً ونظيفاً وذا كمين، وله جيب صغيرٌ يرمز إلى الأعمال الصالحة، وعلى الطفل النظر إليه دائماً سائلاً نفسه في كل مرةٍ هل هو مملوءٌ بالأعمال الصالحة أم لا، هذا ولا يجوز للطفل أن يلبس تحت القميص أيّ شيءٍ أثناء تقليده للقميص ذلك حتى يتم ملامسة القميص بشرته، أما في حالة تقليد الكوشتي فيتجه الطفل نحو الشرق إذا كان الوقت صباحاً، ونحو المغرب إذا كان الوقت مساءً، وأثناء قيام الكاهن بربط الكوشتي يردد الطفل وبصوت مرتفع دعاء (نيرانجي كوشتي باستان) وفيه تمجيدٌ وتسبيحٌ للإله، وشجبٌ للشيطان وأعماله،

يصنع الحزام من الصوف الأبيض، ويلف وسط الطفل ثلاث مرات، مشيرا بذلك إلى قواعد الإيمان الثلاث. الفكر الطيب، القول الطيب، والعمل الطيب،

ويتألف حزام الكوشتا من اثنين وسبعين خيطاً، ويرمز إلى أجزاء الياسنا المكونة من اثنين وسبعين هايتي،

وبعدالانتهاء من مراسم التقليد، يتلو الكاهن والطفل معاً دعاءً هذا نصه (أتوسل إليك يا ربي أن تمد يد المساعدة لشخصي الضعيف....أحمدك ربي وأثني عليك لما وهبت لي من فكرٍ طيب، قولٍ طيب، وعملٍ طيب) وينتهي الدعاء ب المجد والخلود لدين الإله وزرادشت.الخلاصة:عتقدات الزرادشتية، أن الصيام ليس كما هي في بعض الأديان في الامتناع عن الطعام والشراب,بل أنّ المؤمنون في الزرادشتية يصومون عن الخطيئة. ويعد الصوم عن الطعام إثماً في الزرادشتية لأنّ ذلك يضعف الجسم الحيّ ونشاطه وعمله الذي عدّ مقدساً في الزرادشتية.

الخلاصة : بالرغم من عدم التمكن من الإلمام بكل الجوانب المضيئة والمشرقة لهذه العقيدة,نظراً لشحة المراجع والمصادر التي يمكن الاعتماد عليها لإغناء البحث أكثر، فالديانة الزرادشتية تحتاج إلى المزيد من البحوث والدراسات العلمية ليتمكن الباحث من إعطاء الصورة الحقيقية لهذا الدين.

الزرادشتية التي تتوفر فيها جميع مقومات ومستلزمات الدين، كغيرها من الأديان المعتبرة، والمعترف بها عالمياً. بالرغم من ذلك كله يمكن استخلاص بعض العبر والاستنتاجات المفيدة:

أولاً: إن ما رافق وأحيط بعملية حمل وولادة زرادشت من حكايات وأساطير وخوارق استثنائية تتفق والى حد التطابق مع القصص والحكايات والأساطير التي رافقت عملية ولادة الأنبياء والرسل في الأديان الكبرى وبصورة خاصة السماوية منها، وهذا ما من شأنه أن يكوّن لدى المرء قناعةً بأنها ولادةٌ نبوية، إن كان من الذين يؤمنون بوجود الأنبياء والصالحين.

ثانياً: إنّ الروايات والمصادر التاريخية التي تتحدث عن حياة زرادشت وفي المراحل الأولى من حياته والتي تتشابه في جميع أوجه المعانات والصعوبات والعراقيل والرفض، والهجرة والاعتكافالتي واجهت الأنبياء والرسل في نشر دعوتهم وتمكين نبوتهم بين الناس وبصورةٍ خاصة بين بني قومهم، ووطنهم ومسقط رؤوسهم، وهذا عاملآخر يثبت نبوة زرادشت،

ثالثاً: ومماهو على صلةٍ بموضوع النبوة، إنّ الديانات السماوية، وابتداءً من الديانة اليهودية، قد أعلنت ومنذ مراحلها الأولى، بظهور مخلصٍ، أو منقذٍ، أو نبيّ، في مرحلةٍ لاحقة لخلاص البشرية من الظلم والفساد الذي سينتشر بين العباد، فآمنت اليهودية وانتظرت ظهور السيد المسيح، كما آمنت المسيحية بهذه العقيدة، وآمنت من خلالها بالسيد المسيح عند ولادته في بيت لحم، كما أنّ الإسلام اعتمد هذه النظرية وآمن بها، أولاً باعترافها وإيمانها بالسيد المسيح رسولاً ومن خلال الآيات القرآنية، واعتمادها وإيمانها ثانياً بهذه العقيدة، بأنّ نبياً سيظهر بعد ظهور السيد المسيح وإسمه محمد أوأحمدوبالاستناد إلى أحد الأناجيل (إنجيل برنابا),

وبالعودة إلى زرادشت والزرادشتية والتي ترجع إلى عهودٍ تسبق الأديان السماوية، آمنت هذه الديانة قبل غيرها ودعت إلى الإيمان بالمنقذ والمخلّص والذي سماه حسب اللغة الآفستية ب(الساوشيانت) الذي سيظهر في زمنٍ ينتشر فيها الفساد والظلم، إضافةً إلى ما تم ذكره من خلال البحث، وحين ظهور وولادة السيد المسيح، وكيف كان الزرادشتيون أوّلوا من آمنوا وصدّقوا بأنه رسولٌ من عند الله، وقبل أن يؤمن به أحدٌ من بني قومه ووطنه، وقدموا له الهدايا ذهباً ولباناً ومراً وهو لا يزال طفلاً في حضن أمه مريم،

رابعا: إنّ جلّ ما دعت إليها الديانات السماوية الثلاث، الدعوة إلى تقديس وتوحيد الإله الواحد الأحد، وعبادته من خلال الصلوات وإقامة الطقوس التعبدية، والدعوة إلى الأخلاق المتسامية المتحلّية بالصدق في القول والعمل وجعلها من العبادات التي توصل بالإنسان إلى الجنة، إضافةً إلى الدعوة للتسامح والمساواة والعدل بين البشر والرّفق بالمساكين والفقراء، ومعاقبة العصاة والظالمين بالعذاب في جهنم دار الجحيم. أما الزرادشتية، كديانةٍ سابقة تاريخياً للديانات السماوية الثلاث ,فمن المتفق عليه بين جميع المؤرخين ومن خلال المصادر والمراجع التاريخية، أنّ الديانة الزرادشتية، تدعو الإنسان إلى تقديس الإله الأعظم أهورا مزدا وعبادته، كما تنادي بثلاث مبادئ جوهرية، هي الفكر الطيّب، والقول الطيّب، والعمل الطيّب، وتحثُّ معتنقيها إلى بذل الجهد في سبيل الحق، والخير، والنور، ومقاومة قوى الشرّ والظلام، وفي مقدّمها أنكراماينيو /الشيطان / كما توجب على معتنقيها بذل الجهد لكسب الرزق، والصدق في العمل وجعلها في مقدمة الأعمال التي يتقرّب بها العبد إلى الرب، إضافةً إلى تقديس العمل في فلاحة الأرض واستغلال مواردها، والعناية بتربية المواشي والرأفة بالحيوانات، وتحريم اللّهو بها أوتعذيبها أثناء ذبحها، وبما يتوافق مع جمعيات الرفق بالحيوان المنتشرة في العالم المتمدن المعاصر، الزرادشتية التي تطلب من معتنقيها، العطف على الفقراء والمساكين، وتعد المتقين الصالحين المتبعين لأوامر أهورا مزدا بالثواب والنعيم، وتنذر العصاة المخالفين بالعقاب والعذاب في جهنم دار الجحيم يوم القيامة، وهذا غيضٌ من فيض، مما دعا أليه زرادشت والتي تعتبر جميعاً، صفات وسمات الرجل الصالح الذي يصل إلى مصاف الأنبياء، فهو الذي نبذ الوثنية، ودعا إلى عبادة إلهٍ واحد أحد، يسمو ويعلو فوق كل شيء، وسواءً أكان اسم هذا الإله أهورا مزدا أو الله، فإنّ اسم الله يختلف من لغة قومٍ إلى لغة قومٍ آخر، ولكنّ صفات الله عزّ وجلّ هي ثابتة لا تتغيّر في جميع اللغات، إنّ زرادشت والزرادشتية، تؤمن بوجود الثواب والعقاب في اليوم الآخرة، وفي سبيل أن ينالوا الثواب والوصول إلى الجنة المثالية، فقد ورد في معتقدهم التركيز على القيم الأخلاقية علاوةً على الإيمان بوحدانية الخالق، فقد كان الفكر الطيب، والنية الحسنة، والقول الحسن، والعمل الحسن من المبادئ الأساسية الذي من شأنها أن يجعل الزرادشتي أن يعيش سعيداً في دنياه وآخرته.

خامساً: ما الذي يمكن للمرء أن يستنتج، بعد هذا التوافق والتشابه بين زرادشت والرسل والأنبياء، والزرادشتية والديانات الأخرى التي ظهرت في مراحل لاحقة من ظهور الزرادشتية، إنّ العقل والمنطق تحكم بنبوّة زرادشت وبالزرادشتية ديانةً من الديانات الكبرى في التاريخ، إذ أنّ هذا التشابه في روح العقيدة، بين الديانة الزرادشتية والديانات السماوية الثلاث، اليهودية والمسيحية والإسلام، ومن المنظور الديني يتبادر إلى الذهن تساؤل هامٍ، هل كان زرادشت نبياً مرسلاً من الله عز وجل أم أنه كان ذو اطّلاع في عقائد الأديان السابقة لعهده، فصاغ منها هذه العقائد، والجواب المنطقي أنّه لا يمكن أن تكون هذه العقائد وبهذا الشبه الكبير من وحي خيال زرادشت، وإذا كان الأمر كذلك فما الذي يثبت نبوّة الأنبياء الآخرين.

سادساً: إنّ النظر في حقيقة الدين الزرادشتي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار، ما تعرّض له هذا الدين من حملات الإبادة والملاحقة لمعتنقيها، وإتلاف وطمس معالم هذا الدين وإحراق كتبها المقدسة، وبصورةٍ خاصة أثناء انتصار الإسكندر المقدوني على الفرس، وقتله لملكها داريوس وإحراقه للقصر الملكي وللمكتبة التي كانت تحتوي قسماً كبيراً من الكتب الزرادشتية سنة /330/ ق.م, وهذا ما يجعل إمكانية وقوع التبديل والتحريف في دين زرادشت لقلة الوثائق المتبقية والمتوفرة عن هذا الدين من ناحية، والفترة الزمنية الطويلة

التي مضى على هذا الدين، شأنه في ذلك شأن الأديان الأخرى وما أصابها من تحريفٍ وتبديل كاليهودية والمسيحية، لا سيما وأن الله عزّ وجل قد ذكر إمكانية التحريف، من خلال القرآن الكريم بقوله تعالى (ولو أنّهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربّهم، لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم، منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون) آية /93/ كما أنّ الله لم يتعهد إلا بحفظ القرآن بقوله (إنّا نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون) آية /94/.

كما أنّ من ينكرون نبوّة زرادشت، بحجة عدم ورود اسمه في القرآن الكريم، بين سائر الأنبياء والمرسلين، فإنّ هذا مردودٌ بقوله تعالى ((ورسلاً قد قصصناهمعليك من قبل * ورسلاً لم نقصصهم عليك)) آية /95/ وقوله تعالى (وإنْ من أمةٍ إلاّ خلا فيها نذيرٌ))آية /96/ وهذا مايؤكد وبموجب العقيدة الإسلامية أنّ الله قد أرسل نبيّاً لكلّ أمةٍ، ومع تصفّح تاريخ إيران والهضبة الإيرانية لا نجد أيّ ذكرٍ لنبيٍّ آخر غير زرادشت في الأمة الميدية القديمة.

سابعاً: إنّ ما تعرّض له الديانة الزرادشتية، وبحسب المصادر والمراجع التاريخية، من التدمير لمعابدها ورموزها الدينية، والإحراق والإتلاف لكتبها المقدسة، والقتل والملاحقة لكهنتها ومعتنقيها، والإنكار وعدم الاعتراف بها كديانة من الديانات الكبرى والمعتبرة في الثقافة الروحية للتاريخ البشري، يضع المرء أمام تساؤلٍ هامٍ، إنّ التاريخ البشري وعبر آلاف السنين قد شهد المئات بل الآلاف من المعتقدات الدينية، وبمستوياتٍ أقلّ من التأثير في الحياة الروحية للبشرية، ولا تزال الكثير منها قائمة في مناطق مختلفة من العالم، دون أن تلقى تلك العارضة والمحاربة الذي تعرّض له الدين الزرادشتي، وهذا ما يدفع للاعتقاد أنّ المرد الحقيقي وراء ذلك يعود بالأساس إلى الأسباب العرقية والقومية، حيث أنّه وبعد سقوط إمبراطورية ميديا على يد كورش مؤسسِ الإمبراطورية الأخمينية الفارسية في سنة /550/ ق.م، ماتت لغة أفستا. ومن فرط حساسية هؤلاء من الميديين حاولوا طمس لغة أفستا الأصلية، وإغفال اسم زرادشت بشكلٍ متعمّد، وقد نجحوا في ذلكففي كتابات ونقوش القياصرة جميعها وعلى مدار /1300/ سنة من قيام ثلاث إمبراطوريات فارسية زرادشتية، لم يرد اسم زرادشت كما لم تردْ إشارةٌ تدل عليه (نقوش داريوش، خسرو، أرداشير .....الخ) ويلاحظ فيها التغني والتمجيد لأهورامزدا، ميترا، آناهيدا .....الخ دلالةً على زرادشتية هؤلاء القياصرة. كما وأنّ المجوس الميديون الذين سميت الديانة الزرادشتية باسمهم خطأً، الذين شكلوا عمدة الزرادشتية، بصفتهم حملةَ وحفظةَ أفِستا، تعمّد الفرس إغفالهم في أفستا نفسها، سوى مرةٍ واحدة يذكر فيها بمعنى الذّم. إنّ نفور الفرس كان مرجعه أنّهم المجوس وزرادشت من أصلٍ ميدي.

ولذلك قيل بأنّ آفستا فارسية، وهذا ما جعل أنظار الباحثين تتوجه نحو الفرس ولغتهم عندما يدور الحديث حول العلم الأفستي وقضاياه التي أشْكَلَتْ عليهم، حتى أنّ أحداً منهم لم يستطع التأكيد على المصدر الحقيقي لآفستا ولغتها التي سميت، افتراضاً باللغة الآفستية، وكأنّ هذه التسمية الافتراضية كانت ولا تزال بمثابة حلٍّ مؤقت لتلك الإشكالات التي تدل على الجهل بحقيقة أفستا من حيث المصدر والموطن واللغة.

ولم يأتي قصة الإسراء والمعراج الزرادشتي إلا ضمن هذا السياق، الدفاع عن دين الأجداد، وتجديد الإيمان من خلال بناء وحدة الأمة الروحية، في تلك المرحلة العصيبة للديانة الزرادشتية التي لاقت أحلك مراحلها بعد مهاجمة الإسكندر المقدوني سنة /331/ ق.م، تلك القصة التي تتلخص في اختيار مجمع الكهنوت الزرادشتي لرجلٍ صالحٍ ليقوم بمهمة رحلة إلى العالم الروحي الأخروي، إلى الآلهة السماوية، ليتلقى التفسيرات والتعليمات الجديدة لبث الروح في دين الأجداد، تلك الرحلة التي تدور أحداثها بصورةٍ شيقة ومثيرة للعواطف

والمشاعر الروحية، الرحلة التي يقوم بها الرجل الصالح فيراز بعد أدائه مايلزم من الطقوس والصلوات المفروضة وشرب الهاوما، الشراب المقدس، ودخوله في نومٍ وسباتٍ عميق دامت مدة أسبوعٍ بلياليها، عائداً بتفاصيل التعليمات الجديدة، شارحاً زيارته الجنة والجحيم وبمرافقة ملاك الطاعة سراوش، وإله النار أتار. تلك القصة التي كانت لها التأثير البليغ في إعادة الروح والتجديد لديانة الأجداد، والتي كانت لها الأثر البارز في الإسراء والمعراج الإسلامي، وفي رسالة الغفران للمعري، والكوميديا الإلهية لدانتي .

المصادر والمراجع :

1-دوبروفيتات، الإسكاريفاري–زرادشت– دار نشر أولميب– موسكو 1999–

2-جيفري بارندر– المعتقدات الدينية لدى الشعوب – ترجمة إمام عبد الفتاح إمام – عالم المعرفة العدد - 173- الكويت 1993-

3-حامد عبدالقادر –زرادشت الحكيم – مركز الإنماء الحضاري – القاهرة –2006

4-دياكونوف ا. م – ميديا – ترجمة وهيبة شوكت محمد – رام للطباعة والتوزيع – دمشق –دون تاريخ

5-الشفيع الماحي أحمد –زرادشت والزرادشتية – في حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية– الرياض 2001– وأحمد الشنتاوي– الحكماء الثلاثة - القاهرة –1953

6-جيفري بارندر– المعتقدات الدينية لدى الشعوب – ترجمة إمام عبدالفتاح إمام – عالم المعرفة العدد 173 - الكويت 1999- بدون مكان وتاريخ النشر

7- فرزات محمد حرب – مدخل إلى تاريخ فارس وحضارتها القديمة قبل الإسلام – مطبعة جامعة دمشق 1988- 1989- ص – 85– (داریاوش الأول) المعروف ب(دارا 521–485– ق.م) من ملوك الأسرة الأخمينية .

8-إدوارد براون – تاريخ الأدب في إيران – الجزء الأول – الباب الأول والثاني – ترجمة أحمد كمال الدين – الكويت –1984- ص 57 وما بعدها

9-محمد أمين زكي – تاريخ كرد وكردستان – ترجمة من الكردية إلى العربية محمد علي عوني – مطبعة السعادة – القاهرة –1936– ص – 328 – 329

10-دياكونوف أ. م – ميديا – ترجمة وهيبة شوكت محمد – رام للطباعة والتوزيع – دمشق – دون تاريخ

11-روجيه ليسكو – اليزيدية في سوريا وجبل سنجار – ترجمة أحمد حسن – دار المدى للنشر – دمشق – 2007 - ص – 73 – 74

12-جيفري بارندر– المعتقدات الدينية لدى الشعوب – ترجمة إمام عبد الفتاح إمام – عالم المعرفة – العدد – 173 - الكويت – 1999 - بدون مكان وتاريخ النشر

13-أحمد الشناوي – الحكماء الثلاثة – القاهرة – 1953

14-ر. س زيهنير– المجوسية الزرادشتية الفجر – الغروب – ترجمة سهيل زكار– دار التكوين – دمشق –2005

15-دياكونوف– ميديا – ترجمة وهيبة شوكت محمد – رام للطباعة والتوزيع – دمشق – دون تاريخ للنشر

16-جورج حبيب – اليزيدية ج2 – دار بترا – دمشق 1996

17-د. خليل عبدالرحمن – أفستا – الكتاب المقدس للديانة الزرادشتية –الناشر – روافد للثقافة والفنون – الطبعة الثانية 2008– ترجمة عبدالرحمن عثمان – خالدة حسن – سليمان عثمان – عبدالرحيم مقداد

18-جورج حبيب – اليزيدية ج2 – دار بترا – دمشق –1996

19-جيفري بارندر– المعتقدات الدينية لدى الشعوب – ترجمة إمام عبدالفتاح إمام – عالم المعرفة العدد 173 - الكويت 1993 - بدون تاريخ نشر

20-مرشد اليوسف –دوموزي (طاووس ملك) المكتبة الإيزيدية–2011

21-المسعودي – مروج الذهب ج1 ص 218– التنبيه والإشراف – ص 96صفاء (د. ذبيح الله) حماسة سرائي در ايران، طهران 1324 ش. ص 29

22-محمد ناصر صديقي – تاريخ اليزيدية – النشأة – الفكر والمعتقدات – العادات والطقوس – دار الحوار للنشر والتوزيع – سوريا – اللاذقية – ص ب 1018– الطبعة الأولى 2008

23-حامد عبدالقادر –زرادشت الحكيم – نبي قدامى الإيرانيين – حياته – فلسفته - مكتبة نهضة مصر ومطبعتها – القاهرة ص 18

24-ويلديورانت– موسوعة قصة الحضارة – شعوب شرق الأدنى القديم – مراجعة الدكتور سعيد اللحام – دار النشر والتوزيع – بيروت – دار نوبلس

25-أبي الفتح الشهرستاني– موسوعة الملل والنحل – بيروت، الناشر مؤسسة الناصر للثقافة ط1 1981– ص 110–111

26- دياكونوف. ي. م. – تاريخ ميديا من أقدم العصور حتى نهاية القرن الرابع قبل الميلاد – دار نشر أكاديمية العلوم السوفياتية – موسكو، لينينغراد – 1950 - ص –47

27- إدوارد براون تاريخ الأدب في إيران ج1- باب1 و2 ترجمة أحمد كمال الدين ,كويت 1984

جلادت عالي بدرخان

(1893-1951) م

دلاور زنكي

ولد جلادت بدرخان في السادس والعشرين من شهر أيار عام 1893م في مدينة استانبول من والده: أمين عالي بدرخان ووالدته "سنيحة" شركسية الأصل. وقد كان لوالده زوجة ثانية. فنشأ جلادت وترعرع في بيئة ميسورة غنية مرهفة الإحساس والذوق فعرف طيبات الحياة، إنَّ جلادت وهو سليل الأمراء وقد اعتاد على حياة البذخ والرفاهية والأمان يرفل في ثوب الرخاء والثراء تبدلت أحوله وأحوال عائلته بعد المنفى، فعاش في ضنك من العيش وعوز وفاقة ويذوق علقم الاغتراب، وهكذا انعكست آلام العائلة وهمومها على طفولة جلادت ومزّقتها شر ممزّق. هذه الطفولة التي قاست مشقة الأسفار من بلد إلى بلد ومن أرض إلى أرض. شبَّ وترعرع، تملأ نفسه أحلام آبائه وأجداده في حياة حرة كريمة فوق أرض أسلافه الغابرين. فكان في هذا وذاك الأثر الكبير في تكوين شخصيته. فإذا هو يحمل بين جنباته هم كل كردي ويضع نصب عينيه السعي وراء الحلم الكبير وتحقيقه... لقد نشأ جلادتوإخوتهوأخواته في كنف أولئك الأسلاف العظماء وساروا على نهجهم فكانوا خير خلف لخير سلف.

كان العثمانيون في ريب من أمر البدرخانيين لذلك كانوا يكلفونهم بالوظائف الحكومية والأعمال الرسمية وكانوا ينقلونهم من مكان إلى آخر. وكان جلادت–في رفقة والده- يتنقل من مدينة إلى أخرى بين نفي واستلام منصب وظيفي مثل: استانبول، إسبارطة، وأدرنه، وقونيه، ونابلس، وعكا، وسالونيك... ويتجول بينها، وهكذا أمضى أيام طفولته البريئة في حل وترحال. وهكذا كان الأمر بشأن رواتبهم المهنية تدفع حيناً وتقطع حيناً وقد استمرت الحالة تتأرجح بين الغضب والرضا لا تعرف الاستقرار فكان السلطان يرضى عنهم يوماً ويغضب يوماً.

عندما بلغ جلادت من العمر ثمانية عشر عاماً انتسب إلى الكلية الحربية وتابع فيها دراسته ولما تخرّج منها بصفة ضابط التحق بالجيش العثماني في حرب القفقاس وحروب البلقان.

كتب جلادت بدرخان في مجلته "روناهي" العدد /25/ الصادر عام 1944م أنه كان في عام 1917م قد التحق بإحدى الوحدات العسكرية العثمانية التي ترابط قريباً من بحيرة "أورميا" برتبة ضابط.

بدأ جلادت وأخوه كاميران بالكتابة في سن مبكرة، وهذا ما نلاحظه من خلال التاريخ الذي نشر فيه كتاب "حقيقة سقوط أدرنة" عام (1913)م. هذا يعني أنهما عندما أعدا هذا الكتاب لم يكونا قد تجاوزا عشرين سنة من عمرهما.

في عام 1919 توجه جلادت عالي بدرخان و أخوه كاميران و أكرم جميل باشا وفائق توفيق إلى كردستان والى جانبهم الضابط السياسي الانكليزي الذائع الصيت: "الميجر ادوارد نوئيل". للوقوف على مطالب الشعب الكردي. وما إذا كان الأكراد قادرين على حمل

مسؤولياتهم قبل أن تعقد جلسة معاهدة (سيفر)[1] بين الحلفاء والحكومة العثمانية. في البدء ذهبوا إلى "ملاطية" والتقوا بزعماء ورؤساء العشائر وكبار القوم ولكن كمال باشا كان أكثر دهاء فقطع عليهم الطريق إذ اتصل بأولئك الزعماء والرؤساء ووعدهم مواعيد كاذبة بمنحهم المناصب والأموال ونجح في خداعهم. وفي الوقت نفسه أرسل جنوده على ظهور الخيول إلى المنطقة لردع كل من يحاول انتفاضة أو تمرداً، فلم تثمر جهود الأمير واضطر إلى التقهقر بعد ما لقي من غدر العثمانيين وخذلان العشائر له شيئاً كثيراً.

في هذه المرحلة تحديداً تكونت لديه فكرة تأليف ألف باء بالأحرف اللاتينية و لمعرفة كيفية إعداده للألفباء الكردية، لابد من العودة إلى كتابه المطبوع في دمشق،(صفحات من الألفباء) ضمن سلسلة مطبوعات"هاوار" عدد (2) عام 1932م يقول في مقدمته: "في عام 1919م توغلنا في عمق جبال "ملاطية" ودخلنا بين عشيرة "رشوان" وكان الميجر نوئيل الانكليزي يصطحبنا وهو الذي كان ملماً باللهجات الكردية-(الصورانية) ويرغب في تعلم اللهجة الشمالية (الكرمانجية). وكنا نصغي إلى الناس وننقل عنهم الأمثال والطرائف والقصص وندونها ثم يعود كل منا إلى قراءة ما كتبناه وتنقيحه وتهذيبه إن كان بحاجة إلى ذلك. ولفت نظري أن الميجر الانكليزي كان يقرأ ما دوّنه بلكنة أجنبية ولكنه كان يقرأ كتابته بسهولة واضحة. أما أنا فكنت أجد مشقة كبيرة في لفظ الأحرف الصوتية وتمييز الحرف (î) من الحرف (ê) وحرف الـ(o) من حرف الـ (û) الخ. إلاأنني كنت أحرر كتاباتي بالأحرف العربية. وهذا الرجل الانكليزي يستخدم الحروف اللاتينية. وعندئذ أدركت السبب وقررت بيني وبين نفسي أن أضع أبجدية بالحروف اللاتينية واستخدمها في الكتابة الكردية.

كان من نتائج الحرب الكونية الأولى سقوط الإمبراطورية العثمانية، ثم نهوض الشعوب التي كانت تحت هيمنتها وظهور الحركات الثورية الداعية إلى إطلاق الحريات. وفي هذه الظروف نشط جلادت في الاتصال بالعشائر الكردية وحضها على التوحد وجمع الصفوف ساعياً إلى رفع الجور عن الأكراد. ولكن العنصريين الأتراك في حزب "الاتحاد التركي" في كافة أرجاء الأناضول ازدادوا شراسة وعدوانية بعد تردي الإمبراطورية العثمانية وجرت على أيديهم مجازر ومذابح جماعية للأرمن والأكراد. وفي هذه الفترة أصدر العنصريون أحكاماً جائرة لتبديد الأسرة البدرخانية وتشتيتها، ولهذا رأينا جلادت بدرخان وأخاه كاميران يسيران على طريق منفى جديد، ومستقبل غامض ومجهول.

بعد أن احتل الكماليون مدينة استانبول وأخضعوها لنفوذهم وسلطانهم عام 1922م قرروا القضاء على القوميين الأكراد وفي اللائحة اسم جلادت بدرخان. وفي هذه الأثناء لجأ الأمير وشقيقه كاميرانإلى ألمانيا وهناك بيّن جلادت سبب فرارهما للمستشرق "كارل سوسهايم" الذي اصدر كتاباً فيما بعد ذكر فيه: إنجلادت كان يقوم بالدور الإعلامي للتحرر الكردي وكان هو وكافة البدرخانيين يحتلون المراكز القيادية في كل الحركات الثورية. وقد ذكر لي أن أفراداً من العائلة البدرخانية عبروا حدود الإمبراطورية العثمانية عن طريق الموصل وشاركوا في الانتفاضة في ذلك الإقليم. وأنّ محكمة "سيواس" كانت قد أصدرت قراراً بإعدامه. يستأنف المستشرق "سوسهايم" القول: إن العثمانيين والأتراك كانوا يتجنبون جلادت ويتهربون من مخالطته بسبب ذاك الحكم الصادر عن محكمة "سيواس". في تلك الأعوام الثلاثة اهتم باللغة الألمانية وانكب على دراستها. ولاسيما الجوانب الأدبية والتركيبية. وعندما ذهب إلى

[1]-تتألف معاهدة "سيفر" من (13) باباً و (433) بنداً أعدتها (5) خمس لجان خاصة تفرعت من مؤتمر باريس. راجع البنود (62،63،64) عن المسألة الكردية.

سورية واستقر هناك في دمشق ألّف بعض الكتب مثل "ألف باء" و "النحو والقواعد الإملائية" بناءً على أسس علمية وبحوث دقيقة اكتسبها في ألمانيا. يقول جلادت في مجلة "هاوار": "إنّ وحدة الشعوب تبدأ بوحدة اللغة كان "بسمارك" قد وجد توحيد اللغة الألمانية شرطاً لاتحاد ألمانيا. وتمت هذه الوحدة على يد "لوثر" وترسخت. ولا تتم وحدة الأكراد إلا بوحدة لغتهم... ولا تتوحد اللغة إلا بتوحيد حروف الكتابة أي أن الخطوة الأولى نحو توحيد اللغة هي وحدة الحروف وبها يبدأ هذا التوحيد.

عندما تفجرّت ثورة الشيخ سعيد "بيران" عام 1925م تخلى جلادت عن كل مهامه وأعماله وترك كل شيء رغبة في الالتحاق بالثورة، ولكن- وأسفاه- عندما وصل إلى كردستان كانت الثورة قد أخفقت وانطفأ أوارها. فعاد سراًإلى ألمانيا. وبالتزامن مع هذا الحدث توفي شقيقه: صفدار في ألمانيا بعد معاناة المرض. أما أخوه الآخر: توفيق فقد قضى على نفسه بعد أن وثق بالكماليين واستسلم لهم فغدروا به وقتلوه. أما كاميران فأنهى دراسة القانون وحصل على شهادة الدكتوراه في الحقوق، ولكن جلادت لم يجد الفرصة سانحة لمتابعة الدراسة ونيل "الدكتوراه" لأن والده كان مريضاً في القاهرة فسافر إليها لزيارة والده المريض الذي توفي عام 1926م. وبعد وفاة والده توجه إلى بيروت وحل ضيفاً على دار عمه: خليل وفي تلك الأيام كان الكثيرون من المثقفين والمتنورين الأكراد تجمعوا في مدينة بيروت فاختلط بهم وشاركهم في اجتماعاتهم، كما اختلط بالأكراد في سورية.

في الخامس من أيلول عام 1927م. عُقد في مدينة "بحمدون" اللبنانية اجتماع لتأسيس جمعية "خويبون" التي كان من أهدافها مناصرة ودعم ثورة آرارات من أراضي الجزيرة (السورية) والاشتراك في العمليات العسكرية. ولكنّ الثورة لم تفلح فلجأ إلىإيران وفيها حاول شاه إيران محمد بهلوي تنحيته وإبعاده عن المسائل القومية، فأغراه بإسناد منصب "قنصل" إليه في إحدى الدول التي يرغب فيها من العالم. ولكنه لم يلبِّ طلب الشاه ولم يحقق رغبته فأُخرجَ من الأراضي الإيرانية. فعاد إلى كردستان الجنوبية ومكث فيها أمداً ثم سافر إلى العراق وأقام فيها مدة ولكن الانكليز كرهوا إقامته في بغداد فلم يسلم من مضايقاتهم. وغادرإلى بيروت وأقام هناك وفي 1929/4/16م انتسب إلى نقابة المحامين وحصل على إجازة في ممارسة مهنة "المحاماة". ويبدو أنه باشر كتابة مذكراته بتاريخ 1929/8/16م وهو في بيروت.

من أجل العمل السياسي وتوسيع دائرة النضال عاد إلى سورية، حيث انضمإلى أعضاء من عائلة جميل باشا وحمزة بك مكسي وحاجو آغا وأسسوا جمعية باسم "الجمعية الكردية لمساعدة بؤساء الكرد" ومقرها في الحسكة، وكانت الغاية من إنشاء هذه الجمعية هي إغاثة أولئك الأكراد الملهوفين النازحين من الشمال. وكانت سورية في ذلك العهد تحت الوصاية الفرنسية، وكانت العلاقات بين فرنسا والكماليين طيبة ووطيدة. وبسبب الضغوط التركية المتكررة لم تكن الحكومة الفرنسية ترغب في السماح له بالمكوث في المناطق الحدودية.

في 25 من شهر آب من عام 1930م أذنت حكومة الانتداب له مع لفيف من المثقفين الأكراد بالإقامة في دمشق بعد بذل جهود مضنية وحثيثة. كانت الحركات السياسية العقيمة التي لم تثمر يوماً والدول المحدقة بكردستان قد غيرت وجهة سير جلادت بدرخان. وكانت أوضاع المنطقة لا تأذن للأكراد بالتحالف مع دول ذات نفوذ، كما لم تأذن لهم بالإعداد لقيام ثورة أو انتفاضة قومية، إضافة إلى أسباب أخرى.وعندما استقر جلادت في سوريا لم يكن له أيّ مورد مالي، وقد كانت الدولة العثمانية قد توقفت عن دفع التعويض له عن ممتلكات العائلة منذ تسلم

آتاتورك الحكم. واستبدل التعويض ببدل هزيل عن الملكية نفسها. فعرضت عليه دولة فرنسا المنتدبة نفقة خاصة فرفضها ليبقي حياته حرة من كل قيد مكرسة تكريساً كلياً للقضية الكردية.

تأكَّد لـ جلادت وهو في دمشق أن الأكراد- بشكل عام- تنقصهم المعرفة وبحاجة إلى القراءة والكتابة وتلقيّ العلوم، ورأى أن تحرير كردستان لن يكون متاحاً قبل يقظة الشعب الكردي كله والالتفات إلى قضيته الوطنية والقومية فكان يقول: "لو أن الشعب الكردي تعلم القراءة والكتابة لاستطاع رؤية أحواله البائسة وتذوق مرارة عيشه، ومتى وصل إلى هذه الدرجة من الوعي والفطنة سَهُل عليه الاحتيال لذلك، وتغيير أحواله تغييراً جذرياً. وقد كان يشعر دوماً أن سلالته المجيدة تضع على عاتقه مسؤولية خاصة ويرى انه لا يمكن له أن يسعد في الحياة بينما أكثرية أبناء قومه يعانون الحرمان والظلم حتى أنهم لا تتاح لهم الحرية في استعمال لغتهم.

إن جلادت يدرك جيداً أن البلوغ بالأكراد إلى هذه الدرجة من الوعي واليقظة يحتاج إلى عمل دؤوب وبذل جهود كبيرة وتحمل المشقة، وهذا الوعي لا يتأتى ولا يتسنى إلا عن طريق تعلم لغة الشعب الكردي. وأن الشعب الكردي يمكن أن يكون متماسكاً وموحداً متى تعلم لغته الكردية... لغته القومية، وعندئذ سوف يشعر بوجوده القومي المستقل، ولكي نستطيع توحيد اللغة الكردية فإننا نفتقر إلى أبجدية واحدة تكون حجر أساس في هيكل اللغة الكردية.

وبناءً على هذه الرؤية وضع جلادت أبجدية بالأحرف اللاتينية التي تلائم اللغة الكردية عام 1919م ولتعميم هذه الحروف وترسيخ الكتابة بها أصدر مجلة "هاوار" عام 1932م .

يقول جلادت بدرخان في مجلة "هاوار" بعد أن أرسى قواعد الألف باء اللاتينية متحدثاً عن الأبجدية التي صاغها: ولما كانت الحكومة السورية في دمشق قد منعتنا من التحرك، تفرغت للعمل الثقافي وانكفأت- ليلنهار- على البحث في قواعد اللغة وأبجديتها.

كان الأمير جلادت في تلك الفترة يقيم في غرفة ضيقة رطبة في طابق أرضي كائن في حي الشهداء، طريق الصالحية، فيستعمل تلك الغرفة مكتبة وقاعة استقبال وغرفة نوم وداراً للتحرير في آن واحد. وكان يكتب جميع المقالات ويوقعها بأسماء مستعارة مختلفة ثم ينضدها بنفسه ويحملها إلى المطبعة ويقوم بعد ذلك بتوزيع المجلة بنفسه. وكانت حياته الخاصة حياة حرمان دائم فلم يكن له من مورد سوى العطايا اليسيرة التي كان يجود بها الأكراد وفقاً لتقاليد العشائر إزاء أمرائها في كل عام اعترافاً منها بفضلهم وإظهارا لاحترامهم.

كان جلادت يحاول حث الأكراد على كتابة قصائدهم وقصصهم وحكاياتهم وآدابهم الشعبية والتعبير عن آلامهم وأحلامهم وآمالهم وتاريخهم بلغتهم القومية وليس باللغات الأخرى.

في اليوم السادس والعشرين من شهر تشرين الأول عام 1931 حصل جلادت بدرخان على رخصة وامتياز لإصدار مجلة "هاوار" من وزارة الداخلية في سورية تحت الرقم /6224/. وفي الخامس عشر من شهر أيار عام 1932م قدم العدد الأول من المجلة إلى مطبعة الترقي بدمشق واستمر صدورها حتى تاريخ اليوم الخامس عشر من شهر آب عام 1943م وفي هذه الأعوام بلغت الأعداد الصادرة من "هاوار" سبعة وخمسين عدداً. والجدير بالذكر أن "هاوار" كانت مجلة اجتماعية- أدبية- ثقافية. يقول عنها جلادت بدرخان: "إن مجلة "هاوار" هي صوت المعرفة.. معرفة الذات... معرفة الذات هي سبيلنا إلى الخلاص والفلاح، طريقنا إلى الرفاهية والرخاء".

كانت الغاية من صدور هذه المجلة من اسمى الغايات وهي إغناء الأدب الكردي والثقافة الكردية، والدعوة إلى تبني هذه الحروف

الجديدة والكتابة. وإضافةإلى جريدة "هاوار" أصدر جلادت بدرخان مجلة "روناهي". دام صدورها منذ اليوم الأول من شهر نيسان عام 1942م حتى عام 1945م وبلغت أعدادها ثمانية وعشرين عدداً. كانت مجلة "روناهي" صحيفة شهرية تصدر باللغة الكردية اللهجة الكرمانجية والحروف اللاتينية، وكانت تنشر على صدر صفحاتها أنباء الحرب وأحداثها بإسهاب وكثافة، وتندد بالفاشستية والنازية. وكان جلادت بدرخان يحاول بث أفكار عن الديمقراطية في صحيفته ونشرها في أذهان الناس.

كانت هاتان الصحيفتان سلاحاً لنشر الوعي والعودة إلى الذات والتعريف بالهوية الكردية... وكانتا ركنين من أركان لغة الأدب الكردي. ومنذ ذلك العهد بدأت بحوث ودراسات جادة في اللغة وقواعدها وكل ما يمت إليها بصلة. وقصارى القول فإن اللغة الكردية مدينة لجلادت بدرخان في قواعدها وأبجديتها اللاتينية.

في عام 1935م تزوج جلادت من السيدة الفاضلة "روشن بدرخان"[2] التي كانت تدرّس وتعلّم في مدارس دمشق، عندئذ تحسنت أحواله المادية فتغلب على البؤس وانتقل إلى بيت رحب في حي الشمسية بدمشق. وبعد ثلاثة أعوام –في 21 آذار من عام 1938م، رزقا ابنة أطلقا عليها اسم: "سينم" ، وفي 9 تشرين الثاني عام 1939م رُزقا ولدهما "جمشيد". وقد كان لزوجته الأميرة روشن من زوجها الأول(عمر مالك حمدي) ابنة تدعى اسيمة ولدت في 15 تشرين الثاني 1930م.

كان الأمير جلادت في جميع الظروف والأحوال مثال الشفقة والحنان يستقبل الفقير والثري على حد سواء ويخدم ذا الفاقة مثلما يخدم ضيفاً كريماً، وكان على قوة جسده وعلى الرغم من رباطة جأشه الدائمة ومما لاقاه في الحياة من صدمات وخيبات متكررة مرهف الحس رقيق العاطفة وقد أغدق عليه هذا المزيج من القوة والعاطفة والحكمة مسحة من الكمال كانت تؤثر في كل من اقترب منه تأثيراً عميقاً. ومما زاد شخصيته رونقاً هو حبه للمطالعة وشغفه بالحياة الفكرية وشغفه بالحرب. وكان على الرغم من الظروف المضنية التي مرت به وعلى الرغم من شظف العيش والحرمان اللذين عرفهما مراراً، مغرماً ببعض مراتع الحياة غراماً مقيماً. وقد كان لَه وَلَعٌ بالصيد خاصة حتى انه عندما اضطر إلى الاكتفاء بتلك الغرفة الصغيرة التي كانت مكتبته وغرفة استقباله ونومه ومطبخه كان يحتفظ بخادم مغن كردي يدعى (أحمد فرمان)، وبكلب صيد وكان يمارس الصيد بولع لا يعرف الملل.

في هذه المرحلة الأخيرة كانت زوجته لا تألو جهداً في تقديم كل ما تستطيع من دعم له لإصدار مجلة "هاوار". فكانت تصفف الحروف وتنضدها. لقد كانت خير معين له في نضاله وكفاحه في معترك الحياة اليومية.

كان جلادت يدرس اللغة الفرنسية في مدرسة الصنائع بدمشق منذ نهاية عام 1934 ولغاية 1936م ثم أصبح في 1939م محامي شركة الريجي ورئيس مفتشيها، وقنع بحياة عائلية هادئة. ويُذكر أنه كان يجيد اللغة التركية والعربية والفارسية واليونانية والروسية والفرنسية والألمانية وكان ملماً بالانكليزية.

عرض على الثوار العرب في فلسطين خلال عام 1936م مساعدتهم بتقديم الرجال والسلاح فضاع اقتراحه بين الأخذ والرد. وفي عام 1948 اقترح على الحكومة السورية أن يؤلف فرقة من الأكراد تعين العرب على صد هجمات خارجية فلم تأخذ الحكومة السورية باقتراحه.

[2]-كانت والدتها ووالد الأمير جلادتأبناء عم وكان يعرفها منذ عدة سنوات قبل الزواج وكانت تعاونه في نشاطه الوطني ومجلاته بفضل ثقافتها ومركزها الاجتماعي فهي كانت تحسن العربية والكردية والتركية والفرنسية والانكليزية وتتميز بأخلاق رفيعة وإرادة صلبة ومقدرة نادرة على العمل والتنظيم والإدارة.

بعد اندلاع نار الحرب العالمية الثانية بدأت الضغوط مرة أخرى تنهال على المثقفين الأكراد المقيمين في دمشق وفي ما بين أعوام 1943م و 1946م ألزمته السلطات الفرنسية بالإقامة الجبرية ومنعته من مغادرة دمشق. وعندما رفعتها عنه عام 1947م دعي الأمير إلى ترشيح نفسه للنيابة عن الجزيرة المأهولة بالأكراد، فلبى الطلب وذهب إلى الجزيرة بموافقة السلطات السورية للقيام بحملته الانتخابية، لكنه ما كاد يطؤها ويقضي 24 ساعة فيها حتى أعادته السلطات السورية إلى دمشق مخفوراً.

ومهما يكن من شيء فلا ينبغي للمرء أن ينسى أنّ جلادت بدرخان، بالإضافة إلى نضاله القومي، كان ضليعاً في اللغة وقواعدها وخبيراً بدقائقها، وكان كاتباً مُجيداً وشاعراً ومترجماً فذاً... ينشر شعره وقصائده باسمه الصريح وأحياناً وأطوارا باسم مستعار. ومازالت أعماله الرائعة تعاد نشرها ويقبل القراء على قراءتها بشوق كبير... وكأنها كتبت اليوم رغم مرور أكثر من خمسة وسبعين عاماً عليها.

هذا القدر الذي هيمن على أيام الأمير الأخيرة كان القدر نفسه الذي رافقه منذ ولادته ووجه حياته توجيهاً لم يكن بيد أحد أن يبدل شيئاً فيه. فعندما ولد الأمير جلادت كانت ولادته صعبة وأمه تأبى وترفض دعوة الطبيب إلا أنه استدعى على كرهٍ منها فحكم أن الطفل قد مات قبل الولادة، واستخدم الكلابة لينتزعه وسلمه للخادمة لتضعه جانباً، بينما يؤدي الإسعافات اللازمة للام. فبقي الطفل مهملا منسياً فترة من الزمن حتى صرخ على حين غرة فتجمع الأهل والأصحاب حوله يهللون من شدة التأثر والفرح، وقد بقي اثر الكلابة في رأس الأمير حتى آخر أيامه.

لم يكن جلادت قد تعاطي الزراعة أو التجارة يوماً في حياته ولم يكن يعتقد احد من معارفه انه خلق ليكون مزارعاً أو تاجراً، غير إن للأقدار مشيئة غير مشيئة البشر. ففي سنة 1950 طغت حمى القطن على البلاد السورية وأخذ المزارعون وغير المزارعين يسعون إلى زراعته ويحلمون ببناء ثروات عجلى بفضل تصديره فاتصل "حسين بك أيبش" الذي يملك أراض واسعة في قرية الهيجانة على بعد 35 كيلو متراً من دمشق بصديقه الأمير جلادت وعرض عليه أن يشاطره استغلال تلك الأراضي، فقبل الأمير، رغم ممانعة زوجته. واقتضى المشروع حفر بئر كبيرة بلغ عمقها نحو 25 متراً ونصبت الآلات عليها لسحب المياه وخزنها في بركة قريبة من البئر، وكان الأمير يذهب كل يوم إلىالهيجانة ليراقب الأعمال. والغريب انه منذ شهر شباط 1951م ما كان ينظر مرة إلى هذه البئر تتسع وتتعمق إلا شعر بانقباض عميق حتى دعا البئر بالبئر (المقدّرة) قبل خمسة أشهرمن وفاته. وكان ينعون رسائله من الهيجانةإلى قرينته وأولاده بذلك الاسم. وكان يتوجس أنتحمل له هذا البئر شؤماً مقدراً.

وفي الساعة التاسعة من صباح يوم 15/تموز/1951م بينما كان جلادت جالساً على حافة بركة الماء المجاورة للبئر إذا بانفجار عنيف مفاجئ يحصل في بركة الماء نتيجة للضغط فتتدفق المياه بغزارة وتهدم الجدار الذي كان جلادت واقفاً عليه وتجرفه مع الحجارة والتراب إلى البئر فلا يعي جلادت إلا وهو في قبضة (البئر المقدرة) التي كان قلبه يحذره منها منذ أشهر.

بقي الأمير في قعر البئر فترة من الزمن قبل وصول النجدة فنقل إلى المستشفى الفرنسي بدمشق وكانت صورة بئر المقدرة ماثلة أمامه مع انه لم يكن يعلم أن حالته تؤذن بالخطر الداهم. ولم يمكث في المستشفى أكثر من بضع ساعات حتى فارقته الروح. وعندما وصلت زوجته بناء على مخابرة هاتفية وجدته جثة هامدة.

وقد قوبل النبأ المفجع في مختلف أوساط البلاد بالحزن العميق والأسى البالغ لما كان يتمتع به الفقيد من صفات علمية واسعة أحلته محل

الاحترام من نفوس معارفه وأصحابه، ومزايا خلقية رفيعة أنزلته أسمى منازل المحبة والود من قلوب أصدقائه. وقد احتفل بتشييع جثمانه بعد ظهر يوم الاثنين الواقع في 16/تموز/1951م بموكب مهيب تقدمه عشرات أكاليل الزهر، ومشى فيه بعض الوزراء السابقون وكبار ضباط الجيش ورجال السياسة وعلماء الدين ووجهاء المدينة وشبابها وطلابها[3].

وفي تمام الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم الاثنين الواقع في 16/تموز/1951م وبعد أن صلى على جثمانه في مسجد الشيخ محي الدين واصل الموكب سيره في حي الأكراد حتى مقبرة الشيخ خالد النقشبندي حيث أودع مقره الأخير. دفن في المقبرة التي دفن فيها جده الأمير الكبير: بدرخان.

وعلى شاهدة قبره نقشت أبيات من شعر صديقه الشاعر قدري جان.

أمير الأكراد وابن كردستان البار

حفيد بدرخان صاحب العزائم

جلادت... ذو التضحيات

وان كان جسمه مدفوناً هنا

إلاأن روحه صعدت إلى السماء

في سبيل الوطن

صاحب العهد والميثاق

جعل روحه قرباناً

لم يمت هو خالد واسمه ابدي."

حول مجلته هوار:

بعد فشل ثورة الشيخ سعيد البيراني في عام 1925، وهجر عدد من الوطنيين والمثقفين والمناضلين الثوار الذين ساهموا في اندلاع هذه الثورة التقوا ثانية في بيروت بلدة بحمدون في عام 1927، حيث اجتمعت كثرة من القوى السياسية والوطنية الكردية فيها آنذاك، واتفقوا على تأسيس جمعية (خويبون) الكردية، حيث كان الفضل يعود لعائلة بدرخان المناضلة لتأسيس هذه الجمعية. ومنهم العلامة جلادت و البروفسور كاميران و أخاه ثريا، حيث كان لهم الدور البارز والريادي في نضال وتقدم هذه الجمعية لاسيما في مجال الإعلام وطبع الكتب والنشرات لتطوير الوعي القومي وإيقاظ الروح الوطنية والوعي بين الناس.

أرادت هذه الجمعية أن تشارك في ثورة آكري بزعامة الجنرال إحسان نوري باشا. ورغم أنها فتحت بعض الثغور في الحدود، إلا أن الظروف الذاتية والموضوعية لم تكن ملائمة للمشاركة، فنفت الحكومة الفرنسية التي كانت تحكم في سوريا هؤلاء الوطنيين الكرد الذين قدموا من شمال كردستان إلى دمشق.

وفي دمشق لم يتوقف هؤلاء مكتوفي الأيدي، فاجتمعوا حول رجل متنور ومثقف كردي يدعى الأمير جلادت، وحاولوا أن يشاركوه في أحلامه وأهدافه.

فقد كان الوضع العام السائد يوحي باليأس فمن جهة فشلت الثورات الكردية واحدة تلو الأخرى ومن جهة ثانية سوء معاملة الفرنسيين لهؤلاء المناضلين، إضافة إلى الظروف الصعبة التي مرت على الكرد من فقر وبؤس وجوع وحرمان. بعد أن خاب السلاح أحلامهم فوجدوا القلم خير وسيلة للتعبير عن أوجاعهم وآمالهم.

فأصدر الأمير جلادت بدرخان مجلة هاوار في 15-5-1932 الكردية، فهي بنت تلك المرحلة الصعبة، وبمثابة شمعة في ليل دامس.

كانت مجلة هاوار الأمل والمشروع الذي جمع من حوله الكتاب والمثقفين الكورد، وراحت أقلامهم تنزف معاناتهم وعذاب الكورد. وبات المثقفون يعقدون آمالاً كبيرة على مجلتهم، وانتشرت بشكل واسع و استقطبت الأقلام الكردية من كل أجزاء كردستان. ويمكن القول

[3]-ذكرى الأمير جلادت بدرخان، منصور شليطا و يوسف ملك، ذكرى الأولى 1951.

أن الأمير جلادت كان مدرسة يتدرب في مدرسته جميع الكتاب والمثقفون الكورد في تلك الفترة، وبنى الأمير هذه المدرسة بالعرق والجهد والعلم والمعرفة.

ورغم الظروف الصعبة، والإمكانات الفنية المتواضعة، والتقنيات البدائية في الطباعة القديمة التي كان يحملها الأمير كمؤسسة فقد كانت مجلة هاوار تنتشر في كافة أرجاء كردستان.

أحاول هنا أن أبين ولو جزءاً صغيراً من صعوبة ومشاكل الطباعة في مجلة هاوار آنذاك. أولاً لم تكن توجد هيئة تحرير للمجلة بمفهومها المعروف والسائد اليوم، فقد كان الأمير هو صاحب المجلة و مدققاً ومنقحاًومصففاً للأحرف الرصاصية والمراجع الأول والأخير للمجلة. هناك رأي آخر يقول بأن بعض الكتاب أمثال أوصمان صبري وقدري جان وروشن بدرخان وغيرهم ممن كانوا يساعدونه في إعداد المجلة. يمكن أن يكون قد حدث ذلك في بعض الأحيان، ولكنه كان هو المسؤول الأول والأخير عن المجلة. ثانياً في تلك المرحلة كان الكرد يعانون من قلة عدد الكُتّاب وخاصة باللغة الأم، فلم يوجد بين الكرد من يكتب ويقرأ بشكل صحيح،لهذا كان الأمير يكتب بأسماء مستعارةكثيرة .

أما طريقة الطباعة آنذاك، فكانت بالأحرف الرصاصية

تصفف بجانب بعضها، أي أن الحرف يوضع بجانب حرف آخر، حتى تكتمل الكلمة فيترك فراغ بقطع من الحديد....، ثم الجملة، ثم السطر، حتى تكتمل الصفحة، وكل صفحة مستقلة عن الأخرى، تبعاً لحجم الصفحة وتوضع الصفحة ضمن أربع أخشاب متساوية أي تصبح مثل إطار للصفحة، وهذه الأخشاب يضم بعضها إلى البعض بقوة شد البراغي النحاسية، ثم تركب على الآلة، وهذه العملية (تصفيف وترتيب الأحرف) تتطلب وقتاً زمنياً طويلاً وجهداً كبيراً. وأعتقد أن رجلاً واحداً لا يمكن أن يقوم بهذه العمليات وحده كون الأحرف اللازمة تساوي أربعة أكياس حتى يمكن من إخراج صفحات مجلة صغيرة. وكان الأمير جلادت يقوم بها وحده، ثم يراجع المجلة ويصححها، ويدققها، وينقحها بنفسه وأحياناً تشاركه زوجته الأميرة روشن بدرخان، فأكياس الأحرف وقوالب الآلة يحضرها بمفرده، ولم يشارك معه في هيئة التحرير أحدٌ، كون عمال المطبعة لا يتقنون اللغة الكردية، وهذا العمل يستغرق أياماً فكيف له أن يصدر مجلة نصف شهرية، ورغم ذلك كان يصدرها وهذا يعني أنه لم يذق طعم النوم والراحة، وكل هذا كان يتغلب عليه. إلا أن العمل الأكثر صعوبة هو عدم توفر المال والموافقة من قبلالسلطات الفرنسية، بل غالباً ما كانت السلطات تعيق إصدار المجلة، وخاصة في حصوله على استحقاقه من الورق.

المعروف أن مجلة هاوار كانت تصدر في دمشق، وتوزع في كثير من المدن والقرى والبلدات الكردية، والجميع كانوا يشاركون في المجلة بمقالاتهم من كافة أنحاء كردستان. فقد كان موزعو المجلة ذوى مكانة اجتماعية مرموقة، والقراء كانوا من مثقفين أكراد وغيرهم، كانت المجلة تصل إلى الأساتذة والمسئولين وزعماء العشائر وذوي الفعاليات الاجتماعية.

كانت المجلة تصدر باللغتين الكردية والفرنسية، اغلب أعداد المجلة تتكون من (20) صفحة، من القطع الكبير،أما عدد الصفحات المخصصة لقسم اللغة الفرنسية فكانت تتراوح بين 2-4 صفحات.

صدرت مجلة هاوار من العدد (1-23) بالحروف العربية واللاتينية، أما بعد العدد (23) فكانت جميع الأعداد بالأحرف اللاتينية.في العدد (27) من المجلة يكتب صاحب المجلة مقالاً توضيحياً عن مسيرة وتواريخ توقف المجلة عن الصدور دون ذكر أسبابها:

(العدد (1) 15-5-1932 -- العدد (23) 25-7-1933.

العدد (24) 1-4-1934 -- العدد (26) 18-8-1935).

(من (27) 15-4-1941 -- آخر العدد (57)15-8-1943).

مما سبق نستنتج أن عمر المجلة كان 11 عاماً، ولكن المفترض أن يكون عمرها اقل من خمس سنوات حسب الأعداد الصادرة.

يتبين من المصادر أن المجلة توقفت بسبب عدم وجود تمويل، حيث كانت الإمكانيات المادية قليلة بل غير متوفرة، وإذا علمنا أن استمرارها كان يتوقف على المبيعات وخاصة مساهمات المشتركين، فلماذا توقفت المجلة علماً أن المشتركين كانوا من الأطباء والمهندسين والمحامين وزعماء العشائر وبعض الضباط ومن ذوي النفوذ الاجتماعي والاقتصادي؟ ويمكننا القول إنها كانت توزع على كافة شرائح المجتمع الكردي. ويتبين أن هؤلاء المشتركين إما أنهم لم يكونوا يرسلون ثمن المجلة إلى صاحبها، أو أن المبلغ لم يصل إلى يد صاحبها. مما سبب توقف المجلة أكثر من مرة.

يكتب شاعرنا الكبير جكرخوين في ديوانه الأول صفحة (87) قصيدة موجهة إلى المشتركين في المجلة ويطلب من أولئك الوطنين الكرد الأغنياء مد يد العون والمساعدة لإصدار المجلة، فيقول:

`Hewar e hey hewar e, çima wisa dinalî,

Sed heyf û sed mixabin bê zîv û zêr û mal î.`

`Peran bidin hewarê da ko bi ser xwe bêtin

Bigrî di erdê Şamê kemalê bê zewalî

Hatem yek e bi tenha kurdên me tev de Hatem,

Hawar e rengê bêjen ka Ristemê ji zalî.

وأخيراً اضطر الأمير جلادت إلى بيع أثاث بيته، حيث قالت لي يوماً زوجته الأميرة روشن بدرخان: (ذات يوم جاء الأمير إلى المنزل وعلى وجهه علامات الحزن والغضب، فسألته عن السبب؟ قال: حان موعد طباعة المجلة ولا يوجد لدي مال، فاستشارني: ألم تلحظ أن الكراسي ضيقت علينا المكان؟ قلت له: أفعل ما تريده. ثم باع الكراسي ودفع نفقات الطباعة ثم عاد بوجه مشرق وابتسامة عريضة. وقال: "طبعت مجلة هاوار يا روشن".

فلم يبق للأمير سوى أن يلجأ إلى أمور ما كان يعرفها في حياته، فقد أضطر إلى أن يعمل في زراعة القطن في قرية (هيجانة) القريبة من دمشق عن طريق صديقه الإقطاعي المعروف حسين أيبش، وذات يوم كان يسقى القطن وهو جالس على جدار حوض الماء، وفجأة تشقق الجدار وانهار الحوض وسقط الأمير جلادت في البئر ولم يتمكن أهل القرية إنقاذه فتوفي في الطريق وهو متجه إلي مشفى المواساة. والجدير بالذكر أنه قبل وفاته كان قد أطلق على هذا البئر اسم بئر الأقدار، وفعلاً أصبحت بئر الأقدار.

جلادت بدرخان كان رجلاً ولد قبل أوانه، وكما يقول الكورد: (وردة واحدة لا تشكل ربيعاً). والشعب الذي لا يهتم بالثقافة هو شعب محكوم عليه بالموت. ففي ولادته حكمة و في مماته حكمة.

لقد أدرك العلامة جلادت أهمية الثقافة ودور الصحافة في إيقاظ الشعوب وتحريرها، و اعتبرها خير وسيلة لتعريف العالم بالكرد، فكانت مجلته هاوار تغطي مساحة واسعة من أرجاء كردستان وجزءاً من العالم، كانت تصل إعدادها من دمشق إلى كردستان، ولبنان، والحجاز، ومصر، وفلسطين، والعراق، وإيران، وأمريكا.

أما في كردستان رغم أن المجلة كانت توزع على زعماء العشائر وبعض الأطباء والمثقفين والشعراء والضباط، يمكننا القول إنها كانت توزع على كافة شرائح المجتمع الكردي، لكن ذكَر أصحاب هذه الأسماء –ممن قضوا نحبهم- أعتقد ليس مهماً بالنسبة لنا القراء بقدر أهمية رصد حركة وتوزيع المجلة على مساحة جغرافية كبيرة.

من أعماله:

عدا عن مجلتيه القيّمتين (هاوار و روناهي). يذكر الباحث مالميسانز في كتابه "البدرخانيون في جزيرة بوطان" الصفحة 181 لائحة بأسماء كتب ومؤلفات هي لثريا وكاميرانوجلادت بدرخان منها المترجمة ومنها المؤلفة، لا نعرف فيما إذا كانت قد نشرت أم لا.

1- إلى أخوة الدين: يشرح الكارثة الواقعة في روملي بلغة واضحة ألفه جلادتوكاميران بدرخان.

2- سلطنة الأدب: عبارة عن أربعة أجزاء يتضمن الجزء الأول القصائد والجزء الثاني النثر والجزء الثالث المقاطع- الرباعيات والجزء الرابع الأبيات.

3- الزفاف: يتألف من جزأين، يتضمن الجزء الأول القصائد والجزء الثاني الشعر النثري وهو للشاعر كاميران بدرخان.

4- الوظائف الاجتماعية للمرأة: تأليف آنا لام بربر، ترجمة: ثريا بدرخان.

5- الانفعالات أمام الكوارث: مبدع ومترجم أنها صرخات أدبية ووطنية للمؤلفين كاميرانوجلادت بدرخان.

6- حكومة العزيزي الكردية: ثريا بدرخان و كاميران بدرخان.

7- شرارات المحاصرة: إنها شرارات من النار الحقيقية لمؤلفه جلادت بدرخان بك.

8- مجرمو السيارة في محاكمة سان (sen) في باريس –لثريا بدرخان بك.

9- حقيقة سقوط أدرنة، عام 1913م، بالتعاون مع أخيه كاميران بدرخان.

10- قواعد الألف باء الكردية: طبع هذا الكتيب ضمن سلسلة (مكتبة هاوار)-1- عام 1932، في دمشق، تحت اسمه المستعار (هراكولآزيزان).

11- صفحات من الألف باء: طبع هذا الكتيب ضمن سلسلة (مكتبة هاوار)-2- عام 1932، دمشق.

12- المولد النبوي: كتب الأمير جلادت مقدمة لهذا الكتاب، ونشرها عام 1933 في دمشق.

13- صلوات اليزيديين: كتب الأمير جلادت مقدمة لهذا الكتاب، ونشرها عام 1933-دمشق.

14- رسالة إلى حضرة الغازي مصطفى كمال باشا: ألفها جلادت بالتركية، وطبعها عام 1933 تحت سلسلة (مكتبة هاوار) العدد(6). ترجمة إلى العربية: روشن بدرخان. الناشر: دلاور زنكي.

15- حول المسألة الكردية: ألفها جلادت بالفرنسية، ونشرها عام 1934 تحت سلسلة (مكتبة هاوار) رقم (8) ترجمها ونشرها: دلاور زنكي.

16- القواعد الكردية: أعدها ونشرها جلادت بالفرنسية عام 1943.

17- قواعد اللغة الكردية: تأليف:جلادت بدرخان وروجر ليسكو، طبعة عام 1970 في باريس. ترجمها ونشرها: دلاور زنكي عام 1990م في دمشق.

18- القاموس الكردي – الفرنسي: موجود في المعهد الكردي في باريس-غير مطبوع.

19- القاموس الكردي- الكردي: مخطوط. موجود الآن لدى ابنته (سينم خان بدرخان).

20- أعرف نفسك: حول هذا الكتاب، انظر مجلة (هاوار) العدد /18/.

21- كتاب سينم خان: هذا الكتاب يبحث في قواعد اللغة الكردية، وخاصة انه اعد لأجل الأطفال راجع مجلة (روناهي) العدد /19/.

22- هفند: مسرحية، وهي مخطوطة، وقد نشرت في مجلة (هاوار) العدد /20/.

23- جوني وجيمينا: قصة انكليزية ترجمها:جلادت بدرخان، إلى الكردية وطبعها عام 1943 بدمشق.

الأسماء التي كتب بها الأمير جلادت بدرخان وهي:

هراكولآزيزان, والد جمشيد وسينم خان, أمير بوطان **C.A.B**, هاوارصاحب هاوار,روناهي صاحب روناهي, القاموسي, نيرفان, صياد هاوار, خبر كوهيز, جيروك بيز, ستران فان, طاووس باريز,نفيسانوكاهاوار,نفيسانوك, سيداي كروك.

على الأغلب هناك أسماء وألقاب أخرى. ويرجع سبب اتخاذه الألقاب المذكورة إلى قلة الكتابوالأدباء في ذلك العهد وكان لقلمه النصيب الأوفر في مجلتي (هاوار) و (روناهي) لهذا كان يتستر تحت أسماء مستعارة.

المصادر:

- ذكرى الأمير جلادت بدرخان (1897-1951)، منصور شليطا ويوسف ملك.

-مالميسانز: (البدرخانيون في جزيرة بوطان)، وثائق جمعية العائلة البدرخانية. ترجمة: كولبهار بدرخان ودلاور زنكي، بيروت – لبنان، 1998.

- روشن بدرخان في لقاءاتي العديدة معها شخصياً.

- مجلة هاوار. النسخ الأساسية.

- إصدارات سلسلة (مكتبة هاوار).

- مذكرات جلادت بدرخان (1893-1951)م، جمع وإعداد: دلاور زنكي، مطبعة: أميرال. بيروت –لبنان،1997.